المبحث الأول

نظرات حول الإعجاز والمعجزة

أولاً : تعريف الإعجاز والمعجزة لغةً واصطلاحاً :

أ) تعريفها لغة :

المعجزة في اللغة اسم فاعل من الإعجاز ، والإعجاز مصدر للفعل (أعجز)[1] وبعد النظر في بعض المعاجم اللغوية للوقوف على مدلول كلمتي الإعجاز والمعجزة وأصل اشتقاقهما خرجت بالخلاصة الآتية:

المُعْجِزُ والمُعْجِزَةَ : ما أُعْجِزَ به الخصم عند التحدي ، والهاء للمبالغة كما في قولهم : علاّمة ، ونسّابة ، وروّاية ، وجمعها معجزات ، وسميت معجزة لعجز البشر عن الإتيان بمثلها.

والعَجْزُ : أصله التأخر عن الشيء ، وهو ضد القدرة ، وصار في التعارف اسماً للقصور عن فعل الشيء . يقال : عَجَزَ فلان عن الأمر ، وأَعْجَزَهُ الأمر إذا حاوله فلم يستطعه ولم تتسع له مقدرته وجهده.

ومعنى الإعجاز : الفوت والسبق ، يقال أعجزني فلان ، أي فاتني . وذكر الزبيدي عن الليث قال : أعجزني فلان: إذا عجزتُ عن طلبه وإدراكه ، وقال الراغب الأصفهاني : أعْجَزتُ فلانا وعَجَّزْتُهُ وعاجَزْتُهُ : أي جعلته عاجزاً .

والتَّعْجِيزُ : بمعنى التثبيط ، والنِّسبة إلى العَجْز . وبه فُسِّر قوله تعالى : **﴿وَالَّذِينَ سَعَوْا فِي آيَاتِنَا مُعَاجِزِينَ ...﴾** [2] قال الزجاج : معناه ظانين أنهم يعجزوننا لأنهم ظنوا أنهم لا يبعثون وأنه لا جنّة ولا نار .

---

(١) فكرة إعجاز القرآن منذ البعثة النبوية حتى عصرنا الحاضر / نعيم الحمصي / ص ٧.

(٢) سورة الحج ، الآية (٥١) .

وقرىء **معجِّزين** : بمعنى يَنسُبُون إلى العجز مَنْ اتبع النبي صلى الله عليـــه وســـلم ، وقيل معناه مثبِّطين أي يثبطون الناس عن النبي صلى الله عليه وسلم .

وقال الفيروز أبادي : أي يعـــاجزون الأنبيـــاء وأوليـــاءهم ، يقاتلونـــهم ويمانعونـــهم ليصيِّروهم إلى العجز عن أمر الله تعالى[1].

وقد وردت مشتقات لفظ " عَجَزَ " في ستة وعشرين موضعا في كتـــاب الله ، وذلك كما ذكرها محمد فؤاد عبد الباقي في معجمه [2] ، وسأكتفي منها بذكر مـــا لـــه علاقة ببحثنا هذا ، وهي :

أعَجَزتُ : ﴿ ... **قَالَ يَا وَيْلَتَى أَعَجَزْتُ أَنْ أَكُونَ مِثْلَ هَذَا الْغُرَابِ** .. ﴾ [3]

نُعجِزُ : ﴿ **وَأَنَّا ظَنَنَّا أَنْ لَنْ نُعجِزَ اللَّهَ فِي الأَرْضِ** ﴾ [4]

نُعجِزَهُ : ﴿ ... **وَلَنْ نُعْجِزَهُ هَرَبًا** ﴾ [5]

لِيُعجِزَهُ : ﴿ .. **وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُعْجِزَهُ مِنْ شَيْءٍ فِي السَّمَاوَاتِ وَلا فِي الأَرْضِ** .. ﴾[6]

---

(١) **مراجعي في هذه الخلاصة اللغوية هي :**

١- القاموس الإسلامي / أحمد عطية الله / ج٥ ص٢٨٨.

٢- معجم ألفاظ القران الكريم / أمين الخولي / أحد أعضاء مجمع اللغة العربية الذي أشرف علـــى إخراج الجزء الرابع من هذا المعجم . ج٤/ص١٩٣.

٣- ترتيب القاموس المحيط / طاهرأحمد الزاوي / ج٣/ص١٦١.

٤- القاموس المحيط / الفيروز أبادي / ج٢/ص١٨٧.

٥- لسان العرب / ابن منظور / ج٧/ ص٢٣٦.

٦- معجم متن اللغة / أحمد رضا / ج٤/ص٣٤.

٧- تاج العروس السيد محمد مرتضي الزبيدي / ج٤/ ص٤٩.

المفردات في غريب القرآن / الراغب الأصفهاني / ص٣٢٢.

(٢) المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم ، ص ٤٤٦ .

(٣) سورة المائدة ، الآية (٣١) .

(٤) سورة الجن ، الآية (١٢) .

(٥) سورة الجن ، الآية (١٢) .

(٦) سورة فاطر ، الآية (٤٤) .

يُعجزُونَ : ﴿ وَلا يَحْسَبَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا سَبَقُوا إِنَّهُمْ لا يُعْجِزُونَ ﴾ [١]

مُعَاجِزِينَ : ﴿ وَالَّذِينَ سَعَوْا فِي آيَاتِنَا مُعَاجِزِينَ أُولَئِكَ أَصْحَابُ الْجَحِيمِ ﴾ [٢]

﴿ وَالَّذِينَ سَعَوْا فِي آيَاتِنَا مُعَاجِزِينَ أُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ مِنْ رِجْزٍ أَلِيمٌ ﴾ [٣]

﴿وَالَّذِينَ يَسْعَوْنَ فِي آيَاتِنَا مُعَاجِزِينَ أُولَئِكَ فِي الْعَذَابِ مُحْضَرُونَ ﴾ [٤]

بِمُعْجِزٍ : ﴿ وَمَنْ لا يُجِبْ دَاعِيَ اللَّهِ فَلَيْسَ بِمُعْجِزٍ فِي الأَرْضِ .. ﴾ [٥]

مُعْجِزِي : ﴿ ... وَاعْلَمُوا أَنَّكُمْ غَيْرُ مُعْجِزِي اللَّهِ ... ﴾ [٦]

﴿ ... وَإِنْ تَوَلَّيْتُمْ فَاعْلَمُوا أَنَّكُمْ غَيْرُ مُعْجِزِي اللَّهِ ... ﴾ [٧]

مُعْجِزِينَ : ﴿ إِنَّ مَا تُوعَدُونَ لآتٍ وَمَا أَنْتُمْ بِمُعْجِزِينَ ﴾ [٨]

﴿ ... قُلْ إِي وَرَبِّي إِنَّهُ لَحَقٌّ وَمَا أَنْتُمْ بِمُعْجِزِينَ ﴾ [٩]

﴿ أُولَئِكَ لَمْ يَكُونُوا مُعْجِزِينَ فِي الأَرْضِ ... ﴾ [١٠]

﴿ قَالَ إِنَّمَا يَأْتِيكُمْ بِهِ اللَّهُ إِنْ شَاءَ وَمَا أَنْتُمْ بِمُعْجِزِينَ ﴾ [١١]

﴿ أَوْ يَأْخُذَهُمْ فِي تَقَلُّبِهِمْ فَمَا هُمْ بِمُعْجِزِينَ ﴾ [١٢]

---

(١) سورة الأنفال ، الآية (٥٩) .

(٢) سورة الحج ، الآية (٥١) .

(٣) سورة سبأ ، الآية (٥) .

(٤) سورة سبأ ، الآية (٣٨) .

(٥) سورة الأحقاف ، الآية (٣٢) .

(٦) سورة التوبة ، الآية (٢) .

(٧) سورة التوبة ، الآية (٣) .

(٨) سورة الأنعام ، الآية (١٣٤) .

(٩) سورة يونس ، الآية (٥٣) .

(١٠) سورة هود ، الآية (٢٠) .

(١١) سورة هود ، الآية (٣٣) .

(١٢) سورة النحل ، الآية (٤٦) .

﴿ لا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا مُعْجِزِينَ فِي الأَرْضِ ... ﴾ [١]

﴿ وَمَا أَنْتُمْ بِمُعْجِزِينَ فِي الأَرْضِ وَلا فِي السَّمَاءِ ... ﴾ [٢]

﴿ سَيُصِيبُهُمْ سَيِّئَاتُ مَا كَسَبُوا وَمَا هُمْ بِمُعْجِزِينَ ﴾ [٣]

﴿ وَمَا أَنْتُمْ بِمُعْجِزِينَ فِي الأَرْضِ ... ﴾ [٤]

ويلاحظ من هذا الاستعراض لِعَجَزَ ومشتقاتها كما جاءت في القرآن الكريم أن لفظة " المعجزة والإعجاز " لم ترد مطلقاً في كتاب الله ، ويشير إلى هذا المعنى الأستاذ نعيم الحمصي حيث يقول :

" ولم يرد في القرآن لفظ (معجزة) أو (إعجاز) ، وإنما جاء فيه ألفاظ (آية وبرهان وسلطان) ، وهذه الكلمات لا ترادف كلمة معجزة ، ولا تشمل معنى الإعجاز المفهوم منها ، وإما تدل على جزء من معناها الذي يشمل أكثر من معنى جزئي واحد، وهذا الجزء يقابل كلمة الدليل أو الحجة ، بمعنى أن حادثة من الحوادث هي دليل نبوُّة أحد الأنبياء أو دليل الألوهية ، ولا يدل على أكثر من ذلك ، أما كلمة معجزة فتدل على أمر خارق للعادة يكون دليلا على نبوُّة أحد الأنبياء دون غيره ، ويَعجَزُ غيرُه من الخلق عن الإتيان بمثله ، ومن الصعب جداً أن نحدد الزمان أن المكان أو الأثر الذي استعملت فيه كلمة معجزة أو إعجاز أول مرة بهذا المعنى الاصطلاحي الفني ".[٥]

تاريخ استعمال لفظة الإعجاز والمعجزة :

مما سبق يظهر لنا أن هاتين الكلمتين لم تكونا شائعتي الاستعمال في عهد النبي صلى الله عليه وسلم ، ولا في عهد أصحابه وتابعيهم ، وإنما جاء استعمالها متأخراً

---

(١) سورة النور ، الآية (٥٧) .

(٢) سورة العنكبوت ، الآية (٢٢) .

(٣) سورة الزمر ، الآية (٥١) .

(٤) سورة الشورى ، الآية (٣١) .

(٥) فكرة إعجاز القرآن منذ البعثة النبوية حتى عصرنا الحاضر ، ص٧ .

نظراً لكثرة المناقشة فيهما والاسترسال في فهم أقصى ما تدل عليه كلمة معجزة من معان .

وقد أشار الحمصي أيضاً إلى أول كتاب أُلِّفَ مُعنونَاً باسم (إعجاز القرآن) وذلك حيث يقول : " وأول كتاب عُنونِ باسم (إعجاز القرآن) فيما نعلم هو كتاب محمد بن يزيد الواسطي (ت ٣٠٦هـ) ، ومن الواضح أنه أُلِّف في أواخر القرن الثالث من الهجرة أو في مطلع القرن الرابع ، وقد وردت فيه كلمة (معجزة) ، ثم أخذت كلمات (آية وبرهان وسلطان) تقل بعد ذلك في الاستعمال وتحل محلها كلمة (معجزة) في بحث مسألة النبوة وقضية الإعجاز .

ومن أصعب الأمور الآن أن نبين الأطوار والمراحل التي مرت بها كلمتا معجزة وإعجاز [١] .

وهكذا فقد ظهر لنا في هذه الخلاصة الموجزة لمحات ومعالم عن معناهما اللغوي وأصلهما التاريخي ومدى استعمال القرآن لمادة (عَجَزَ) الاشتقاقي .

ب) تعريفهما اصطلاحاً :

اختلفت تعريفات العلماء للمعجزة في الاصطلاح وإليك ثلاثة نماذج منها :

١- عرفها السيوطي بقوله : " اعلم أن المعجزة أمر خارق للعادة مقرون بالتحدي سالم عن المعارضة " [٢].

٢- وعرفها الإمام عبد القاهر البغدادي بقوله : " وحقيقة المعجزة عند المتكلمين : ظهور أمر خلاف العادة في دار التكليف لإظهار صدق ذي نبوّة من الأنبياء أو ذي كرامة من الأولياء مع نكول من يُتحدى به عن المعارضة " [٣] .

---

(١) نفس المرجع ، ص٨ .

(٢) الإتقان في علوم القرآن ، ج٢ ، ص ١١٦.

(٣) أصول الدين ، ص ١٧٠.

وانظر توضيح العقيدة في رؤية الله تعالى والقدر والنبوة ، عبد العزيز سيف النصر ، ص٢٩٥.

٣- وعرفها الدكتور محمد أبو الغيط والدكتور محمد روّاس قلعجي في كتابهما فقالا: " والمعجزة عند علماء العقيدة : أمر خارق للعادة يظهره الله على يد مدعي النبوّة على وفق مرداه تصديقاً له في دعواه ، مقروناً بالتحدي مع عدم المعارضة"(١)

وبالنظر في هذه التعاريف الثلاثة ندرك ما يلي :

١- إن تعريف السيوطي للمعجزة تعريف غير مكتمل للأركان والشروط ، فمثلا لم يبين من هو المختص بالمعجزة ، وما هو وقت ظهورها ، ولم يذكر شرط موافقتها لدعواه حتى يتحقق صدق المدعي للنبوّة أو كذبه .

٢- وبالنظر في تعريف البغدادي ندرك أنه لم يجعل فارقاً بين معجزة النبي وكرامة الولي ، في حين أن الفرق بينهما كبير ، ويظهر عدم التفريق هذا من قوله : "لإظهار صدق ذي نبوّة من الأنبياء أو ذي كرامة من الأولياء" وهذا خلط لا يجوز ، إذ إن المعجزة خاصة بالأنبياء ، والكرامة تكون للأولياء كما تكون للأنبياء أيضاً ، وما نحن بصدده هنا هو تعريف بالمعجزة خاصةً ، فلا مجال لإدراج الكرامة وتسميتها معجزة .

٣- أما التعريف الثالث فهو وإن كان أشملَ وأدقَّ من التعريفين السابقين إلا أنه في حاجة لأن يُقيَّد بزمن التكليف احترازاً عن زمن نقض العادة وانتهاء التكليف وذلك بظهور أشراط الساعة كطلوع الشمس من المغرب ، فلو ادعى أحد أن معجزته الدالة على صدق نبوّته طلوع الشمس من مغربها فإنه لا يُشهد له بصدق دعواه لأنه زمن نقض العادات وانتهاء التكليف .

إذن فالتعريف الأكمل والأشمل والأدق في نظري هو : " أن المعجزة أمر خارق للعادة يظهره الله على يد مدعي النبوّة على وفق مراده تصديقاً له في دعواه مقروناً بالتحدي مع عدم معارضته ، وذلك كله في زمن التكليف ".

---

(١) العقيدة الإسلامية في مواجهة المذاهب الهدامة / ص ١٨٣.

هذا بالنسبة لتعريف المعجزة ، أما تعريف (الإعجاز) فإنه يتضح من تعريف المعجزة أن المراد بقولنا (إعجاز القرآن) : (أي كونه أمراً خارقاً للعادة لم يستطع أحد معارضته رغم تصدي الناس له)[1] .

ولا يتحقق الإعجاز إلا بأمور ثلاثة [2]:

(١) التحدي وهو طلب المنازلة والمعارضة .

(٢) وجود المُقتَضي الذي يدفع المُتحدَّى إلى المنازلة .

(٣) عدم وجود مانع من المباراة .

وإذا أردنا أن نتبين صحة إعجاز القرآن الكريم فلا بد أن نطبق كل شرط من هذه الشروط على القرآن الكريم ليتضح لنا إعجازه بجلاء ووضوح وبالمحاولة ندرك ما يلي :

١- أن الشرط الأول متحقق وذلك أن القرآن قد دعاهم للتحدي وهو طلب المجيء بمثل هذا القرآن ، أو بعشر سور مثله ، ثم أرخى لهم العنان إلى سورة من مثله ، ويظهر لنا هذا التحدي في قوله تعالى : **﴿ أَمْ يَقُولُونَ تَقَوَّلَهُ بَل لا يُؤْمِنُونَ . فَلْيَأْتُوا بِحَدِيثٍ مِثْلِهِ إِنْ كَانُوا صَادِقِينَ ﴾** [3] ، وقوله : **﴿ أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ قُلْ فَأْتُوا بِعَشْرِ سُوَرٍ مِثْلِهِ مُفْتَرَيَاتٍ وَادْعُوا مَنْ اسْتَطَعْتُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ كُنتُمْ صَادِقِينَ ﴾**[4] ، وقوله : **﴿ أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ قُلْ فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِثْلِهِ وَادْعُوا مَنْ اسْتَطَعْتُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ كُنتُمْ صَادِقِينَ﴾**[5] ، وقوله :**﴿ أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ قُلْ فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِثْلِهِ وَادْعُوا مَنْ**

---

(١) فكرة إعجاز القرآن منذ البعثة النبوية حتى عصرنا الحاضر / نعيم الحمصي / ص٩ .

(٢) انظر أصول الدين الإسلامي / الدوري / ص٢٨٣، وانظر التبيان في علوم القرآن / الصابوني / ص٩٢ ، وانظر علم أصول الفقه / عبد الوهاب خلاف / ص٢٥.

(٣) سورة الطور ، الآيتان (٣٣ ، ٣٤) .

(٤) سورة هود ، الآية (١٣) .

(٥) سورة يونس ، الآية (٣٨) .

استَطَعتُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ كُنتُمْ صَادِقِينَ . فَإِنْ لَمْ تَفْعَلُوا وَلَنْ تَفْعَلُوا فَاتَّقُوا النَّارَ الَّتِي وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ أُعِدَّتْ لِلْكَافِرِينَ ﴾[١]

فلما ثبت عجزهم إذ لم يأتوا بشيء مما تحداهم به سجل عليهم هذا العجز بقوله تعالى : ﴿ وَإِنْ كُنتُمْ فِي رَيْبٍ مِمَّا نَزَّلْنَا عَلَى عَبْدِنَا فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِنْ مِثْلِهِ وَادْعُوا شُهَدَاءَكُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ كُنتُمْ صَادِقِينَ . . قُلْ لَئِنْ اجْتَمَعَتْ الإِنسُ وَالْجِنُّ عَلَى أَنْ يَأْتُوا بِمِثْلِ هَـذَا الْقُرْآنِ لا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا ﴾[٢] .

٢- أما الشرط الثاني وهو وجود المقتضي للمعارضة ، فهو متحقق إذ إن محمداً صلى الله عليه وسلم ادعى أنه رسول الله إليهم ، وأنه جاءهم بكتاب من عند الله ، يسفه به أحلامهم ، ويطعن به في عباداتهم ومعتقداتهم ، وكان هذا ما يثير غضبهم ، لكنهم بدل أن يبطلوا حجته فيأتوا بمثله أو بسورةٍ من مثله ، ذهبوا يتهمونه بالشعر والسحر والكهانة والجنون وأن الذي يعلمه بشرٌ ، بل قالوا بأنه أضغاثُ أحلامٍ ، وأنه أساطير الأولين ... وقد وصف الله حالهم هذا بقوله : ﴿ وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ هَـذَا إِلا إِفْكٌ افْتَرَاهُ وَأَعَانَهُ عَلَيْهِ قَوْمٌ آخَرُونَ ... ﴾[٣] ، ﴿ وَقَالُوا أَسَاطِيرُ الأَوَّلِينَ اكْتَتَبَهَا فَهِيَ تُمْلَى عَلَيْهِ بُكْرَةً وَأَصِيلاً ﴾[٤] ، ﴿ وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّهُمْ يَقُولُونَ إِنَّمَا يُعَلِّمُهُ بَشَرٌ لِسَانُ الَّذِي يُلْحِدُونَ إِلَيْهِ أَعْجَمِيٌّ وَهَذَا لِسَانٌ عَرَبِيٌّ مُبِينٌ ﴾[٥] .

﴿ بَلْ قَالُوا أَضْغَاثُ أَحْلامٍ بَلْ افْتَرَاهُ بَلْ هُوَ شَاعِرٌ ... ﴾[٦] ، ﴿ وَلَمَّا جَاءَهُمْ الْحَقُّ قَالُوا هَذَا سِحْرٌ وَإِنَّا بِهِ كَافِرُونَ ﴾[٧] ، ﴿ وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ إِذْ قَالُوا مَا أَنزَلَ

---

(١) سورة البقرة ، الآيتان (٢٣ ، ٢٤) .

(٢) سورة الإسراء ، الآية (٨٨) .

(٣) سورة الفرقان ، الآية (٤) .

(٤) سورة الفرقان ، الآية (٥) .

(٥) سورة النحل ، الآية (١٠٣) .

(٦) سورة الأنبياء ، الآية (٥) .

(٧) سورة الزخرف ، الآية (٣٠) .

اللَّهُ عَلَى بَشَرٍ مِنْ شَيْءٍ ... ﴾ [١] ، ﴿ وَإِذَا تُتْلَى عَلَيْهِمْ آيَاتُنَا بَيِّنَاتٍ قَالُوا مَا هَـذَا إِلا رَجُلٌ يُرِيدُ أَنْ يَصُدَّكُمْ عَمَّا كَانَ يَعْبُدُ آبَاؤُكُمْ وَقَالُوا مَا هَذَا إِلا إِفْكٌ مُفْتَرًى وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِلْحَقِّ لَمَّا جَاءَهُمْ إِنْ هَذَا إِلا سِحْرٌ مُبِينٌ ﴾ [٢] ، ﴿ وَإِنْ يَكَادُ الَّذِينَ كَفَرُوا لَيُزْلِقُونَكَ بِأَبْصَارِهِمْ لَمَّا سَمِعُوا الذِّكْرَ وَيَقُولُونَ إِنَّهُ لَمَجْنُونٌ ﴾ [٣] .

وإليك حادثةً تبين هذه الحيرة وهذا القلق ، وكيف أنهم حريصون على تشويه الحق والطعن فيه بكل ما أُوتوا من كيدٍ وحقدٍ .

" اجتمع الوليد بن المغيرة مع قريش ليتشاوروا بينهم في أمر محمد صلى الله عليه وسلم ، فقال الوليد : يا معشر قريش إنه قد حضر هذا الموسم وإن وفود العرب ستقدم عليكم فيه ، وقد سمعوا بأمر صاحبكم هذا فأجمعوا فيه رأياً واحداً ولا تختلفوا فيكذب بعضكم بعضاً ، ويرد قولكم بعضه بعضاً . قالوا : فأنت يا أبا عبد شمس فقل ، وأقم لنا رأياً نقول به ، قال : بل أنتم قولوا أسمع . قالوا : نقول كاهنٌ ! قال لا والله ما هو بكاهنٍ ، لقد رأينا الكهان فما هو بزمزمة الكاهن ولا سجعه . قالوا : فنقول مجنونٌ ! قال ما هو بمجنونٍ ، لقد رأينا الجنون وعرفناه ، فما هو بخنقه ولا تخالجه ولا وسوسته. قالوا : فنقول شاعر ! قال : ما هو بشاعرٍ ، لقد عرفنا الشعر كله رجزه وهزجه وقريضه ومقبوضه ومبسوطه فما هو بالشعر . قالوا : نقول ساحر ! قال : ما هو بساحرٍ ، لقد رأينا السحّار وسحرهم فما هو بنفثهم ولا عقدهم . قالوا : فما تقول يا أبا عبد شمس ! قال : والله إن لقوله لحلاوةً وإن أصله لعذقٌ وإن فرعه لجَنَاهُ ، وما أنتم بقائلين من هذا شيئاً إلى عُرِفَ أنه باطلٌ ، وإن أقرب القول فيه أن تقولوا ساحرٌ جاء بقولٍ هو سحرٌ يفرق بين المرء وأبيه وبين المرء وأخيه وبين المرء وزوجته، وبين المرء وعشيرته.

---

(١) سورة الأنعام ، الآية (٩١) .

(٢) سورة سبأ ، الآية (٤٣) .

(٣) سورة القلم ، الآية (٥١) .

فتفرقوا عنه بذلك ، فجعلوا يجلسون بسبل الناس حين قدموا الموسم لا يمر بهم أحدٌ إلا حذروه إياه ، وذكروا لهم أمره ، وزينوا له الابتعاد عنه[1] .

وهكذا اختلف القوم فيما يصفون به محمداً صلى الله عليه وسلم ، وهم يدركون أن قولهم هذا اتهامٌ وكذبٌ وافتراءٌ على الحقيقة التي أدركوها .

وقد صرح بها الوليد نفسه حين نفى عن القرآن أن يكون كهانةً أو جنوناً أو شعراً أو سحراً ، إنه قد اعترف بالإعجاز القرآني وأنه حقٌ كاملٌ من عند الله تعالى ولكنها لا تعمى الأبصار ولكن تعمى القلوب التيْ في الصدور ، وصدق الحق حيث يقول : ﴿ وَجَحَدُوا بِهَا وَاسْتَيْقَنَتْهَا أَنْفُسُهُمْ ظُلْمًا وَعُلُوًّا ... ﴾[2] .

بهذا ندرك أن دوافع المعارضة كانت متوفرةً عند القوم بدليل هذه الحيرة وهذا القلق الشديدين ، ولكن القوم تركوا المعارضة والتجأوا لهذا الدعايات المشوّهة ، ولم يكن لهم من عذر وحجة في ترك المعارضة إلا أن قالوا : ﴿ ... قَدْ سَمِعْنَا لَوْ نَشَاءُ لَقُلْنَا مِثْلَ هَذَا إِنْ هَذَا إِلا أَسَاطِيرُ الأَوَّلِينَ ﴾[3] ، إلا أن هذا الادعاء لم يسلم لهم به ، خاصة بعد أن قرعت أسماعهم آيات التحدي ، فقال تعالى : ﴿ فَإِلَّمْ يَسْتَجِيبُوا لَكُمْ فَاعْلَمُوا أَنَّمَا أُنزِلَ بِعِلْمِ اللَّهِ وَأَنْ لا إِلَهَ إِلا هُوَ فَهَلْ أَنْتُمْ مُسْلِمُونَ ﴾[4]

٣- أما الشرط الثالث وهو عدم وجود مانعٍ من المباراةِ والمنازلةِ لأن يأتوا بمثل هذا القرآن ، فلم يُعلم بوجود مانع منعهم ، ولا وجود صارفٍ صرفهم ، ولا حائل حال بينهم وبين هذه المعارضة ، فهم أهل الفصاحةِ والبلاغةِ والبيانِ ، معلوم ذلك من شعرهم ونثرهم ، وقد كان القرآن بلسانهم ولغتهم التي عهدوها وبرّزوا فيها ، وقد كانت معاني القرآن واضحةً لديهم حيث كانوا أهل خبرةٍ وتجاربٍ وذكاءٍ ، وقد كان

(١) السيرة المحمدية الخالدة ، أحمد خلف الله ،ص٢٨١،وانظر كذلك (المعجزة الكبرى) محمد أبو زهرة ، ص٦٨.

(٢) سورة النمل ، الآية (١٤) .

(٣) سورة الأنفال ، الآية (٣١) .

(٤) سورة هود ، الآية (١٤) .

مجال التحدي واسعاً ، فلم ينزل القرآن جملةً واحدةً بل نــزل منجمــاً خــلال ثــلاث وعشرينَ سنةً ليتسعَ لهم مجالُ المعارضةِ.

وبهذا فقد تحققت شروطُ الإعجازِ الثلاثةِ في القرآن الكريم ، إذاً فالإعجاز ثــابتٌ للقرآن ثبوتاً قطعياً ، وهو واضحٌ وضوحَ الشمسِ في رابعةِ النهار.

ثانياً : شروط المعجزة :

لقد تحدث المتحدثون عن شروط المعجزة ، وهم ما بين موجزٍ ومسهبٍ وذلــك زيادة في توضيحها وتحديدها ، واحترازاً من دخول غيرها فيها ، وقــد عــدُّوا هــذه الشروط أساسية لا بد منها لكي تؤدي المعجزةُ وظيفتها وتكون دليلاً على صدق النبوة، فذكروا عدة نقاط يحسن بنا استعراضها والوقوف عليها ليزداد الأمر جــلاءً وبيانــاً ، وهي :

١- أن تكون المعجزة من فعل الله تعالى ، أو ما يجري مجرى فعله ، وليس للنبــي فيها يدٌ وإن كانت قد جرت على يديه.

ومثال ما يجري مجرى فعله : إذا قال النبي معجزتي أن أضــع يــدي علــى رأسي وأنتم لا تقدرون – أي على وضع أيديكم على رؤوسكم – فإن فعل وعجــزوا عن ذلك فإنه معجزٌ دالٌ على صدقه.

ومنهم مَن عبَّرَ عن هذا الشرط بقوله : " أن تكون أمراً من الله تعالى ليصــدّق مدعي النبوة " ، والأمر يشمل :

أ) **القول** : كالقرآن .

ب) **الفعل** : كنبع الماء من بين أصابع الرسول صلى الله عليه وسلم .

ج) **الترك** : كعدم إحراق النار لإبراهيم الخليل عليه السلام " [١]

(١) الدكتور قحطان الدوري في (أصول الدين الإسلامي) ، ص ٢٦٨.

٢- قال القرطبي : " ومن شروطها أن تكون مما لا يقدر عليها إلا الله سبحانه ، وإنما وجب حصول هذا الشرط للمعجزة لأنه لو أتى آتٍ في زمانٍ يصح فيه مجيء الرسل وادعى الرسالة ، وجعل معجزته أن يتحركَ ويسكُنَ ويقومَ ويقعدَ لم يكن هذا الذي ادعاه معجزةً له ، ولا دالاً على صدقه ، لقدرة الخلق على مثله ، وإنما يجب أن تكون المعجزات كفلْق البحرِ، وانشقاقِ القمرِ وما شاكلها مما لا يقدرُ عليها البشر " [١] .

٣- أن تكون المعجزة ناقضةً للعادة التي اعتاد عليها الناس ، وهذا يفيد أن غير الخارق لا يكون معجزةً ، كما إذا قال آية صدقي طلوعُ الشمس مِن حيث تطلعُ وغروبُها من حيث تغربُ ، لأن هذا من الأمور المعتادة ، أما مثال نقض العادة : كما لو قال : الدليل على صدقي في الرسالة أن يقلبَ اللهُ هذه العصا ثعباناً ، ويَشُقّ الحجرَ ويُخرِجَ من وسطه ناقةً ، أن ينبع الماء من بين أصابعي ، أو ما سوى ذلك من الآياتِ الخارقةِ للعاداتِ التي ينفردُ بها جبارُ الأرضِ والسمواتِ .

٤- قال القرطبي : " ومن شروطها أن يستشهد بها مدعي الرسالة على الله عز وجل . فيقول : آيتي أن يقلبَ اللهُ سبحانه هذا الماء زيتاً ، أو يحرك الأرض عند قولي لها تزلزلي ، فإذا فعل اللهُ سبحانه ذلكَ حصلَ المُتَحدي به " [٢] .

٥- أن يَظهَرَ الأمرُ الخارقُ على يد مدعي النبوة أو الرسالة ، فإن لم يكن مَنْ ظَهَرَ ذلك على يديه مدعياً للنبوة أو الرسالة ، فلا يكون معجزةً . وقد خرج بهذا الشرط الأمور التالية :

أ) **الإهانة** : وهي ما يظهر على يد فاسقٍ أو كافرٍ كما وقع لمسيلمة الكذاب حين بصق في عين أعور لتبرأ فعميت الصحيحة .

---

(١) الجامع لأحكام القرآن ، ج١، ص٧٠.

(٢) الجامع لأحكام القرآن ، ج١، ص٧١ .

ب) **الاستدراج** : وهو ما يظهر على يد فاسقٍ أو كافرٍ خديعةً أو مكراً بـــه ، أي استدراجاً لهم وزيادةً في غيهم حتى يأتيهم أمر الله وهم غافلون مثال ذلك خوارق الدجال في آخر الزمان .

ج) **المعنوية** : وهي ما يظهر على يد العوام تخليصاً لهم من شدة .

د) **الكرامة** : وهي أمرٌ خارقٌ للعادة تَظْهرُ على يد الولي غـــير مقرونـةٍ بدعوى النبوة. وذلك كما حدث للسيدة مريم عليها السلام مـــن وجــود الرزق عندها من غير أن يأتي به أحد إليها .

٦- أن تكون هذه المعجزة مقارِنةً لدعوى النبوة أو الرسالة ، فــلا يجــوز أن تكــون متقدمةً عليها ، ولا أن تكون متأخرةً عنها تأخراً يُعلم أن لا علاقة بينهما . ويخرج بهذا الشرط الإرهاصُ ، وهو ما يكون قبل النبوة والرسالة تأسيساً لها كإظلال الغمام لمحمدٍ صلى الله عليه وسلم قبل البعثة ، وكشق صدره في صغره صلى الله عليـــه وســلم ، وككلام عيسى عليه السلام في المهد ، فهذه ليست من باب المعجزة ، وإنما هي مـــن باب الإرهاص ، أي الاستعداد لتلقي الرسالة من الله تعالى ولتهيئة الناس وتفهيمهم بأن هذا الشخص سيختاره الله ويصطفيه لنبوته.

٧- أن تكون موافقةً لدعوى النبوة وذلك كما لو قال المدعي للرسالة آيةُ نبوتي ودليلُ صدقي انفلاق البحر ، فانفلق الجبل لم يدل هذا الأمر على صدقه في دعواه .

٨- أن لا تكون مكذبةً له في دعواه ، كما لو قال معجزتي نطق هذا الجماد فنطق بأنه مفترٍ كذابٍ ، فالنطق هنا أمرٌ خارقٌ للعادة ظهر على يد مدعي النبوة ، ومـــن أجـل دعواه ، ولكنه مخالفٌ له في دعواه، حيث شهد بكذبه ، فخرج هذا الخـــارق مــن أن يكون معجزةً ، لأن المعجزة من شأنها تصديق النبي ، وهذا لم يصدقه بل كذبه .

٩- أن تتعذر معارضته ، أي يتعذر على المُتحَدَّى به فعل مثله . فلو ادعى شـــخصٌ النبوة، وأتى بعمل من الأعمال دليلاً على صدقه ، فظهر من عارضه بذلك ، لم يكــن ذلك الفعل الذي أتى به المدعي للنبوة معجزةً ، وإنما يكون معجزةً عندما يعجز النــاس جميعاً عن المجيء بمثله ، وبهذا الشرط يخرج ما يلي :

أ) **السحر** : حيث يبدو في ظاهره أنه أمر خارق للعادة ، ولكنه في الحقيقة ليس كذلك إذ إنه أمرٌ يمكن تعلم قواعده ومعرفته بالممارسة .

ب) **الكهانة** : وهي التنبوء بالمغيَّبات بالظن والتخمين .

ج) **الشعوذة** : وهي خفة في اليد يُرى أن لها حقيقة ولا حقيقة لها ، كما يقع للحواة (جمع حاوٍ) .

د) **غرائب المخترعات** : فإنها ليست من خوارق العادات ، وإنما هي أمورٌ عاديةٌ تخضع لقواعدَ علميةٍ يعرفها من تعلمها ويتقنها من مارسها .

١٠- أن يكون ذلك في زمن التكليف ، فما يفعله الله قرب يوم القيامة من الخوارق على خلاف العادة ليس من المعجزات ، لأن ما يَظْهَرُ عند ظهورِ أشراطِ الساعةِ وانتهاءِ التكاليفِ لا يَشْهَدُ بصدق الدعوى ، لأنه زمان نقض العادات (١) .

وهكذا تتحدد المعجزة بشروطها ، فإذا اختل شرطٌ طعن ذلك في حجيتها ودلالتها .

ثالثا : طريق العلم بمعجزات الأنبياء وحكم الإيمان بها:

إن الذين عاصروا الأنبياء وشاهدوا معجزاتهم عند ظهورها يعرفون وجه الإعجاز فيها بعجز الخصوم عن معارضتها بمثلها مع حرصهم على التكذيب .

---

(١) مراجعي في جملة هذه الشروط هي :

١- الجامع لأحكام القرآن / القرطبي / ص٦٩.

٢- أصول الدين / الإمام عبد القاهر البغدادي/ ص١٧١.

٣- (توضيح العقيدة في رؤية الله تعالى والقدر النبوة) / عبد العزيز سيف النصر / ص٢٩٦.

٤- (العقيدة الإسلامية في مواجهة المذاهب الهدامة) / د.محمد أبو الغيط ، د.محمد رواس/ص١٨٣.

٥- أصول الدين الإسلامي / د. قحطان الدوري / ص٢٦٩.

٦- روائع الإعجاز في القصص القرآني / محمود السيد حسن / ص ٢٤.

وأما الذين غابوا عنها فلم يعاصروها فيعلمون وجودها بالأخبار المتواترة الموجبة للعلم الضروري بها ،فإذا ما عرفوا وجودها بالتواتر ،ولم ينقل إليهم معارضةٌ لها علموا أنها كانت في وقتها معجزة دالة على صدق من ظهرت على يديه [1].

أما عن حكم الإيمان بها : فمن المعجزات ما ثبت بالقرآن و الأخبار المتواترة –وهو ثبوت قاطع لا شك فيه – ولذلك يجب الإيمان بها ، ومنكرُها كافر لإنكاره أمراً ثبت من الدين بالضرورة ، وذلك مثل القرآنِ الكريم والإسراءِ وانشقاقِ القمر ، ومنها ما ثبت بطريق الآحاد . والثبوت بطريق الآحاد لا يفيد القطع بل الظن . ولذلك يجب الإيمان بها ، ولكن منكرها لا يعتبر كافراً ، بل يعتبر فاسقاً ، لأن الكفر لا يكون إلا بأمر قطعي الثبوت وقطعي الدلالة ، أما ظني الثبوت أو ظني الدلالة فإنه لا يثبت به الكفر لقول رسول الله صلى الله عليه وسلم : (إدرءوا الحدود بالشبهات) [2] ، وعدم القطع بثبوت الشيء ، أو عدم دلالته على المراد يعتبر ضعفاً فيه ، والضعف شبهة ، والشبهة دارئة للحد الواجب على الكفر [3] .

ويقول الدكتور قحطان الدوري : " الإيمان بأن الله تعالى قد أيد أنبياءه ورسله بالمعجزات واجب لا يجوز الاعتقاد بخلافه ، لأن إثبات النبوة لا يتم إلا باجتماع أمرين :

أولهما : ادعاؤه النبوة .

ثانيهما : إظهاره المعجزة لكي يظهر صدقه أمام من أُرسِلَ إليهم . **إلى أن يقول : إن طرق إثبات المعجزات صحيحة قطعاً وقد ورد بعضها في القرآن والبعض الآخر في الحديث الصحيح الذي قد يصل إلى درجة التواتر .**

---

(١) انظر كتاب (أصول الدين) / الإمام البغدادي / ص ١٧٩ .

(٢) سنن ابن ماجة- كتاب الحدود- باب (٥) – حديث رقم (٢٥٤٥)/ ج٢/ ص٥٨٠.

(٣) انظر (العقيدة الإسلامية في مواجهة المذاهب الهدامة) / د. محمد أبو الغيط ود.محمد رواس قلعة / ص ١٨٦.

فإنكارها هو إنكار للقرآن وصحيح الروايات من الحديث الشريف ، وبالتالي إنكار كل ما ورد من أخبارٍ دينيةٍ وصلتنا بطرقٍ صحيحةٍ متواترةٍ ولو من زمن الجيل الذي سبقنا .

وإن تجاهل المعجزات وعدمَ الإيمان بها يُعتبر الخطوة الأولى لإنكار الغيبيات وفي مقدمتها الإيمان بالله تعالى ، وفي ذلك هدمٌ للشريعةِ الإسلاميةِ من الأساس " [١].

رابعاً : أقسام المعجزات :

لقد نالت المعجزة عدةَ تقسيماتٍ بعدةِ اعتباراتٍ وإليك بعضها :

١- يقول الإمام عبد القاهر البغدادي : " وبناء على تعريف المعجزة وشروطها فإن المعجزات نوعان :

أحدهما : وجود فعلٍ غير معتادٍ فعله.

والثاني : تعجيز الفاعل عن فعل شيء معتاد فعله ، كمنع زكريا عليه السلام عن الكلام ثلاث ليالٍ بعد أن كان معتاداً له للدلالة على صحة ما بُشِّرَ به من الولد .

وأما النوع الأول : وهو وجود فعلٍ غير معتادٍ فعله فنوعان أيضاً :

أحدهما : لا يدخل تحتَ قدرةِ مَنْ هو معجزٌ له وفيه ، ولا تحتَ قدرةِ غيرِه من الخلق ، ولا يقدر عليه غير الله عز وجل ، وذلك مثل اختراعِ الألوانِ والحواسِ ، وإحياءِ الموتى وإبراءِ الأكمهِ والأبرصِ وقلبِ العصا حية .

والثاني : يدخل تحتَ قدرةِ مَنْ هو معجزٌ فيه وله ، لا على هذا الوجه الذي أظهره الله عليه ، وإن دخل مثلُ أبعاضيه وجنسهِ تحتَ قدرةِ العبادِ بأن يكتسبوه في أنفسهم ، وهذا مثل الكلام المنظوم نظم القرآن في فصاحتِه وبلاغتِه المفارقةِ لبلاغاتِ البلغاءِ ، وإن كان جنس العباراتِ ومفردات الألفاظِ وبعض أنواع التركيب منها مقدوراً للعباد " [٢] .

---

(١) أصول الدين الإسلامي / ص ٢٧٥.

(٢) أصول الدين / ص ١٧١.

٢- ويقول الدكتور عبد العزيز سيف النصر : " هناك من قال : إن المعجزة تنقسم إلى ثلاثةِ أقسامٍ : " قولٌ وفعلٌ وتركٌ ". فالقول كالقرآن الكريم ، الذي أيَّد اللهُ تعالى به سيدنا محمداً صلى الله عليه وسلم وطلب من العرب وهم أصحاب الفصاحة البلاغة أن يأتوا بمثله فعجزوا ، ثم طلب منهم أن يأتوا بعشر سور من مثله فعجزوا ثم طلب منهم أن يأتوا بأقصر سورة منه فعجزوا .

وأما الفعل فكانقلابِ العصا حية على يد موسى عليه السلام ، وإحياء الموتى بإذن الله على يد عيسى عليه السلام ، ونبعِ الماء من بين أصابع محمد صلى الله عليه وسلم وأما الترك فكعدم إحراقِ النارِ لسيدنا إبراهيم عليه السلام" [١] .

٣- يقول الدكتوران محمد أبو الغيط ومحمد روّاس : " ونحن لو استقرأنا المعجزات التي أجراها الله تعالى على أيدي رسله الكرام لأمكننا تصنيفها إلى صنفين :

الأول : المعجزات المادية المرئية أو الملموسة كانشقاقِ القمرِ ، ونبعِ الماء من بينِ أصابع رسولِ الله صلى الله عليه وسلم ، وردهِ لقتادة العين المقلوعة سليمةً ونحو ذلك ، وهذا النحو من المعجزات يحدث وينقضي ، فلا تتجاوز آثاره الزمن الذي حدثت فيه ، ولا تبقى بقاء الأيام .

الثاني : المعجزات المعنوية : وهي المعجزات التي لا تقع تحت بصر الإنسان أو حسه ، ولكن يتم إخبار الرسول بها . ويأتي القرآن في قمة المعجزات المعنوية فهو أعظمها أثراً وهو المعجزة الباقية لرسول الله صلى الله عليه وسلم ، وثم يتلوها معجزة الإسراء والمعراج التي أخبر رسول الله صلى الله عليه وسلم بحدوثها ، وقد كان لها أثر كبير في رسم البرنامج للحياة الإنسانية المستقبلة " [٢] .

---

(١) توضيح العقيدة في رؤية الله تعالى والقدر النبوة / ص ٣٠٢.

(٢) العقيدة الإسلامية في مواجهة المذاهب الهدامة/ ص ١٨٧.

٤- قال القرطبي : " اعلم أن المعجزات على ضربين :

الأول : ما اشتهر نقله وانقرض عصره بموت النبي صلى الله عليه وسلم .

الثاني : ما تواترت الأخبار بصحته وحصوله ، واستفاضت بثبوته ووجوده ، ووقـ لسامعها العلم بذلك ضرورة ... وهذه هي صفة نقل القرآن إلى أن يقول : فالقرآن معجزة نبينا صلى الله عليه وسلم الباقية بعده إلى يوم القيامة [(١)] .

وهكذا تنقسم المعجزات باعتبارات عدة ، فمن حيث اعتياد الإنسان على فعل مثلها وعدم اعتياده تنقسم إلى قسمين رئيسين ، ومن حيث إنها قول أو فعل أو ترك تنقسم إلى ثلاثة أقسام ، ومن حيث ماديتها ومعنويتها فإنها تنقسم إلى قسمين ، ومن حيث انقراضها وبقاؤها فإنها تنقسم إلى قسمين ، ولا تعارض ولا تناقض بين هذ التقسيمات ، فبأي اعتبارٍ قسَّمتَ فهو تقسيمٌ صحيحٌ مقبولٌ .

خامساً : مدى حاجة النبي إلى المعجزة :

لا بد للنبي من إظهار معجزةٍ تدل على صدقه ، فإذا جاء بها وبان لقومه وجـ الإعجاز فيها لزمهم تصديقه وطاعته ، لأنها تفيد العلم بصدق النبي أو الرسول كمـ تفيد تصديق الله سبحانه وتعالى له ، فكأنها بمنزله أن يقول : جعلته رسولاً أو أنشأت الرسالة فيه ، ومعجزة واحدة تكفي للدلالة على صدقه ، ومن لم يؤمن به بعدها استحق العقاب[(٢)] .

ولقد تحدث كثيرٌ من العلماء مبيناً مدَى هذه الحاجة ، ومدَى أهميتـ وضرورتِها لكل نبيٍ مرسلٍ : من هؤلاء العلامةُ ابنُ أبي العزِ الحنفي[(٣)] والقاضي أبـ

---

(١) الجامع لأحكام القرآن / ج١/ص٧٢ .
وانظر : (أصول الدين الإسلامي) / الدوري/ ص ٢٨٠.

(٢) انظر : (أصول الدين) / البغدادي / ص ١٧٣. و(أصول الدين الإسلامي) / الدوري / ص ٢٧٤.

(٣) انظر (شرح العقيدة الطحاوية) /ص١٥٨.

بكر الباقلاني [١] ، وعمر بن محمد النسفي [٢] ، والقاضى عبد الجبار[٣] ، ومنم الشيخ محمد الغزالي[٤] ، والشيخ سيد سابق [٥] .

وبهذا ندرك مكانةَ المعجزةِ في تصديقِ الأنبياءِ وقبولِ دعوتِهم ، فهي الشاهدُ لهم بأنهم رسلُ اللهِ إلى خلقِهِ ، وهي الحجةُ البالغةُ على مَنْ بلغته هذه المعجزات ، ولم يسارع بقبول الحق واتباع الرسل .

نعم إنها تشهدُ وتقولُ بلسانِ حالِها عن اللهِ تعالى : صدق عبدي ورسولي فيما بلَّغ عني ، وإني قد أرسلتُه .

إنها سنة الله مع أنبيائه جميعاً أن يسوقَ بينَ أيديهم من الخوارقِ ما يلفتُ الأنظارَ إليهم، لذلك كانت ضروريةً وإظهارها واجباً ليتمَ به المقصودُ وتقامَ بها الحجةُ .

سادساً : بين معجزة النبي صلى الله عليه وسلم ومعجزات الأنبياءِ السابقين :

بالمقارنة بينَ معجزةِ نبيِّنا صلى الله عليه وسلم ومعجزاتِ الأنبياءِ السابقِينَ فإننا نجدُ بينَهما اتفاقاً وافتراقاً .

أما وجهُ الاتفاقِ فيتمثلُ في أن كل المعجزاتِ التي بُعِثَ بها الأنبياءُ بما فيها معجزة محمدٍ صلى الله عليه وسلم كانت من جنس ما اشتَهَرَ به أقوامُهم ، فلما كان قومُ فرعون قد اشتهروا بالعلوم الرياضية والطبيعية والسحر والصناعة ، بعث الله إليهم موسى بمعجزةٍ تناسب عقولهم واستعداداتهم الفكرية ، وهي العصا ، حيث تنقلب إلى حية تسعى ، وبهذه المعجزة يظهر الفارق بين قدرتهم البشرية المتمثلة في السحر وقدرة الله المعجزة .

---

(١) انظر (الإنصاف فيما يجب اعتقاده ولا يجوز الجهل به) / ص٦١. و(التمهيد في الرد على الملحدة والمعطلة والرافضة والخوارج والمعتزلة) /ص١١٤.

(٢) انظر (العقائد النسفية) / ص ٢٧٨.

(٣) انظر (المغني في أبواب التوحيد والعدل) / ج١٥/١٦٤.

(٤) انظر (عقيدة المسلم) / ص٢٣٩.

(٥) انظر (العقائد الإسلامية) /٢٠٨.

ولما كان الرومانيون قد اشتَهَروا بعلم الطب ، بعث الله إليهم عيسى عليه السلام بمعجزةِ إبراءِ الأكمه والأبرص وإحياءِ الموتى بإذن الله .

ولما كان العرب قد اشتَهَروا بعلومِ اللغةِ حتى بلغوا من الفصاحةِ والبلاغةِ والبيانِ درجةً لم تتفق لغيرهم من الأمم جعل اللهُ المعجزةَ الكبرى لمحمدٍ صلى الله عليه وسلم كتاباً معجزاً لهم ولسائر الخلق في نظْمه وأسلوبِه وفصاحتِه وبلاغتِه ، فقامت عليهم الحجةُ بأقوى مما قامت معجزات موسى وعيسى على قومهما .

وهكذا كان اختلاف المعجزات حسب اختلاف الناس فيما اشتهروا به ، إذ إن غايةَ المعجزةِ أن يرى الناسُ فيها صدقَ الرسولِ ، وقيامَ الدليل على صدقِ دعواه ، فكان لا بد أن تكونَ هذه المعجزةُ جارية مع تفكير من تتحداهم آخذة بقلوبهم وعقولهم وبهذا تستولي المعجزة على عقولِ الناسِ لتقومَ عليهم الحجةُ كاملةً ، فإما أن يؤمنوا ، وإما أن ينتظروا الهلاكَ الماحقَ الذي لا يبقي ولا يذر (١) .

وأما وجهُ الافتراقِ بينَ معجزةِ محمدٍ صلى الله عليه وسلم ومعجزاتِ الأنبياءِ السابقينَ فيتمثلُ في عدةِ نقاطٍ هي :

أ) إن معجزاتِ الأنبياءِ السابقينَ كانت شيئاً آخر غير رسالاتهم التي يبشرون بها ويدعون إليها ، فطب عيسى غير إنجيله ، وعصا موسى غير توراته ، وهذا بخلاف معجزةِ محمدٍ صلى الله عليه وسلم فقد جعلها الله شيئاً لا ينفصل عن جوهر الرسالة ، فحقائقُ الرسالةِ ودلائلُ صحتِها كتابٌ واحدٌ . فالقرآن إذن هو منهاجُ الشريعةِ ودليلُ النبوةِ والرسالةِ ، وذلك لتستمرَ هذه المعجزةُ باستمرارِ الرسالةِ إلى أن يرثَ الله الأرضَ ومَنْ عليها (٢) .

---

(١) انظر (روح الدين الإسلامي) / عفيف عبد الفتاح طبارة / ص ٢٨.
و(تأويل مشكل القرآن) / ابن قتيبة/ ص ١٢. و (تفسير القرآن الحكيم) محمد رشيد رضا / ج١/ ص٢١٧. و(الإعجاز في دراسات السابقين) عبد الكريم الخطيب / ص ٨٩.
(٢) انظر (عقيدة المسلم) / محمد الغزالي / ص ٢٤٣.

ب) إن معجزاتِ الأنبياءِ السابقينَ كانت متوافقةً مع طورِ طفولة أقوامهم العقلية حيث كانت مواكبةً لعقول تلك الأزمان ، مقصورةً على قدرها ، والآن بعد أن ترقى العقل وكثرت المعارفُ أصبح الدين بحاجةٍ إلى دلائل وبراهين غير البراهين السابقة ، فجاء الإسلام على غير ما كانت عليه الأديان التي قبله ، فسن نهجاً جديداً في البرهان على صحته ، وعلى أنه من عند الله ، فكان القرآن هو كتاب الله المعجز للبشريةِ بهدايتِه وتشريعِه وأسلوبِه ومعانيه التي تتميز بخلودها وبقائها على مر الزمن ، فواكب القرآنُ بذلك ترقي العقل البشري [1] .

ج) إن معجزاتِ الأنبياءِ السابقينَ الدالةَ على صدق نبوتِهم هي وقائع تقع ثم تنقضي وتفنى بفناءِ هؤلاءِ الأنبياءِ ، فيراها الذين عاصروهم وحدهم ، أما من يأتي بعدهم فَتُنْقَلُ إليهم أخبارُها فيضعف تأثيرُها عليهم ، وقد عَلِمَ اللهُ أن سلسلةَ النقلِ ستنقطعُ ، وأن ثقةَ بعضِ المتأخرينَ به ولا سيمَا بعد انقطاع سلسلته ستضعف وأن دلالتها على الرسالة ستضمحل ، فعجل المعجزة الكبرى لمحمدٍ صلى الله عليه وسلم من نوعٍ آخر ، جعلها قائمةَ تخاطبُ الأجيالَ ، يراها ويقرؤها الناسُ في كل عصر إلى قيام الساعة ، ألا وهي هذا الكتاب المعجز للخلق بما فيه من أنواعِ الإعجاز[2] .

٤- كانت معجزاتُ الأنبياءِ السابقينَ حسيةً ماديةً ، يوم أن كانت العجائب تبلغ نفسيةِ الجماهيرِ مبلغاً لا تملك معه إلا الإذعان والتسليم . فكانت معجزةُ نبي الله صالح - عليه السلام - ناقةً أخرجها لهم من صخرة ، وكانت معجزةُ موسى- عليه السلام- من بلب قلب الحقائق ، فانقلبت العصا له حية ، وكانت معجزةُ عيسى - عليه السلام - شفاء المرضى المعوقين وإحياء الموتى . ولكن لما بلغت الإنسانية الرشد بفكرها ونُضْج عقلِها لم تعد تلك العجائب هي الأدلة الوحيدة على صدق الرسالة .

---

(١) انظر (روح الدين الإسلامي) / عفيف طبارة / ص ٢٨.

(٢) انظر (المعجزة الكبرى : القرآن) / محمد أبو زهرة / ص١٤. و(تفسير القرآن الحكيم الشهير بتفسير المنار) / محمد رشيد رضا/ ج١/ص٢١٧ ، و (روح الدين الإسلامي) / عفيف طبارة / ص ٢٨.

ولذلك جعل الله معجزةَ خاتمِ الأنبياءِ علميةً عقليةً هدايةً للعقل ، وتقديراً لمكانته وعزته ، فأيده الله بهذا القرآن العظيم الذي لا يُدرَكُ إلا بالتأمل والتدبر ، وإن كان قائماً ثابتاً في الوجود من غير ريب [1] .

وبهذا فقد أدركنا مواطنَ الاتفاقِ والافتراقِ بينَ معجزةِ محمدٍ صلى الله عليه وسلم ومعجزاتِ الأنبياءِ السابقينَ ، وندرك بذلك مكانةَ المعجزةِ الكبرى التي أيد الله بها محمداً صلى الله عليه وسلم ، والتي غَيَّر بها نفوساً وأحيا بها قلوباً ، وأنارَ بها بصائرَ، وربى بها أمةً ، وكوّن دولةً في سنين تُعَدُّ على الأصابع .

وهكذا إن كان قلب العصا حية معجزة ، فإن تغيير العقول والقلوب أبلغ في الإعجاز، وإن كان إحياء الميت من الخوارق التي أيد الله بها بعض أنبيائه فإن إحياء أمةٍ أميَّةٍ من الجهل والرذيلة ، وجعلها مصدرَ إشعاعٍ وهدايةٍ هو الخارق الذي تتضاءل في جوانبه جميعُ المعجزاتِ [2] .

سابعاً : هل معجزة النبي صلى الله عليه وسلم محصورة في القرآن ؟ :

وللإجابة عن هذا السؤال نقول : إن الناس في معجزاته صلى الله عليه وسلم سوى معجزة القرآن- ما بين مثبتٍ ونافٍ .

فالمثبتون نظروا في تعريف المعجزة وشروطها ، فأدركوا بذلك أن معجزاته صلى الله عليه وسلم غيرُ محصورةٍ في القرآن الكريم ، بل هي أكثر من ذلك وأشمل ، فكل أمرٍ خارقٍ للعادةِ يَظْهَرُ على يدِ مدعي النبوةِ على وجهٍ يبينُ صدقِ دعواه فهو معجزةٌ ، وعلى هذا فإن معجزاتِه صلى الله عليه وسلم كثيرةٌ ، وهي تمثل المعجزات المادية لمن ضَعُفت بصيرتُه [3] .

---

(١) انظر (العقائد الإسلامية) سيد سابقَ / ص ٢١٥ . وكتاب (معترك الأقران في إعجاز القرآن) السيوطي/ ج١/ص١. (والعقيدة الإسلامية في مواجهة المذاهب الهدامة) / د. محمد أبو الغيط ود. محمد روّاس /ص١٩٥.و(المعجزة الكبرى : القرآن) محمد أبو زهرة / ص١٤.

(٢) انظر (العقائد الإسلامية) سيد سابق / ص٢٢٠.

(٣) انظر (أعلام النبوة) الماوردي / ص٥٩ .

وأما النفاة ، فمنهم من تطرف في ذلك وابتعد عن الصواب [١] ، ويتحدث عن هذا الاتجاه الدكتور محمد سعيد البوطي في كتابه (فقه السيرة) [٢] ، ومنهم من فرق بينَ المعجزةِ المُتَحَدى بها والمعجزةِ التي لِم يُتَحَد بها ، معتبرين أن هذه المعجزات المادية غير مُتحدًى بها [٣] .

وأرى أن هذه هي معجزاتٌ ماديةٌ أيد اللهُ بها نبيَهُ صلى الله عليه وسلم ولا أرى وجهاً لهذا التفريق بينَ المعجزةِ المُتحدَّى بها وغير المُتحدَّى بها فكلها من مؤيدات النبوة وإن لم يُتَحدَّوا بها صراحةً .

وإذا أردتَ الوقوف على بعض هذه المعجزات المادية فإليك مظانها وهي :

١- المعجزات المحمدية [٤] : وقد ذكر فيه مصنفه ما ينيِف على المائةِ معجزة للنبي صلى الله عليه وسلم .

٢- معجزات المصطفى عليه الصلاة والسلام [٥] : وقد ذكر فيه مصنفه ما ينيف على العشرين معجزة له صلى الله عليه وسلم .

٣- دلائل النبوة [٦] : وقد ذكر فيه المصنف أحواله صلى الله عليه وسلم وصفاته ومعجزاته وأخباره من قبل ولادته وحتى وفاته عليه أفضل الصلاة والسلام .

---

(١) انظر (حياة محمد) / محمد حسين هيكل .

(٢) انظر (فقه السيرة) ص ٢٧ ، ٢٨. وانظر رد البوطي على هذا الاتجاه في كتابه (كبرى اليقينيات الكونية) ص٢٤٤ ، ٢٤٦.

(٣) انظر (إعجاز القرآن) / الباقلاني / ص٨ . (والإعجاز في دراسات السابقين) عبد الكريم الخطيب / ص٩٩.

(٤) إعداد وترتيب وليد الأعظمي .

(٥) لخير الدين وائلي .

(٦) الحافظ الكبير والمحدث الشهير أبو نعيم أحمد بن عبد الله الأصبهاني المتوفى سنة٤٣٠هـ.

٤- أعلام النبوة [١] : وقد ذكرَ فيه المصنفُ سيرةَ المصطفى صلى الله عليه وسلم ومولدَه وأخلاقَه وفضائلَه ومعجزاتِه ،وإثباتَ نبوتِه ، وبيانَ أقوالِه وأفعالِه وأدعيتِه ، وكيفيةَ تكليمهِ للشجرِ والحجرِ والحيوانِ الأبكمِ ، ومخاطبتِه للجن إلخ .

٥- دلائل النبوة [٢] ويقول المصنفُ في مدخله : " ثم إن له من وراء هذه الآيات المعجزات انشقاق القمر ، وحنين الجذع ، وخروج الماء من بين أصابعه حتى توضأ منه ناسٌ كثيرُ ، وتسبيح الطعام ، إجابة الشجرة إياه حين دعاها ، وتكليم الذراع المسمومة إياه ، وشهادة الذئب والضب والرضيع الميت له بالرسالة ، وازدياد الطعام والماء بدعائه حتى أصاب منه ناسٌ كثيرٌ ، وما كان من حلبه للشاةِ التي يَنْزُ عليها الفحلُ ونزول اللبن لها ، وما كان من إخبارِه عن الكوائنِ فوُجِدَ تصديقُه في زمانِه وبعدَه ، وغير ذلك مما ذُكِرَ ودُوِّنَ في الكتب وقد ذكرناها بأسانيدِها في كتابِ دلائلِ النبوةِ الذي هذا مدخله"

٦- من معجزات النبي صلى الله عليه وسلم [٣] : وقد ذَكَرَ فيه المصنفُ مائةً وخمساً وتسعينَ معجزةً له صلى الله عليه وسلم .

٧- وقد أشار لبعض هذه المعجزات بعضُ المؤلفِينَ في مصنفاتِهم كالباقلاني [٤] وعبدُ القاهرِ البغداديُ [٥] ، وأبو بكرِ الجزائريُ [٦] ، وغيرُهم .

---

(١) الشيخ الإمام العلامة أبو الحسن على بن محمد الماوردي المتوفى سنة ٤٥٠هـ .

(٢) البيهقي المتوفى سنة ٤٥٨هـ .

(٣) عبد العزيز المحمد السلمان .

(٤) انظر (الإنصاف فيما يجب اعتقاده ولا يجوز الجهل به) ص ٦٣ .

(٥) انظر (أصول الدين) الإمام عبد القاهر البغدادي / ص ١٨٢.

(٦) انظر (عقيدة المؤمن) ص٣٠١.

المبحث الثاني

وجوه الإعجاز ومراحل التحدي

أولاً : نبذةٌ تاريخيةٌ عن بدءِ التحدث في الإعجاز :

لقد ظهر أولُ كلامٍ علميٍ منظمٍ في الإعجاز مع بدء ظهور فرقة المعتزلة ، وأشهر من تكلم في الإعجاز من المعتزلة هو النظّام المتوفى سنة ٢٤٨هـ ، وعيسى بن صبيح المزدار المتوفى سنة ٢٥٣هـ ، والجاحظ المتوفى سنة ٢٥٥هـ ، ثم امتاز القرن الثالث بعلم الكلام ، وقد تناول مسألة الإعجاز أيضاً ، ومن أشهر المتكلمين الذين بحثوا مسألة الإعجاز محمد بن يزيد الواسطي ، المتوفى سنة ٣٠٦هـ ، وعلي بن عيسى الرماني المتوفى سنة٣٨٤هـ ، وأحمد بن محمد الخطّابي المتوفى سنة ٣٨٨هـ، وأبو بكر محمد الباقلاني المتوفى سنة ٤٠٣هـ ، ومحمد بن يحيى بن سراقة المتوفى سنة ٤١٠هـ ، والشريف المرتضى المتوفى سنة ٤٣٦هـ ، وأبو اسحاق الإسفراييني المتوفى سنة ٤١٨هـ ، وابن حزمٍ المتوفى سنة ٤٥٦هـ ، والغزالي المتوفى سنة ٥٠٥هـ ، والقاضي عياض المتوفى سنة ٥٤٤هـ .

وفي نهاية القرن الرابع ومع وفاة الباقلاني تقريباً أخذت أكثرُ نظريات الإعجاز في علم الكلام شكلها النهائي ، وسارت الأعصرُ التاليةُ على غرار الأولى في التأليف وكانت مهمتها جمع ما قاله المتقدمون ، ولم تكن مهمة المتكلم فيها وضع براهين جديدة ، بل وضع هذه البراهين في صورٍ جديدةٍ ، فالماوردي مثلاً يعدّ عشرين دليلاً على الإعجاز وليس فيها جديد [1] .

أما المفسرون فيرجع أول ما نعرفه عنهم في الإعجاز إلى نهاية القرن الثالث أو بداية القرن الرابع ، فمما أُلِّفَ في القرن الثالث كتاب ابن جرير الطبري المتوفى

---

(١) انظر (أعلام النبوة) ص ٤٥ ـ ٥٧ .

سنة ٣١٠هـ ، ويقع هذا الكتاب في ثلاثين مجلداً كبيراً ، وكان مثالاً احتذاه المفسرون المتأخرون كلهم .

وقد جاء على أثر الطبري من المفسرين الأولين المتحدثين في الإعجاز حسن بن محمد القمّي المتوفى سنة ٣٧٨هـ ، ثم جاء من بعدهم الراغب الأصفهاني المتوفى سنة ٥٠٢هـ ، والزمخشري المتوفى سنة ٥٣٨هـ ، وابن عطية الغرناطي المتوفى سنة ٥٤٢هـ ، وفخر الدين الرازي المتوفى سنة ٦٠٦هـ ، وبدر الدين الزركشي المتوفى سنة ٧٩٤هـ ، وجلال الدين السيوطي المتوفى سنة ٩١١هـ ، وابن كمال باشا المتوفى سنة ٩٤٠هـ ، وفي تفسير وصل به إلى سورة الصافات ، وأبو السعود المتوفى سنة ٩٨٢هـ ، والألوسي المتوفى سنة ١٢٧٠هـ ، ومحمد رشيد رضا ، وطنطاوي جوهري من المعاصرين ،

أما الأدباء فقد درسوا قضية الإعجاز في علم البلاغة الذي انبثق ولا شك من العناية بدراسة القرآن من ناحية جماله الفني .

ويَعَدُّ الجاحظ المتوفى سنة ٢٥٥ هـ ، أولَ من ألَّفَ في البلاغة كتابه (نظم القرآن) ، وكتاب (البيان والتبيين).

ويُعَدُّ الجرجاني أوَّلَ من نظم الأفكار التي قيلت في الموضوع وجعلها قواعد علمية فألف كتابي (دلال الاعجاز) و (أسرار البلاغة).

وقد مهد للجرجاني في تأليف كتاب (دلائل الإعجاز) تأليف محمد بن يزيد الواسطي في هذا الموضوع ، وهو مفقود الآن .

ثم جاء الفخر الرازي المتوفى سنة ٦٠٦ هـ ، فاختصر كتابي الجرجاني ونظمهما تنظيماً جديداً في كتابه (نهاية الإيجاز في دراية الإعجاز) فقدم نظرية الجرجاني في النظم بشكل واضح .

ثم سار على نهج عبد القاهر الجرجاني ابن أبي أصيبع القيرواني المتوفى سنة ٦٥٤هـ ، فألف كتابه (بيان البرهان في إعجاز القرآن) ، وحازم بن محمد

القرطاجني المتوفى سنة ٦٦٤هـ في كتابه (منهاج البلغاء) وعبد الواحد الزملكاني المتوفى سنة ٦٥١هـ في كتابه (التبيان في علم المطلع على إعجاز القرآن) [١] .

وهكذا تظهر لنا جهود العلماء في تناول هذا الموضوع ، وكيف استمر ذلك جيلاً بعد جيلٍ عبر القرون المتلاحقة ، وهذا يدل على مدى اهتمام العلماء بموضوع الإعجاز نظراً لاتصاله الوثيق بكتاب الله تعالى ، فقد بذلوا ما يمكن بذله من جهد في سبيل معرفة ما يتعلق بكتاب الله من أسرارٍ ومعارفٍ ، وفتح الله عليهم بذلك ، فتركوا للأجيال بعدهم علوماً ومعارف يصعب حصرها .

ثانياً : وجوه الإعجاز عند العلماء :-

إن قضية الإعجاز القرآني من أشد الأمور حساسيةً وأكثرها دقةً خاصةً وأنه وثيق الصلة بكتاب الله تعالى ، من حيث كونه كتاب هدايةٍ وإعجازٍ معاً ، لذلك نالت هذه القضية جهوداً مكثفة على مر العصور حتى يومنا هذا .

ولقد تحدث العلماء عن أوجه هذا الإعجاز فأحسنوا ، وعددوا فأكثروا وفصلوا فبينوا ، وذلك بما فتح الله عليهم من كنوز كتابه التي لا آخر لها فهو نبعٌ فياضٌ بخيره، كريمٌ بعطائه ، لا يبخل على من قصده ، يفتح بابه لمن طرقه ، يجيب كلَّ من سأله ، يعطي كلاً بما هو أهله ، فمنهم من أوصل وجوه الإعجاز إلى خمسةٍ وثلاثين وجهاً كما فعل الحافظ جلال الدين السيوطي [٢] ، وقد ذكر السيوطي نفسه : "أن بعضهم قد أنهى وجوه إعجازه إلى ثمانين ، والصواب أنه لا نهاية لوجوه إعجازه " [٣] .

---

(١) (فكرة إعجاز القرآن منذ البعثة النبوية وحتى عصرنا الحاضر) / نعيم الحمصي ص ٤٠-٤٧ (بتصرف) . وانظر (وجوه من الإعجاز الموسيقي في القرآن) / الدكتور محي الدين رمضان ، ص ١٠ -١٢ .

(٢) انظر كتابه (معترك الأقران في إعجاز القرآن) .

(٣) نفس المرجع / ج١ / ص ٣ .

وقد تحدث العلماء عن ذلك بما فيه الكفاية [1] .

يقول أستاذنا الدكتور فضل حسن عباس : " إن قضية الإعجاز من أضخم القضايا الفكرية التي شغلت المفكرين قرونا طويلة ولا زالت ، ليس هذا لأن القرآن نفسه يرتاب في قضية إعجازه ، ولكن لأن القرآن إنما هو كتلكم الشمس التي كلما تقدمت الإنسانية كلما حاولت أن تفيد منها جديدا ، ويعلم الله أن كتابه شمس الهداية ، لا يقل إمدادا وعطاء ، ولذلك فإن قضية الإعجاز قضية تجد أن لكل فيها جديدا " [2] .

إن الأستاذ في كلمته هذه قد أشار إلى أن إعجاز القرآن أمر مسلم لا خلاف عليه ، وإنما الجديد في أوجه هذا الإعجاز ، فكل يوم قد يجد جديد مما يؤدي إلى التباين أو الاختلاف أحيانا بين آراء العلماء ، وقد أشار الأستاذ إلى هذا التباين والاختلاف في بحث له حيث يقول : " أجمع المسلمون والمنصفون من غيرهم على هذه القضية المسلمة ، وهي أن القرآن كتاب بيد أن طائفة ذهبت إلى أن إعجاز القرآن ينتظم وجوها متعددة فهو معجزة معجز بيانية علمية تشريعية إلى غير ذلك من الوجوه الكثيرة التي استنتجتها الأفكار ودبجتها الأقلام ، وادعت فئة أخرى أن القرآن الكريم معجزة بيانية فحسب ، وكل ما فيه من أخبار الغيب وإشارات العلم وحكمة التشريع لا دخل له في الإعجاز البتة .

وعلى هذا فإن ما جاء في القرآن من آيات التحدي إنما يقصد به التحدي البياني وحده .

---

(١) انظر (مناهل العرفان في علوم القرآن) / الأستاذ محمد عبد العظيم الزرقاني / ج٢ / ص٢٣١. و " إعجاز القرآن والبلاغة النبوية " مصطفى صادق الرافعي ص١٥٦ . و " دور المنهاج الرباني في الدعوة الإسلامية " للدكتور عدنان على النحوي ص٢٦ ، ص٣٩.

(٢) من محاضراته التي ألقاها على طلبة الدراسات العليا بكلية الشريعة ، الجامعة الأردنية ، قسم التفسير ، مادة "إعجاز القرآن" .

ولست أدريَ ما الذي حملهم على ذلك والقرآن الكريم لم يأت العرب وحدهم وإنما للناس جميعاً على اختلاف أعصارهم وأمصارهم " [١] .

ثم استعرض الأستاذ آيات التحدي بالدراسة الموضوعية المنهجية ، وخلص من ذلك إلى أن إعجاز القرآن إعجازٌ عامٌ غير مقصور على البيان فقط ، وسنشير إلى هذه المناقشة في مبحث تدرج الإعجاز مع مراحل التحدي الذي سيأتي فيما بعد إن شاء الله تعالى .

والذي يهمنا في هذا المبحث أن نقف على بعض هذا التباين في الآراء وذلك باستعراض بعض آراء الذين كان لهم مواقف بارزة في القول بالإعجاز كالخطابي ، والرماني ، والباقلاني ، وعبد القاهر الجرجاني من القدامى ، أما المحدثون فسنقف على رأي مصطفى صادق الرافعي ومحمد رشيد رضا ، والدكتور محمد عبد الله دراز ، وإليك آرائهم بإيجاز :

١- رأي الخطابي [٢] :

لقد صنَّف الخطابي رسالةً في الإعجاز أسماها (بيان إعجاز القرآن) وهي مطبوعة مع رسالتين إحداهما للرماني والأخرى لعبد القاهر الجرجاني تحت عنوان (ثلاث رسائل في إعجاز القرآن)[٣] وقد أكد الخطابي في رسالته على أن الإعجاز يقع في وجهين : **أحدهما** : وجه البلاغة ، **والثاني** : تأثيره في النفوس .

---

(١) (المفردات القرآنية مظهرٌ من مظاهر الإعجاز) ، بحث نشر في مجلة دراسات (العلوم الإنسانية والتراث) ، الجامعة الأردنية ، المجلد (١١) ، لسنة ١٤٠٥هـ - ١٩٨٤م ، العدد الرابع ، ص١٠٤ - ١٠٥ .

(١) هو أبو سليمان حمد بن محمد بن إبراهيم بن الخطاب البستي ، من بلاد كابل ، فقيه محدث ، ولد سنة ٣١٩هـ ، وتوفي سنة ٣٨٨هـ ، انظر (الأعلام) الزركلي ، ج١،ص٣٠٤.

(٢) تحقيق وتعليق ، محمد خلف الله ، ومحمد زغلول سلامّ.

أما وجه البلاغة فقد اعتبره الخطابي وجهاً من وجوه الإعجاز لأن القرآن قد اشتمل على ثلاثة أنواع من الكلام المحمود وهي :

- البليغ الرصين الجزل .
- الفصيح القريب السهل.
- الجائز الطلق الرسل .

وقد اعتبر أن عجز البشر عن الإتيان بمثل هذا القرآن راجعٌ لأمورٍ ثلاثةٍ أيضاً هي :

- أن علمهم لا يحيط بجميع أسماء اللغة العربية وبألفاظها التي هي ظروف المعاني والحوامل .
- لا تدرك أفهامهم جميع معني الأشياء المحمولة على تلك الألفاظ.
- لا تكمل معرفتهم لاستيفاء جميع وجوه النظوم التي بها يكون ائتلافها وارتباط بعضها ببعض.

وذلك حيث يقول : " وإنما يقوم الكلام بهذه الأشياء الثلاثة : لفظٌ حاملٌ ، ومعنى به قائمٌ ، ورباطٌ لهما ناظمٌ ، وإذا تأملت القرآن ، وجدت هذه الأمور منه في غاية الشرف والفضيلة حتى لا ترى شيئاً من الألفاظ أفصح ولا أجزل ولا أعذب من ألفاظه، ولا ترى نظماً أحسن تأليفاً وأشد تلاؤماً وتشاكلاً من نظمه ، وأما المعانى فلا خفاء على ذي عقل إنها هي التي تشهد لها العقول بالتقدم فى أبوابها ، والترقي إلى أعلى درجات الفضل من نعوتها وصفاتها ، فتفهم الآن وأعلم أن القرآن إنما صار معجزاً لأنه جاء بأفصح الألفاظ فى أحسن نظوم التأليف مضمناً أصح المعاني "[1] .

ثم يبين الخطابي هذه البلاغة التي تجتمع لها صفة الإعجاز القرآني فيقول : " ثم اعلم أن عمود هذه البلاغة التي تجتمع لها هذه الصفات هو وضع كل نوع من الألفاظ التي تشتمل عليها فصول الكلام موضعه الأخص الأشكل به الذي إذا أبدل مكانه غيره

---

(١) (ثلاث رسائل في إعجاز القرآن) / ص ٢٤.

جاء منه إما تبدل المعنى الذي يكون منه فساد الكلام ، وإما ذهاب الرونق الذي يكون معه سقوط البلاغة ، ذلك أن في الكلام ألفاظا متقاربة في المعاني يحسب أكثر الناس أنها متساوية في إفادة بيان مراد الخطاب كالعلم والمعرفة ، والحمد والشكر ، والبخل والشح، وكالنعت والصفة ، وكقولك اقعد واجلس ،وبلى ونعم ، وذلك وذاك ، ومن وعن ، ونحوها من الأسماء والأفعال والحروف والصفات "[١] .

أما الوجه الثاني الذي ذهب إليه الخطابي ، وهو أول من لفت الأنظار إليه كوجه من أوجه الإعجاز ، هو ذلك التأثير الذي يتركه القرآن في القلوب والنفوس، وذلك حيث يقول : " قلت وفي إعجاز القرآن وجها[٢] آخر ذهب عنه الناس ، فلا يكاد يعرفه إلا الشاذ من آحادهم ، وذلك صنيعه بالقلوب وتأثيره في النفوس فإنك لا تسمع كلاما غير القرآن منظوما ولا منثورا إذا قرع السمع خلص له إلى القلب من اللذة والحلاوة في حال ، ومن الروعة والمهابة في أخرى ما يخلص منه إليه ، تستبشر منه النفوس ، وتنشرح له الصدور ، حتى إذا أخذت حظها منه عادت مرتاعة قد عراها من الوجيب والقلق ، وتغشاها الخوف والفرق تقشعر منه الجلود وتنزعج له القلوب ، يحول بين النفس وبين مضمراتها وعقائدها الراسخة فيها "[٣] .

وهكذا يظهر رأي الخطابي وقد أكد على هذين الوجهين كما ترى ،وذلك بعد أن رفض وجه الصرفة ووجه الإخبار بالغيب ، ووجه القول بالبلاغة دون بيان لهذه البلاغة أو تفصيل القول فيها .

---

(١) (ثلاث رسائل في إعجاز القرآن) / ص ٢٦.

(٢) وقد أثبت المحقق في الحاشية أنه جاء في بعض النسخ (وجه) وبهذا تكون مبتدأ مؤخرا، ص٦٤، وعلى رواية النصب ، باعتبار أن (قلت) تتضمن معنى (حكيت) .

(٣) (ثلاث رسائل في إعجاز القرآن) ، ص٦٤.

٢- رأي الرماني [١] :

لقد صنف الرماني رسالةً في الإعجاز أسماها (النكت في إعجاز القرآن) وهي مطبوعة مع رسالة الخطابي وعبد القاهر الجرجاني ، التي سبق الإشارة إليها [٢] .

وقد أكد الرماني في رسالته على أن إعجاز القرآن يظهر في سبعة وجوه ، وذلك حيث يقول "وجوه إعجاز القرآن تظهر في سبع جهات: (ترك المعارضة مع توفر الدواعي وشدة الحاجة ، والتحدي للكافة ، والصرفة ، والبلاغة ، والأخبار الصادقة عن الأمور المستقبلة، ونقض العادة ، وقياسه بكل معجزة " [٣] .

وقد فَصَّلَ الرماني القول وأطال في بيان وجه إعجاز القرآن من جهة البلاغة وقد عرفها بقوله : " إنما البلاغة إيصال المعنى إلى القلب في أحسن صورة من اللفظ "[٤] .

وقد قسمها إلى عشرة أقسام هي : (الإيجاز ، والتشبيه ، والاستعارة ، والتلاؤم ، والفواصل ، والتجانس ، والتصريف ، والتضمين ، والمبالغة ، وحسن البيان) .

وقد شرح كلَّ قسمٍ من هذه الأقسام على حدة مما أدى إلى استغراق أغلب رسالته ، وقد وقع ذلك في قرابة ثلاثين صفحة [٥] .

---

(١) هو أبو الحسن على بن عيسى الرماني ، أديب : نحوي ، لغوي ، متكلم ، فقيه ، أصولي، مفسر، فلكي ، ولد سنة ٢٩٦هـ ، وتوفى سنة ٣٨٤هـ ، أنظر (معجم المؤلفين ، عمر رضا كحالة) ، ج٧ ، ص٢٦٨.

(٢) انظر : هذا الفصل (ص ٢٣) .

(٣) (ثلاث رسائل في إعجاز القرآن) ، ص ٦٩.

(٤) (ثلاث رسائل في إعجاز القرآن) ، ص ٦٩.

(٥) انظر نفس المرجع السابق ، ص ٧٠ – ١٠١.

ثم عاد للوجوه الأخرى يبينها بإيجاز شديد لا يتجاوز صفحات ثلاثاً ، ذلك حيث يقول : " أما توفر الدواعي : فتوجب الفعل مع الإمكان لا محالة في واحد كان أو في جماعة وأما التحدي للكافة : فهو أظهر في أنهم لا يجوز أن يتركوا المعارضة مع توفر الدواعي إلا للعجز عنها . وأما الصرفة فهي صرف الهمم عن المعارضة . وأما الأخبار الصادقة عن الأمور المستقبلة فإنه لما كان لا يجوز أن تقع على الاتفاق دل على أنها من عند علاّم الغيوب . وأما نقض العادة : فإن العادة كانت جاريةً بضروب من أنواع الكلام معروفة : منها الشعر والسجع ومنها الخطب ومنها الرسائل ،ومنها المنثور الذي يدور بين الناس في الحديث ، فأتى القرآن بطريقة مفردة خارجة عن العادة لها منزلة في الحسن تفوق به كل طريقة . وأمَّا قياسه بكل معجزةٍ : فإنه يظهر إعجازه من هذه الجهة ، إذ كان سبيل فلق البحر وقلب العصا حية وما جري هذا المجرى في ذلك سبيلاً واحداً في الإعجاز ، إذ خرج عن العادة ، فقعد الخلق فيه عن المعارضة "[1] .

وهكذا يظهر رأي الرماني فهي القول بالأوجه السبعة ، وهذا نموذجٌ ثانٍ من نماذج التباين في القول بالإعجاز .

٣- رأي الباقلاني [2] :

لقد صنف الباقلاني كتاباً مشهوراً في الإعجاز أسماه (إعجاز القرآن) [3] ويرى الباقلاني في كتابه أن وجوه الإعجاز القرآني متمثلة في ثلاثة وجوه هي :

---

(١) انظر نفس المرجع السابق ، ص ١٠١ - ١٠٣ .

(٢) هو القاضي أبو بكر محمد بن الطيب الباقلاني ، انتهت إليه الرياسة في مذهب الأشاعرة ، ولد سنة ٣٣٨هـ ، وتوفي سنة ٤٠٣هـ ، انظر (الأعلام) الزركلي ، ج ٧ ، ص٤٦.

(٣) يقع الكتاب في مجلد كبير ، مطبوع بتحقيق السيد / أحمد صقر ، وقد طبعته دار المعارف بمصر .

١- ما يتضمنه القرآن من الإخبار عن الغيوب ، وذلك مما لا يقدر عليه البشر ، ولا سبيل لهم إليه ، وضرب على ذلك مثلاً بما وعد الله تعالى نبيه عليه السلام، أنه سيظهر دينه على الأديان ، بقوله عز وجل : ﴿ هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَى وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ﴾[١] ففعل ذلك .

٢- أنه كان معلوماً من حال النبي صلى الله عليه وسلم أنه كان أمياً لا يكتب ولا يحسن أن يقرأ .

وكذلك كان معروفاً من حاله أنه لم يكن يعرف شيئاً من كتب المتقدمين ، وأقاصيصهم وأنبائهم وسيرهم ، ثم أتى بمجمل ما وقع وحدث من عظيمات الأمور ومهمات السير ، من حين خلق الله آدم عليه السلام إلى حين مبعثه. ولذلك قال عز وجل : ﴿وَمَا كُنْتَ تَتْلُو مِنْ قَبْلِهِ مِنْ كِتَابٍ وَلا تَخُطُّهُ بِيَمِينِكَ إِذًا لارْتَابَ الْمُبْطِلُونَ﴾[٢] .

٣- أنه بديع النظم ، عجيب التأليف ، متناهٍ في البلاغة إلى الحد الذي يُعلم عجز الخلق عنه .

وقد فصّل من هذا الوجه وفرّع منه عشرة وجوهٍ كلها تعود إلى بديع نظمه وعجيب تأليفه ، وتناهيه في البلاغة [٣] .

---

(١) سورة التوبة ، الآية (٣٣) ، سورة الصف ، الآية (٩) .

(٢) سورة العنكبوت ، الآية (٤٨) .

(٣) انظر (إعجاز القرآن) ، ص ٤٨ -٧١.

٤- **رأي الجرجاني** [١] :

لقد صنَّف الجرجاني رسالةً في الإعجاز ، وهي (الشافية) وقد طُبعت مع رسالة الخطابي والرماني ، وسبقت الإشارة إليها [٢] .

ولم يكن همُّ الجرجاني في هذه الرسالة إلا إثبات الإعجاز فقط ، ولم يتخللها شيءٌ عن أوجه هذا الإعجاز ، وإنما جعل حديثه عن أوجه الإعجاز في كتاب له بعنوان (دلائل الإعجاز) ، وقد طُبِعَ هذا الكتاب سنة ١٣٣١هـ بالقاهرة [٣] .

وقد ركَّزَ في كتابه هذا على النظم ، وجعله وجه الإعجاز في القرآن ونراه يقول شعراً ، منه قوله :

إني أقول مقالاً لستُ أخفيه ولستُ أرهبُ خصماً إن بدا فيه

ما من سبيل إلى إثبات معجزةٍ في النظمِ إلا بما أصبحتُ مبديه[٤]

ومما يوضح رأيه ويجليه جوابه لمن سأل عن وجه الإعجاز في القرآن حيث أجاب بقوله : أعجزهم مزايا ظهرت لهم في نظمه ، وخصائص صادفوها في سياق لفظه، وبدائع راعتهم من مبادئ آيه ومقاطعها ، ومجاري ألفاظها ومواقعها ، وفي مضرب كل مثلٍ ، ومساق كل خبرٍ ، وصورة كل عظةٍ وتنبيهٍ وإعلامٍ ، وتذكيرٍ وترهيبٍ ، ومع كل حجةٍ وبرهانٍ ، وصفةٍ وتبيانٍ ، وبهرهم أنهم تأملوه سورةً سورةً، وعشراً عشراً ، وآيةً آيةً ، فلم يجدوا في الجميع كلمةً ينبو بها مكانها ، ولفظةً يُنْكَر شأنها ، أو يرى أن غيرها أصلح هناك أو أشبه أو أحرى وأخلق ، بل وجدوا اتساقاً بهر العقول وأعجز الجمهور ، ونظاماً والتئاماً ، وإتقاناً وإحكاماً ، لم يدع في نفس بليغ

---

(١) هو أبو بكر عبد القاهر بن عبد الرحمن الجرجاني ، الأشعري الشافعي ، نحوي بياني ، متكلم ، فقيه ، مفسر ، توفي سنة ٤٧١هـ ، أنظر (معجم المؤلفين ، عمر رضا كحالة ، ج٥، ص٣١٠.

(٢) انظر ص ٢٩ .

(٣) (لمحات في المكتبة والبحث والمصادر) الدكتور محمد عجاج الخطيب ، ص٣٢٤.

(٤) مدخل (دلائل الإعجاز في علم المعاني) ، ص ق.

منهم – ولو حك بيافوخه [١] السماء – موضع طمعٍ حتى خرست الألسن عن أن تدعي وتقول " [٢] .

ونلاحظ أن الجرجاني لم يعتبر للألفاظ المجردة أية ميزة في التفاضل وذلك حيث يقول : " إن الألفاظ لا تتفاضل من حيث هي ألفاظ مجردة ولا من حيث هي كلمٌ مفردةٌ، وإن الألفاظ تثبت لها الفضيلة وخلافها في ملائمة معنى اللفظة معنى التي تليها، أن ما أشبه ذلك مما لا تعلق له بصريح اللفظ " [٣] .

وبهذا فإن الجرجاني يؤكد نظريته في النظم ، وهو أن تتناسق دلالات الألفاظ وتتلاقى معانيها على الوجه الذي اقتضاه العقل [٤] .

---

(١) أورد الزبيدي : هذه الكلمة في موضعين وذلك بسبب تعدد أصلها ، وذلك حيث يقول : قد يكون أصله : (أفَخ) بالهمز ، ومنه (أفَخَهُ يأفِخُهُ أفْخاً) : إذا ضرب يأفُوخه . انظر (تاج العروس – باب الخاء المعجمة – فصل الهمزة ، ج٧، ٢٢٨ . وقد يكون أصله (يَفَخَ) بالياء ، ومنه (يَفَخَهُ) بمعنى أصاب يافوخة ، فهو ميفوخ ، جمعه على (يوافيخ) . أنظر (باب الخاء بالمعجمة – فصل الياء – ج٧، ص ٣٦٩, فاليافوخ : هو حيث التقى عظم مقدم الرأس وعظم موخره ، وهو الموضع الذي يتحرك من رأس الطفل ، وقيل : هو حيث يكون لينا من الصبي قبل أن يتلاقى العظمان : السَّمَّاعة والرَّماعة . وفي (الأساس) (يقصد أساس البلاغة ، للزمخشري) : "مَسَّ بيافوخه السّماك"، وهذا ما نحن بصدده مع تغيير السماك بالسماء . انظر ، الموضعين السابقين "مطبعة حكومة الكويت". وتطلق كلمة (السماكان) على نجمين نيرين هما (الأعزل والرامح) وهما في برج الميزان، وطلوع السماك الأعزل مع الفجر يكون في تشرين الأول . وهكذا يقال لكل من النجمين (سماك) . انظر (تاج العروس من جواهر القاموس – باب الكاف فصل السين – ج ٧، ص ١٤٤. وقد راجعت (أساس البلاغة) للزمخشري فوجدت المقالة كما وردت عند الزبيدي ، انظر ذلك ج ١، ص ١٥ عند مادة (أفخ) ، ج ٢ ، ص ٥٦٢ عند مادة (يفخ) .

(٢) دلائل الإعجاز في علم المعاني ، ص ٢٨ .

(٣) دلائل الإعجاز في علم المعاني ، ص ٣٢.

(٤) انظر (نفس المرجع) ، ص ٣٥.

وهذا بخلاف ما ذهب إليه أستاذنا الدكتور فضل حسن عباس حيث اعتبر اللفظ القرآني المفرد هو وجه من أوجه الإعجاز ، وذلك في بحث له بعنوان (المفردات القرآنية مظهر من مظاهر الإعجاز) قال في مقدمته : " فهذا بحث في وجه من وجوه إعجاز القرآن الكريم آثرت أن أتحدث فيه عن الكلمة القرآنية باعتبارها الأساس والأصل الذي تتركب منه الجمل وتتألف منه الآيات [١] ، إلى أن يقول: " فلقد ظن البعض وهم يقرؤون لبعض الأئمة أن الكلمة بعيدة عن مجال الإعجاز ومساحته ، لأنه لا يكون إلا في النظم وحده " [٢] .

٥- رأي الرافعي[٣] :

لقد صنف الرافعي كتابا في الإعجاز اسمه (إعجاز القرآن والبلاغة النبوية)، ونراه قد عرف الإعجاز بقوله : " وإنما الإعجاز شيئان : ضعف القدرة الإنسانية في محاولة المعجزة ، ومزاولته على شدة الإنسان واتصال عنايته ، ثم استمرار هذا الضعف على تراخي الزمن وتقدمه ، فكأن العالم كله في العجز إنسان واحد ليس له غير مدته المحدودة بالغة ما " بلغت" [٤] .

وقد تحدث عن الإعجاز وأوجهه بقوله : " أما الذي عندنا في وجه إعجاز القرآن ، وما حققناه بعد البحث وانتهينا إليه بالتأمل وتصفح الآراء وإطالة الفكر ، وإنضاج الروية ،وما استخرجناه من القرآن نفسه في نظمه ووجه تركيبه واطراد أسلوبه ... أن القرآن معجز بالمعنى الذي يفهم لفظ الإعجاز على إطلاقه ، حين ينفي

---

(١) مجلة (دراسات العلوم الإنسانية والتراث) – الجامعة الأردنية – المجلد (١١) –لسنة ١٤٠٥هـ ،١٩٨٤م- العدد الرابع / ص ١٠٣.

(٢) نفس المرجع ونفس الصفحة .

(٣) هو الأديب مصطفى صادق الرافعي ، شاعر من كبار الكتاب ، أصله من طرابلس الشام ، ومولده ووفاته في طنطا (بمصر) ، ولد سنة ١٢٩٧هـ وتوفى سنة ١٣٥٦هـ ، انظر الأعلام للزركلي ، ج٨، ص ١٣.

(٤) (إعجاز القرآن والبلاغة النبوية) ، ص ١٣٩.

الإمكان بالعجز عن غير الممكن فهو أمر لا تبلغ منه الفطرة الإنسانية مبلغا ، وليس إلى ذلك مأتى ولا جهة ، إنما هو أثر كغيره من الآثار الإلهية يشاركها في إعجاز الصنعة وهيئة الوضع ، وينفرد عنها بأن له مادة من الألفاظ كأنها مفرغة إفراغا من ذوب تلك المواد كلها ... فالقرآن معجز في تاريخه دون سائر الكتب ، ومعجز في أثره الإنساني ، ومعجز كذلك في حقائقه وهذه وجوه عامة لا تخالف الفطرة الإنسانية في شيء ، فهي باقية ما بقيت " [1] .

وبهذا فقد أشار الرافعي إلى ثلاثة أنواع من إعجازه ،وهي من حيث تعلقه بغيره، وذلك في تاريخه دون الكتب ، وفي أثره الإنساني وفي حقائقه العلمية .

إلا أن الرافعي يركز في كتابه هذا على إعجاز القرآن من حيث نفسه باعتباره كلاما عربيا ، ويعتبر أن إعجازه من هذه الناحية متمثل في البلاغة من حيث هي أسلوب ونظم وتركيب ، وإليك بعض أقواله في ذلك ، يقول تحت عنوان (**أسلوب القرآن**) : " وهذا الأسلوب فإنما هو مادة الإعجاز العربي في كلام العرب كله ، ليس من ذلك شئ إلا وهو معجز ، وليس من هذا شئ يمكن أن يكون معجزا ، وهو الذي قطع العرب دون المعارضة " [2] .

ويقول : " وسبيل نظم القرآن في إعجازه سبيل هذه المعجزات المادية التي تجئ بها الصناعات ، وكثيرة ما هي ، إلا في شئ واحد وهو في القرآن سر الإعجاز إلى الأبد" [3] ، إلى أن يقول : فأنت تعلم الآن أن سر الإعجاز في النظم ، وأن لهذا النظم ما بعده ، وقد علمت أن جهات النظم ثلاثة : في الحروف والكلمات ، والجمل" [4] ، إلى أن يقول: " فالحرف الواحد في القرآن معجز في موضعه ، لأنه يمسك الكلمة التي هو فيها ليمسك بها الآية والآيات الكثيرة ، وهذا هو السر في إعجاز

---

(١)إعجاز القرآن والبلاغة النبوية / ص ١٥٦.

(٢) (نفس المرجع) / ص ١٥٧.

(٣) (نفس المرجع) / ص ٢٠٠.

(٤) نفس المرجع ، ص ٢١١.

جملته إعجازاً أبدياً ، فهو أمرٌ فوق الطبيعة الإنسانية ، وفوق ما يتسبب إليه الإنسان ، إذ هو يشبه الخلق الحى تمام المشابهة ، وما أنزله إلا الذي يعلم (السر) في السماوات والأرض [1] .

وهكذا نرى من هذه المقتطفات الموجزة ما ذهب إليه الرافعي من إعجاز القرآن سواء كان ذلك من حيث نفسه ، أو من حيث تعلقه بغيره ، فكتابه هذا من حيث موضوعه هو علمٌ على ما صُنِّفَ في هذا العصر من كتب إعجاز القرآن .

٦- رأي محمد رشيد رضا [2] :

لقد تعرض الشيخ في (تفسير المنار) للحديث عن الإعجاز ووجوهه وقد جعل لذلك فصلاً بعنوان (فصل في تحقيق وجوه الإعجاز بمنتهى الاختصار والإيجاز)[3] ، وقد بين أنه عقد هذا الفصل عند طبع الجزء الأول من التفسير لبيان أوجه الإعجاز وإيضاحها نظراً لشدة حاجة المسلمين إليها ثم بدأ في ذكر هذه الوجوه ، وقد جعلها سبعةً إليكها بإيجازٍ أيضاً :

١) اشتماله على النظم الغريب والوزن العجيب والأسلوب المخالف لما استنبطه البلغاء من كلام العرب في مطالعه وفواصله ومقاطعه .

٢) بلاغته التي تقاصرت عنها بلاغة سائر البلغاء قبله وفي عصر تنزيله وفيما بعده، ولم يختلف أحد من أهل البيان في هذا .

٣) اشتماله على الإخبار بالغيب من ماضٍ كقصص الرسل مع أقوامهم ومن حاضر في عصر تنزيله ، كقوله تعالى : ﴿**غُلِبَتْ الرُّومُ . فِي أَدْنَى الأَرْضِ وَهُمْ مِنْ بَعْدِ**

---

(١) (إعجاز القرآن والبلاغة النبوية) للرافعي / ص ٢١١.

(٢) هو تلميذ الشيخ محمد عبده ، بغدادي الأصل ، ولد في طرابلس ، ورحل إلى مصر ، وأصدر (مجلة المنار) ، وأنشأ مدرسة الدعوة والإرشاد بمصر ، ولد سنة ١٢٨٢ هـ الموافق ١٨٦٥م ، وتوفي سنة ١٣٥٤هـ الموافق ١٩٣٥م ، انظر معجم المؤلفين ، عمر كحالة ، ج٩ ، ص٣١٠ .

(٣) انظر تفسير القرآن الحكيم الشهير بـ (تفسير المنار) ج ١ ، ص ١٩٨ .

غَلَبِهِمْ سَيَغْلِبُونَ . فِي بِضْعِ سِنِينَ لِلَّهِ الأَمْرُ مِنْ قَبْلُ وَمِنْ بَعْدُ وَيَوْمَئِذٍ يَفْرَحُ الْمُؤْمِنُونَ . بِنَصْرِ اللَّهِ... ﴾ (١).

ومن أظهر هذه الأخبار وعده تعالى بحفظ القرآن من النسيان والتغيير والتبديل في قوله تعالى : ﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ ﴾ (٢) .

٤) سلامته على طوله من التعارض والتناقض والاختلاف خلافاً لجميع كلام البشر ، وهو المراد بقوله تعالى : ﴿ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا... ﴾ (٣) .

٥) اشتماله على العلوم الإلهية وأصول العقائد الدينية ، وأحكام العبادات ، وقوانين الفضائل والآداب ، وقواعد التشريع السياسي والمدني والاجتماعي الموافقة لكل زمانٍ ومكانٍ ، وبذلك يفضل كل ما سبقه من الكتب السماوية ومن الشرائع الوضعية ، ومن الآداب الفلسفية ، كما يشهد بذلك أهل العلم المنصفون من جميع الأمم الشرقية والغربية

ولا شك أن هذا الوجه من أظهر وجوه الإعجاز ، فإن علوم العقائد الإلهية والغيبية والآداب والتشريع الديني والمدني والسياسي هي من أعلى العلوم ، وقلما ينبغ فيها من الذين ينقطعون لدراستها السنين الطوال إلا الأفراد القليلون ، فكيف يستطيع رجلٌ أميٌّ لم يقرأ ولم يكتب ، ولا نشأ في بلد علمٍ وتشريعٍ أن يأتي بمثل ما في القرآن منها تحقيقاً وكمالاً .

٦) إعجاز القرآن بعجز الزمان عن إبطال شئٍ منه ، وذلك أن القرآن يشتمل على بيان كثيرٍ من آيات الله تعالى في جميع أنواع المخلوقات من الجماد والنبات والحيوان والإنسان ، ويصف خلق السموات والأرض وشمسها وقمرها ودراريها ونجومها والأرض والهواء والسحاب والماء من بحار وأنهار وعيون وينابيع ، وفيه تفصيل

---

(١) سورة الروم ، الآية (٢-٥).

(٢) سورة الحجر ، الآية (٩) .

(٣) سورة النساء ، الآية (٨٢) .

لكثير من أخبار الأمم ، وبيان لطريق التشريع السوي ، وقد حفظ ذلك كله فيه بكلمه وحروفه منذ ثلاثة عشر قرنا ونيف[1] ، ثم عجزت هذه القرون ، التي ارتقت فيها جميع العلوم والفنون أن تنقض بناء آية من آياته ، أو تبطل حكما من أحكامه ، أو تكذب خبرا من أخباره , وهذا النوع من الإعجاز غير ما تقدم من سلامته من التعارض والاختلاف فتلك في الماضي وهذه في الحاضر والمستقبل .

٧) اشتمال القرآن على تحقيق كثير من المسائل العلمية والتاريخية التي لم تكن معروفة في عصر نزوله ، ثم عرفت بعد ذلك بما انكشف للباحثين والمحققين من طبيعة الكون وتاريخ البشر وسنن الله في الخلق ، وهذه مرتبة فوق ما ذكرناه في الوجه السادس من عدم نقض تقدم العلوم لشيء مما فيه ، ولا تدخل في المراد من أخبار الغيب المبينة في الوجه الخامس . أ هـ[2] .

وهكذا فقد جمع الشيخ أكثر من وجه في إعجاز القرآن ، وقد جعل الوجه السابع هو ذلك (الإعجاز العلمي) الذي نحن بصدده في هذا البحث .

٧- رأي الدكتور محمد عبد الله دراز [3] :

لقد تحدث الدكتور دراز في كتابه (النبأ العظيم) عن أوجه الإعجاز وقد جعلها في ثلاثة أوجه ، وذلك حيث يقول : " فلنأخذ الآن – بعون الله وتوفيقه – في دراسة هذه النواحي الثلاث من الإعجاز القرآني ، أعني ناحية الإعجاز اللغوي ، وناحية الإعجاز العلمي ، وناحية الإعجاز الإصلاحي التهذيبي الاجتماعي ، ولتكن

---

(١) هذا التاريخ بالنسبة لزمن الشيخ ، أما بالنسبة لزماننا اليوم فنقول : (منذ أربعة عشر قرنا ونيف)

(٢) انظر تفسير القرآن الحكيم الشهير بـ (تفسير المنار) ، ج١ ، ص١٩٨ – ٢١٠ ،(بتصرف)

(٣) هو عالم أديب ، ولد بمصر ، وحصل على شهادة الدكتوراه من السوربون بفرنسا ، ونال عضوية جماعة كبار العلماء ، واشترك في المؤتمر العلمي الإسلامي بمدينة لاهور في الباكستان ، وتوفي بها فجأة في ١٦ جمادى الآخرة سنة ١٣٧٧ هـ الموافق ١٩٥٨م ، انظر معجم المؤلفين ، عمر كحالة ، ج ١٠ ، ص٢١٢ .

عنايتنا أوفر بناحيته اللغوية لأنها هي التي وقع من جهتها التحدي بالقرآن جملة وتفصيلا في سورة منه ، ولذلك نبدأ بها "(١) .

ونجد الدكتور دراز يركز في إعجازه اللغوي على ناحية الأسلوب بما فيه من خاصية تأليفه الصوتي في شكله وجوهره .

وقد خص البيان القرآني بخصائص تعتبر هي روح الإعجاز فيه وهي :

" ٢،١- القصد في اللفظ والوفاء بحق المعنى .

٤،٣- خطاب العامة وخطاب الخاصة .

٦،٥- إقناع العقل وامتاع العاطفة .

٨،٧- البيان ، والإجمال "(٢) .

١٠،٩- الكثرة ، والواحدة : وهاتان النقطتان متعلقتان بجمال النظم ذلك أن في السورة المعاني المختلفة في جوهرها المنفصلة بطبيعتها ، ثم يمزج بينهما فيكون لها مزاج واحد واتجاه واحد ، على الرغم من وجود أزمان مختلفة وظروف متباينة ، فتجد في السورة الواحدة ضروبا من وصف وقصص وتشريع وجدل ولا تجد مع ذلك أي ملل أو سأم ، وهكذا تجد وحدة السبك وقوة النظم بين القضايا المتعددة في السورة الواحدة ، فهي كلام واحد يتعلق أوله بآخره ، وآخره بأوله ، يترامى بجملته إلى غرض واحد ، وهكذا ما يعرف بالوحدة الموضوعية(٣) .

ثم مثل على الكثرة والواحدة بأطول سورة في القرآن ، وهي سورة البقرة ، التي نزلت نجوما في تسع سنين عددا (٤) .

ثم ختم كتابه بقوله : " لعمري لئن كانت للقرآن في بلاغة تعبيره معجزات وفي أساليب تربيته معجزات ، وفي نبوءاته الصادقة معجزات ، وفي تشريعاته الخالدة

---

(١) النبأ العظيم ، ص ٧٩ .

(٢) النبأ العظيم ، ص ١٠٩ - ١١٨ .

(٣) النبأ العظيم ، ص ١٤٢ - ١٦٣ .

(٤) انظر (النبأ العظيم) ، ص ١٦٣ - ٢١١ .

معجزات ، وفي كل ما استخدمه من حقـائق العلـوم النفسـية والكونيـة معجـزات ومعجزات، لعمري إنه في ترتيب آيه على هذا الوجه لهو معجزة المعجزات "[1] .

ونلاحظ أن الإعجاز اللغوي قد استغرق جل كتابه ، على الرغم أن مصنفه قـد وعدنا بالحديث عن الإعجاز العلمي والإعجاز التهذيبي الاجتماعي ، ولعل لهذا الكتاب تكملة لم تطبع بعد ، بدليل ما ذكره نعيم الحمصي ، حيث يقول : " وقد اطلعت علـى الجزء الأول منه دون غيره ، ونرجو أن يتاح لنا الاطلاع على سائر الكتاب ليكـون حكمنا عليه أصح وأكمل "[2] .

وهكذا يظهر لنا بهذه النماذج السبعة ذلك التباين والتنوع في وجـهات النظـر بالنسبة لأوجه إعجاز القرآن ، فنال بذلك جهد العلماء .

---

(١) (النبأ العظيم) للدكتور محمد عبد الله دراز / ص ٢١١ .

(٢) انظر (فكرة إعجاز القرآن منذ البعثة النبوية حتى عصرنا الحاضر) ، ص ٣٦٨ و ص ٣٨٧

ملاحظة (٢) :

مما هو جدير بالملاحظة أنه بمطالعة كتب المفسرين للوقوف على آرائهم في وجوه إعجاز القرآن نجد أن عامتهم إلا قليلا منهم قد ارتأوا أن الإعجاز البياني – سواء كان ذلك بلاغة أو نظما أو أسلوبا أو كمال معنى – هو وجه الإعجاز القرآني ، وإذا أردت الاطلاع على ذلك فانظر الحاشية (١) .

---

(١) انظر :

- (جامع البيان في تفسير القرآن) ابن جرير الطبري ، ج١ ، ص ٦٦ وص ١٢٨ .
- (الجامع لأحكام القرآن) القرطبي ، ج١ ، ص ٧٣ .
- (الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل) ، الزمخشري ، ج١، ص ١٦ .
- (تفسير القرآن العظيم) ، ابن كثير ، ج١ ، ص ٦٠ .
- (أنوار التنزيل وأسرار التأويل) ، البيضاوي ، ص ١٨ وص ٢٧٩ .
- (فتح القدير) ، الشوكاني ، ج٢ ، ص ٤٤٦ وص ٤٨٦ .
- (التفسير الكبير) المسمى (مفاتيح الغيب) الإمام فخر الدين الرازي ، ج٢ ، ص١١٥ .
- (إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم) ، أبو السعود ، ج٤ ، ص ١٤٦ وص١٩١ / و ج ٥ ، ص١٩٣ .
- (روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني) الألوسي ، ج١ ، ص٣١ وص ١٩٣ .
- (مجمع البيان في تفسير القرآن) ، الطبرسي ، ج١١ ، ص ٥٠ / وج ١٢ ، ص١٢٣ .
- (محاسن التأويل) ، القاسمي ، ج٩ ، ص ٣٥ وص ١٠٣ .
- (تفسير المراغي) ، الشيخ أحمد مصطفى المراغي ، ج١ ، ص ٩٥ / وج ١٢ ص١٢ / وج١٥ ، ص٩١ .

ملاحظة (٢) :

ومما هو ملاحظ أيضا أن هناك جمعا غفيرا من العلماء بما فيهم بعض المفسرين قد رأوا أن الإعجاز العلمي هو وجه من وجوه الإعجاز القرآني ، وإذا أردت الإطلاع على مصنفاتهم فانظر الحاشية [1] .

---

(١) انظر :

- (التفسير الكبير) المسمى (مفاتيح الغيب) ، الإمام فخر الدين الرازي ، ج٢ ص١١٦ .
- (إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم) ، أبو السعود ، ج١ ، ص٤ .
- (الجواهر في تفسير القرآن الكريم) طنطاوي جوهري ، ج١/ص٣ .
- (تفسير المراغي) أحمد مصطفى المراغي ، ج١/ص١٨ ، ج١١/ص ٨٥ وص١٠٦
- (محاسن التأويل) القاسمي ، ج١/ص٣٣٢ - ٣٣٨ .
- (مناهل العرفان في علوم القرآن) الزرقاني ، ج٢/ص٢٤٩ وص٢٧٨ .
- (الإتقان في علوم القرآن) السيوطي ، ج٢/ص١٢٥ وما بعدها .
- (إحياء علوم الدين) أبو حامد الغزالي ، ج١/ص٢٥٥-٢٥٩ .
- (شرح الشفاء للقاضي عياض) شهاب الدين الخفاجي ، ج٢/ص٥٨٣ .
- (كشف الأسرار النورانية القرآنية فيما يتعلق بالأجرام السماوية والأرضية والحيوانات والنباتات والجواهر المعدنية) محمد بن أحمد الإسكندراني .
- (التبيان في علوم القرآن) الصابوني ، ص١٢٦ - ١٢٧ .
- (القرآن ينبوع العلوم والعرفان) علي فكري ، ص١٤ - ١٧ .
- (روح الدين الإسلامي) عفيف عبد الفتاح طبارة ، ص ٤٨ - ٦٥ .
- (بينات المعجزة الخالدة) د. حسن ضياء الدين عتر ، ص ٣٧٨ .
- (طبائع الاستبداد ومصارع الاستعباد) الكواكبي ، ص ٢٤ - ٢٧
- (سجل مذكرات جمعية أم القرى) الكواكبي ، ص ٢٣ و ٢٤ .
- (من دروس سنن الكائنات) د. محمد توفيق صدقي ، ص٢ .

وغيرها كثير سيأتي ذكرها في الفصول القادمة إن شاء الله تعالى .

ثالثاً : تدرُّج الإعجاز مع مراحل التحدي :

لقد اختلف العلماء في تحديد وجه الإعجاز ، فمنهم من قصره على الوجه البياني دون سواه ، ومنهم من جعله إعجازاً عاماً يشملُ البيانَ وغيرَه ، ولقد تحدث أستاذنا فضل حسن عباس عن ذلك ، وحسم الخلاف بقولٍ فصلٍ ، يَحْسُنُ بنا أن نثبته في بحثنا هذا لنتم به الفائدة إن شاء الله تعالى ، وذلك حيث يقول : " أجمع المسلمون والمنصفون من غيرهم على هذه القضية المسلَّمة وهي أن القرآن كتابٌ معجزٌ ، بَيْدَ أن طائفةً ذهبت إلى أن إعجاز القرآن ينتظم وجوهاً متعددة ، فهو معجزةٌ بيانيةٌ علميةٌ تشريعيةٌ إلى غير ذلك من الوجوه الكثيرة التي استنتجتها الأفكار ودبجتها الأقلام ، وادّعت فئةٌ أخرى أن القرآن الكريم معجزة بيانية فحسب ، وكل ما فيه من أخبار الغيب وإشارات العلم وحكمة التشريع لا دخل له في الإعجاز البتة .

وعلى هذا فإن ما جاء في القرآن من آيات التحدي ، إنما يُقصد به التحدي البياني وحده ، ولست أدري ما الذي حملهم على ذلك ، والقرآن الكريم لم يأت العرب وحدهم وإنما للناس جميعاً على اختلاف أعصارهم وأمصارهم ، وكي نصل إلى قولٍ حاسمٍ في هذا الموضوع فلا بد أن ندرس آيات التحدي دراسةً منهجيةً موضوعيةً ، وهذه الآيات نجدها في سورة الطور وهود ويونس والبقرة .

﴿ فَلْيَأْتُوا بِحَدِيثٍ مِثْلِهِ إِنْ كَانُوا صَادِقِينَ ﴾[1] .

﴿ أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ قُلْ فَأْتُوا بِعَشْرِ سُوَرٍ مِثْلِهِ مُفْتَرَيَاتٍ وَادْعُوا مَنِ اسْتَطَعْتُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴾[2] .

﴿ أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ قُلْ فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِثْلِهِ ... ﴾[3] .

﴿ وَإِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِمَّا نَزَّلْنَا عَلَى عَبْدِنَا فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِنْ مِثْلِهِ ... ﴾[4] .

---

(١) سورة الطور ، الآية (٣٤) .

(٢) سورة هود ، الآية (١٣) .

(٣) سورة يونس ، الآية (٣٨) .

(٤) سورة البقرة ، الآية (٢٣) .

وتأملاً في هذه الآيات الكريمة نجد أنها رغم اتفاقها في موضوع واحد إلا أن هناك فروقاً بينها في أوجه متعددة :

فالآيات الثلاث تشترك في كونها مكية التنزيل ، أما الآية الأخيرة فهي مدنيةٌ دون نزاع ، هذا أولاً . أما ثانياً : فإننا نجد الآيات الأُول جاءت في سياقٍ واحدٍ وهو خطاب العرب الذين نزل القرآن الكريم فيهم ، أما آية البقرة فلقد كانت في سياق أوسع دائرة ذلك أنها تخاطب الناس جميعاً ، ورجوعاً إلى الآيات الكريمة ندرك ذلك إداركاً لا يتطرق إليه الريب ، ويكفي هنا أن نقرأ ما جاء في سورة البقرة : ﴿ **يَا أَيُّهَا النَّاسُ اعْبُدُوا رَبَّكُمْ الَّذِي خَلَقَكُمْ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ . الَّذِي جَعَلَ لَكُمْ الأَرْضَ فِرَاشًا وَالسَّمَاءَ بِنَاءً وَأَنْزَلَ مِنْ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجَ بِهِ مِنْ الثَّمَرَاتِ رِزْقًا لَكُمْ فَلا تَجْعَلُوا لِلَّهِ أَندَادًا وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ . وَإِنْ كُنتُمْ فِي رَيْبٍ مِمَّا نَزَّلْنَا عَلَى عَبْدِنَا فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِنْ مِثْلِهِ وَادْعُوا شُهَدَاءَكُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ كُنتُمْ صَادِقِينَ** ﴾(١) .

ولا يستطيع أحدٌ أن يدعي أن العرب وحدهم هم المخاطبون بهذه الآيات الكريمة .

وثمة فرقٌ ثالثٌ من حيث الأسلوب ، فالآيات الأُول جاءت فيها كلمةُ (**مثل**) دون حرف (مِنْ)، وجاءت آيةُ البقرة وحدها بهذا الأسلوب ﴿**فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِنْ مِثْلِهِ**﴾

وسبب ذلك فيما نظن والله أعلم أن معنى (مِنْ) **هنا للتبعيض وأن الضمير** راجعٌ للقرآن الكريم ، **أي مما في هذا القرآن الكريم من وجوه الإعجاز .**

ومما تقدم ندرك أن مراحل التحدي رغم اتفاقها **في موضوع واحد** إلا أن المرحلة الأخيرة تختلف عما سبقها من حيث التنزيل والسياق والأسلوب ، **لذلك فإننا** نرى أن التحدي في مراحله الأولى كان بيانياً ، **فالعرب الذين وُجّه لهم** كان البيان بضاعتهم دون منازعٍ ، **أما سورة البقرة التي وُجّه الخطابُ فيها للناس جميعاً فإننا** نرى

---

(١) سورة البقرة ، الآيات (٢١ – ٢٣) .

أن التحدي فيها كان عاماً لا يقف عند البيان وحده ، لذا كانت آيةُ البقرة آخر مراحل التحدي .

فإعجاز القرآن إذن لا يقف عند جمال الأسلوب وروعة البيان وإنما ينتظم فيما ينتظم أموراً كثيرةً ليس غرضنا في هذا البحث التحدث عنها " [1] .

وهكذا يكشف أستاذنا عن وجه الحقيقة في تدرج الإعجاز مع مراحل التحدي فتظهر واضحةً ناصعةً تثلج الصدر ، فجزاه الله عنا خيراً .

---

(1) بحث بعنوان (المفردات القرآنية مظهرٌ من مظاهر الإعجاز) الدكتور فضل حسن عباس ، نشر في مجلة دراسات (العلوم الإنسانية والتراث) ، الجامعة الأردنية ، م11/ع4/سنة 1405هـ - 1984م ، ص104 وص105 .

المبحث الثالث

الفرق بين المعجزة والاختراع العلمي

لقد كشف العلم الحديث في تقدمه الدائم عن كثيرٍ من المواد وعن خصائصها ، كما أطلع الإنسان على كثيرٍ من سنن الطبيعة بما يمكّنه من الانتفاع من المواد الطبيعية واستغلال ظروف الطبيعة للحصول على ألوانٍ من المتع وضروبٍ من الرفاه .

وهكذا فإن لكل فنٍ من فنون العلم الحديث أخصائيين يدرسونه بدقة وموضوعية ليُميطوا اللثام عن مبادئه وقوانينه ، وقد دعّموا دراستهم النظرية بالتجارب التطبيقية فأثمرت جهودهم ثماراً يانعة .

وإن كان هؤلاء العلماء نسبةً ضئيلةً من سكان البسيطة إلا أن الإنسان الموهوب يستطيع أن ينمي مواهبه وميوله فيما تنزع إليه من علومٍ وفنونٍ ، وبالتالي يستطيع أن يقدم من المنتجات والمخترعات ما لم يُسبق إليه مما يُدهش ويُعجب ويُستدر الثناء .

وبهذا فإنه لا يخفى على عامة الناس العقلاء أن تلك المخترعات ليست خارقةً للعادة ، وإنها أمورٌ كسبيةٌ لها قوانينها ومبادئها ، وتخضع لقواعد علمية يعرفها من تعلمها ، ويتقنها من مارسها ، وهي ناشئةٌ عن معرفة بعض خصائص المادة كالمذياع والفيديو والتلفاز والكمبيوتر وغير ذلك من المخترعات الحديثة .

وهذا بخلاف المعجزة الخارقة للعادة ، فهي لا تعتمدُ على قوانين الطبيعة ولا على خواص المادة ، بل هي منحةٌ من الله لرسوله ، يُثبِّتُ بها قدمَهُ ويقيم له الحجة على صدقه ، لينشر رسالته التي أرسلَهُ بها [1] .

---

(١) انظر (بينات المعجزة الخالدة) د. حسن ضياء الدين عتر ، ص٣٧ ، و (توضيح العقيدة في رؤية الله تعالى والقدر والنبوة) عبد العزيز سيف النصر ، ص٣٠١ ، و (العقيدة الإسلامية في مواجهة المذاهب الهدامة) للدكتور محمد أبو الغيط والدكتور محمد رواس قلعة ، ص١٨٦ .

يقول الدكتور عبد العزيز إسماعيل : " قد يقول البعض : إن العلوم تتقدم ، وإنه لو كان بعض الاختراعات الموجودة الآن موجودة في مدة الأنبياء لَعُدَتْ معجزات

ونقول : إن هذا القول دليلٌ على أن الروح الحقيقي للمعجزات لم يُفهم ، وذلك لأن كل الاختراعات العلمية تُبنى على السنن الطبيعية وكلها مبنية على قواعد علمية لا تتغير ، فإن ظهر استثناءٌ فإن سببه هو قاعدةٌ علميةٌ أخرى يبحث عنها العالم حتى يجدها ، فمثلاً التلفزيون والراديو وغيرها هو من الاستعانة بهذه القواعد العلمية .

ويمكن تطبيق ذلك في معجزة (ذي النون) لأن الإنسان يمكنه أن يعيش أياماً في الغواصات تحت البحر ، ولكنه يفعل ذلك بالاستعانة بالنواميس الطبيعية ، وأما المعجزة فتكون بخرق القوانين ، وهكذا مكث ذو النون بدون هواءٍ صناعيٍ معرضاً لأن يُهضم ، ويتحول جسمه مثل باقي طعام الحوت .

وبذلك ندرك أن المعجزة تُصنع بدون السنن الاعتيادية فتكون خارقةً لها ، أما الاختراع العلمي فإنه اكتشاف لناموسٍ إلهيٍ طبيعيٍ "[1] .

وبهذا فقد ظهر الفرق واضحاً جلياً بين المعجزة التي تأبى الخضوع لقانون الأسباب والمسببات المعهود للناس وبين الاختراع العلمي الذي يخضع لسنن الكون وقوانين الطبيعة وخواص المادة .

---

(١) (الإسلام والطب الحديث) د. عبد العزيز إسماعيل ، ص ٤٩ – ٥٥ ، (بتصرف) .

الفصل الأول

القرآن ومجاله العلمي

ويشتمل على ثلاثة مباحث :

المبحث الأول : دور القرآن في مجال العلم والعقل .

المبحث الثاني : موقف القـرآن من البيئـة الجاهلية .

المبحث الثالث : بيـن القـرآن والكـتب السمـاوية .

المبحث الأول

دور القرآن في مجال العلم والعقل

بُعث النبي صلى الله عليه وسلم في أمَّةٍ أميةٍ لا عهد لها بالقراءة والكتابة ولا بالعلم والمعرفة ، وكان هذا هو الطابع العام لها باستثناء قلةٍ قليلةٍ لا تتميز عن غيرها إلا بمعرفة القراء ة والكتابة ، وقرض الشعر وحفظ الأنساب ، أما العلوم فلم يكن للعرب فيها نصيبٌ ، فغاية ما كانوا يعلمونه لا يعدوا أموراً بسيطةً ممزوجةً بخرافاتٍ يتناقلونها أو أساطير يرددونها .

ولذلك سنتناول في مبحثنا هذا أربع مسائل متمثلة في دعوة القرآن إلى العلم ، ودوره في بناء العقل الإنساني والتفكير العلمي ، وكيف أن القرآن قد وضع قواعد وأسساً لبناء الشخصية العلمية النموذجية ، وأخيراً نبيّن سبل المعرفة في التصور الإسلامي وإليك بيانها :

أولاً : دعوة القرآن إلى العلم :

لقد جاءت كلمة العلم ومشتقاتها في كتاب الله قرابة خمسٍ وثلاثين وثمانمائة مرة[1] ، ومما يبين اهتمام القرآن بالعلم أن أول آية نزلت على رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يتعبد في غار حراء قوله تعالى : **﴿اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ . خَلَقَ الإِنسَانَ مِنْ عَلَقٍ . اقْرَأْ وَرَبُّكَ الأَكْرَمُ . الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ . عَلَّمَ الإِنسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ﴾**[2] **وأنه أقسم بالقلم في قوله تعالى : ﴿ ن وَالْقَلَمِ وَمَا يَسْطُرُونَ ﴾**[3]، وقد جعل الله للعلماء منزلة رفيعة ، حتى جعلهم من الشهداء على وحدانيته ، قال تعالى :

---

(١) انظر (المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم) محمد فؤاد عبد الباقي .

(٢) سورة العلق ، الآيات (١-٥).

(٣) سورة القلم ، الآية (١) .

﴿شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لا إِلَهَ إِلا هُوَ وَالْمَلائِكَةُ وَأُولُوا الْعِلْمِ قَائِمًا بِالْقِسْطِ ... ﴾ (١) وقد خصهم الله بالدرجات العليا في الجنة ، قال تعالى : ﴿ ... يرْفَعْ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ ... ﴾ (٢) ، وقد فرّق سبحانه في التسوية بين العالم والجاهل ، قال تعالى : ﴿ .. قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لا يَعْلَمُونَ ..﴾(٣)، وبيّن سبحانه خشية العلماء لجلاله ، لأنهم أسبق الناس إلى معرفته وإدراك قدرته ، قال تعالى : ﴿ إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ ﴾ (٤) ، وفي مقابل ذلك فقد ذم الله الذين لا يعلمون ، وسجل عليهم حكماً لا يرضاه عاقل لنفسه ، حيث قال تعالى : ﴿كَذَلِكَ يَطْبَعُ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِ الَّذِينَ لا يَعْلَمُونَ﴾ (٥) ، وقد حض سبحانه على طلب المزيد من العلم ، قال تعالى : ﴿ ...وقُلْ رَبِّ زِدْنِي عِلْمًا ﴾ (٦) .

وهكذا يتضح من خلال الآيات مكانة العلماء في القرآن الكريم ، وأنه قد أولاهم منزلةً وقدراً ليست لسائر البشر ، مما يدلنا على مدى اهتمام القرآن بالعلم وأهله، مع الإشارة إلى " أن مفهوم العلم ليس في كثرة التحصيل والدرس فحسب ، وإنما العلم الصادق هو الذي ينتفع به الناس، كما أنه الذي يسبغ على صاحبه الحكمة ، فيصبح بدون تكلف طبعاً ملازماً له في سلوكه الأخلاقي ، ونوراً يضئ له سبيل الرشد والخير ﴿ ... وَمَنْ يُؤْتَ الْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا ... ﴾ (٧) " (٨) .

---

(١) سورة آل عمران ، الآية (١٨) .

(٢) سورة المجادلة ، الآية (١١) .

(٣) سورة الزمر ، الآية (٩) .

(٤) سورة فاطر ، الآية (٢٨) .

(٥) سورة الروم ، الآية (٥٩) .

(٦) سورة طه ، الآية (١١٤) .

(٧) سورة البقرة ، الآية (٢٦٩) .

(٨) (نحو منهج علمي إسلامي) د حسين الشرقاوي ، ص ١٩.

وهنا سؤال يطرح نفسه ، ترى ما هو العلم الذي يدعو إليه الإسلام ؟ هل هو العلم الديني فقط ، أم المراد هو كل علمٍ يدفع الجهل سواءٌ أكان في الأمور الدينية أم في الشؤون المادية أيضاً ؟.

وللإجابة عن هذا نقول إن القرآن قد دعا إلى علوم الدين وعلوم الدنيا معاً فكل علم يدفع الجهل ويورث المعرفة هو من العلم المطلوب شرعاً . فالعلوم الطبيعية وعلم النفس وعلم التاريخ والجغرافيا والاجتماع وعلم النبات والحيوان والفلك وغيرها ، قد حض الله المسلمين على تعلمها بجانب العلوم الدينية ليكونوا أبصر بعظمة الله وقدرته المتجلية في خلقه ، ولما يترتب على هذه العلوم من منافع مادية ناتجة عن استخدام حقائق العلم في شئون الحياة .

فمن الآيات الدالة على تعلم العلوم الطبيعية قوله تعالى : ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ خَلْقُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَاخْتِلافُ أَلْسِنَتِكُمْ وَأَلْوَانِكُمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَاتٍ لِلْعَالِمِينَ﴾ [1] وقوله تعالى : ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجْنَا بِهِ ثَمَرَاتٍ مُخْتَلِفًا أَلْوَانُهَا وَمِنَ الْجِبَالِ جُدَدٌ بِيضٌ وَحُمْرٌ مُخْتَلِفٌ أَلْوَانُهَا وَغَرَابِيبُ سُودٌ . وَمِنَ النَّاسِ وَالدَّوَابِّ وَالأَنْعَامِ مُخْتَلِفٌ أَلْوَانُهُ كَذَلِكَ إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ ..﴾[2] فموضوع هذه الآيات هو نفس موضوع العلم الطبيعي ، من حيث إنه يبحث عن الأشياء الكونية وطبائعها وخواصها والعلاقات التي بينها.

ففي آية فاطر مثلاً لا يُعرف سرُّ نزول الماء من السماء إلا بعلم الطبيعة ، ولا يُعرف تركيبه وخواصه إلا بعلم الكيمياء ، ولا يُعرف الإنبات والإثمار إلا بعلم النبات، ولا يُعرف ما الجبال ولا طرائقها البيض والحمر والسود إلا بعلم طبقات الأرض ، ولا يُعرف اختلاف أجناس البشر والدواب والأنعام إلا بعلمي أصل الشعوب والحيوان [3] .

---

(١) سورة الروم ، الآية (٢٢) .

(٢) سورة فاطر الآيتان (٢٧ ، ٢٨) .

(٣) انظر (الإسلام دين ودنيا) عبد الرازق نوفل ، ص ٤٧. و (روح الدين الإسلامي) عفيف عبد الفتاح طبّارة، ص ٢٧٥ –٢٧٧.

يقول مصطفى صادق الرافعي : " غير أننا نوثق الكلمة في أن القرآن الكريم كان سبب العلوم الإسلامية ومرجعها كلها ، بأنه ما من علمٍ إلا وقد نظر أهله في القرآن ، وأخذوا منه مادة علمهم أو مادة الحياة له ، فقد كانت سطوة الناس في الأجيال الأولى من العامة وأشباه العامة شديدة على أهل العلوم النظرية ، إلا أن يجعلوا بينها وبين القرآن نسباً من التأويل والاستشهاد والنظر ، أو يبتغوا بها مقصداً من مقاصده ، أو يُريغوا [1] معنى من معاني التفقه في الدين والنظر في آثار الله ، إلى ما يشبه ذلك مما يكون في نفسه صلةً طبيعيةً بين أهل العقول والبحث وأهل القلوب والتسليم " [2] .

وهكذا فقد أدركنا إحاطة القرآن بمخترعات العصر ، واختراقه لحجب المستقبل، وأن هذا القرآن قد دعا وشدد في طلب جميع العلوم الدينية والطبيعية ، ولذلك لا بد من الاطلاع على معطيات العلم الحديث ، وتوجيه أنظار الأمة لما في القرآن من إعجاز علمي ، تيسيراً للدعوة إلى دين الله في هذا العصر ، وليعلم الجميع أن هذا الدين قائم على العلم ، وأن آيات القرآن تتفق مع معطيات العلم الحديث واكتشافاته فيما توصل إليه من حقائق ثابتة .

ثانياً : اهتمام القرآن بالعقل الإنساني والتفكير العلمي :

لقد اهتم القرآن بالعقل الإنساني باعتباره مركز التفكير والتأمل والتدبر والاعتبار ، وهو عجلة القيادة لهذا الإنسان ، إذ به يستطيع أن يميز بين الحق والباطل، والخير والشر ، فهو جوهرة ثمينة ، لا بد أن يُرعى حق الرعاية ، وأن يُصان بعيداً عن الانحراف والتيه ، بعيداً عن اللهو والعبث ، وأن يُوجه في مساره الصحيح ، لينتج تفكيراً علمياً صحيحاً بعيداً عن الأوهام والخرافات والأساطير .

---

(١) أصلها من رَوْغَ : ومنها يَرُوغُ روغاً وروغانا ، بمعنى حاد ، وتقول للرجل ماذا تُرِيغُ : أي ماذا تريد وتطلب ، ويقال يُريغني على أمر وعن أمر أي يراودني ويطلبه مني . (لسان العرب ، ابن منظور ، ج٨ ، ص ٤٣٠- ٤٣١.

(٢) إعجاز القرآن والبلاغة النبوية ، ص ١٢٢- ١٢٣.

يقول الدكتور سليمان دنيا : " العقل ليس إلا قوة فيك تكشف لك عن الواقع، أو عن شيء من جوانبه ، لتدركه ، فتدرك بإدراكه الحد الفاصل بين الخطأ والصواب ، والحق والباطل ، لتأخذ بالصواب والحق ، وتبتعد عن الخطأ والباطل فأين منه إباحة معربدة لا تهتم لحق ولا لباطل ولا ترى لصواب أفضلية على خطأ ، ولكنها اندفاع عابث ، وعبث مندفع .

العقل نور يكشف لك مواقع إقدامك ، قبل أن تسير ، ويريك مبدأ السير ونهايته فأين منه ظلام دامس لا تتبين معه مواضع الخطو، ولا تتضح معه بداية الطريق ولا نهايته [١] .

وقد ذكر القرآن العقل باسمه وأفعاله زهاء خمسين مرة [٢] ، وكذلك جاءت كلمة (أولو الألباب) أي أصحاب العقول ست عشرة مرة [٣] ، وكذلك جاءت كلمة (أُولِي النُّهى) في موضعين ، وكلاهما في سورة طه [٤] .

وقد بين القرآن أن العقل نعمةٌ كبرى ، لا بد من استخدامه واللجوء إلى حكمه فيقول تعالى في كثير من فواصل الآيات القرآنية : ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾[٥] ، ﴿قَدْ بَيَّنَّا لَكُمْ الآيَاتِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴾ [٦] ، ﴿ ... أَفَلا تَعْقِلُونَ﴾ [٧] ومن تلك الآيات التي تبين أهمية العقل وضرورة استخدامه : قوله تعالى ﴿وَقَالُوا لَوْ كُنَّا نَسْمَعُ أَوْ نَعْقِلُ مَا كُنَّا فِي أَصْحَابِ السَّعِيرِ﴾ [٨] ، وقوله تعالى ﴿إِنَّ شَرَّ الدَّوَابِّ

---

(١) الدين والعقل ، ص ٦.

(٢) المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم / محمد فؤاد عبد الباقي .

(٣) نفس المرجع السابق ، ص ٦٤٤.

(٤) الآيتان (٥٤ ، ١٢٨) .

(٥) سورة الرعد ، (الآية ٤) ، وسورة النحل ، (الآية ١٢) .

(٦) سورة الحديد ، (الآية ١٧) .

(٧) سورة يونس (١٦) ، سورة هود (٥١) ، سورة يوسف (١٠٩) ، سورة الأنبياء (١٠).

(٨) سورة الملك ، (الآية ١٠).

عِنْدَ اللَّهِ الصُّمُّ الْبُكْمُ الَّذِينَ لا يَعْقِلُونَ﴾ (١) ، وقوله ﴿أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الأَرْضِ فَتَكُونَ لَهُمْ قُلُوبٌ يَعْقِلُونَ بِهَا﴾ (٢) .

إلى غير ذلك من الآيات الكثيرة التي يضيق المقام باستقصائهما ، مما يؤكد مكانة العقل وضرورة إعماله ومما يدفع أيَّ تنافٍ أو تعارضٍ بين النقل والعقل .

" وقد أولى الإسلام جانب الحس أهميةً مناسبةً ، حيث دعا إلى النظر والسير والتحرك والتثبت في نصوصٍ متضافرةٍ . إلا أنه أولى اهتماماً أكبر لدور العقل الذي يوجه الحس ويمحص نتائجه ، ولنفترض أننا أبعدنا العقل عن مجال الحس لنرى كيف نتخبط في الضلالات حتى لا نستطيع كشف أية حقيقة مهما ضؤلت بواسطة الحس ، بل إن نكران العقل يدفعنا إلى التشكيك في وجود أية حقيقة وراء الحس " (٣) .

وهكذا فقد جعل الإسلام للعقل مكانته الرفيعة ، ورفع الإنسان به عن مرتبة الحيوان وجعله الميزان الذي يزن به المرء أعماله وأموره ، وقد فضل الإسلام ذوي العقول والأحلام والنهى والألباب على من لا عقول لهم وجعل لهم التقدم والصدارةِ ، وبهذا يظهر لنا أن الإسلام هو دين العقل (٤) .

ترى هل وقف الإسلام يوماً في سبيل الحرية الفكرية كما يتشدق الخراصون ، أم أنه على العكس من ذلك كان محرر العقول الأسيرة ومنير البصائر المظلمة ، ومثبت الأفكار القلقة ومنعش الهمم الخامدة ، ومحرك الأفهام الجامدة ؟

مما لا شك فيه أن الإسلام لم يحجر على العقل ولا على التفكير ، ولم يحبس ضياء العقول ، بل تركها تعمل ، ولكنه رسم لها طريق الهداية ، وأرشدها إلى حدها الذي يجب أن تتعرف عليه ، وعرفها قلة علمها وخبرتها مهما بلغت من السعة

---

(١) سورة الأنفال ، (الآية ٢٢) .

(٢) سورة الحج ، (الآية ٤٦) .

(٣) الفكر الإسلامي مواجهة حضارية / محمد تقي المدرسي / ص ٥٣.

(٤) انظر (الإسلام والعقل على ضوء القرآن الكريم والحديث النبوي) الدكتور صلاح الدين المنجد، ص ٥٩

والإدراك، وقد تأثر المسلمون بهذا المنهج العقلي ، فوضعوا أقيسةً منطقيةً ، وحدوداً عقليةً متجنبين بذلك الروايات التي تميل إلى الخرافة وتجانب التفكير المنطقي [1] .

فالإسلام لا يتنافى مع العقل ، ولا مع العلم ، فهو دين عقل ، ودين فكر ونظر، يرحب بالصالح النافع من كل شيء ، والحكمة ضالة المؤمن، أنى وجدها فهو أحق الناس بها .

يقول قدري حافظ طوقان : " ولا نكون مجانبين الحقيقة إذا قلنا إن الاجتهاد أو النظر العقلي في المسائل الشرعية قد أيده الدين ورخص به الرسول وحض عليه . فقد ورد في كتاب الله ﴿وَتِلْكَ الأَمْثَالُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ وَمَا يَعْقِلُهَا إِلا الْعَالِمُونَ ﴾ [2] ، ﴿فَاعْتَبِرُوا يَا أُولِي الأَبْصَارِ ﴾ [3] ، ﴿ فَإِنْ تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ﴾ [4] ، هذه الآيات وغيرها تدل على وجوب الاجتهاد والنظر في فهم الأحكام وتفسيرها والرجوع عند الخلاف إلى أصل الشريعة وإلى العقل . وجاء في الحديث : (أنا أقضي بينكم بالرأي فيما لم ينزل به وحي)[5] . وسأل النبي صلى الله عليه سلم معاذاً حين ولاه القضاء على اليمن : (بم تحكم ؟ قال بكتاب الله . قال فإن لم تجد ؟ قال فبسنة رسول الله . قال : فإن لم تجد ؟ قال أجتهد رأيي)[6] . وقد أقره النبي على ذلك . وجاء عن الرسول صلى الله عليه وسلم أنه قال : (إذا حكم الحاكم فاجتهد ثم

---

(١) (انظر الفكر الإسلامي) الدكتور محمد الصادق عفيفي / ص ٢٧٧.

(٢) سورة العنكبوت ، (الآية ٤٣) .

(٣) سورة الحشر ، (الآية ٢) .

(٤) سورة النساء ، (الآية ٥٩) .

(٥) انظر (سنن أبي داود) كتاب الأقضية / باب (٧) / حديث رقم (٣٥٨٥) /ج٤/ص١٥.

(٦) انظر (سنن أبي داود) كتاب الأقضية / باب (١١) حديث رقم (٣٥٩٢) / ج٤/ص ١٨. و(مسند أحمد ابن حنبل) ج٥/ ص ٢٣٦ ، ٢٤٢.

أصاب فله أجران وإذا حكم فاجتهد ثم أخطأ فله أجر)[1] . والـــذي لا شـك فيــه أن الدعوة إلى الاجتهاد هي دعوة لحرية العقل وحرية الرأي وتدعيم لهما"[2] .

وهكذا حرر الإسلام عقل الإنسان وتفكيره واعترف بطبيعته ومطامحه وأهوائه وأشواقه جميعاً وحطم الأغلال المتراكمة الموروثة عن الأجيال الماضية التي عزلـت العقل عن تفكيره والقلب عن إحساسه .

وقد جاء في القرآن الكريم كثيرٌ من الآيات التي تكلف العقل بمهمته . مهمــة التفكّر والتدبّر والتعقّل .

فالعقل الراجح والقلب المتفتح إذا أمعنا النظر في آيات الله كان أقـــرب إلـى الإيمان وأدنى إلى التقوى.

يقول الدكتور منصور محمد حسب النبي : " لقد أمرنا الله سبحانه وتعـالى أن نسعى ونبحث في البر والبحر والجو والفضاء ، وبسط أمامنا الدنيا لنذهب بعقولنا إلـى التفكير في الكون ، ووهبنا الله عز وجل أسمى مرتبة بين الأحياء ، فأودع فينا قبســاً إلهياً يُدعى العقل البشري ووجه إلينا دعوةً صريحةً للتعرف على الكـــون بالمشــاهدة والتأمل والبحث التجريبي كما في قوله تعالى:﴿ **قُلْ انظُـــرُوا مَـــاذَا فِـــي السَّـمَوَاتِ وَالأَرْضِ**﴾[3] ، وقوله تعالى ﴿**قُلْ سِيرُوا فِي الأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ بَدَأَ الْخَلْـقَ** ﴾[4] ، وهكذا يمتاز الدين الإسلامي باحترام العقل الإنساني ويطالبه بأن ينهج نهجاً خاصاً فـي البحث عن الله فلا يندفع وراء الخيالات والفروض ولا يتمادى في التطلع إلى ما فـوق طاقته "[5] .

---

(١) انظر (سنن أبي داود) كتاب الأقضية / باب (٢) حديث رقم (٣٥٧٤) / ج٤ / ص ٧.

(٢) انظر (مقام العقل عند العرب) / ص ٥٦، ٥٧.

(٣) سورة يونس ، (الآية ١٠١) .

(٤) سورة العنكبوت ، (الآية ٢٠) .

(٥) الكون والإعجاز العلمي للقرآن / ص ١٣ ،١٤ (بتصرف) .

وتقول الدكتورة لورافيشيا فاغليري [1] : " إن ديننا يتخذ من التأمل العقلاني أساسا له ، ويفسح مثل هذا المجال العريض للعقل : ويأمر باصطناع جميع الملكات التي وهبها الله للإنسان ، وبالتالي اصطناع تلك الملكة التي تعتبر أعظمها على الإطلاق ، وهي ملكة الذكاء ، مثل هذا الدين كيف يمكن أن يكون عقبة في طريق العلم والفلسفة" [2] .

والقرآن الكريم هو الذي وكل إلى هذا العقل المتفهم مهمة التطبيق والتبصر بمآلاته في ضوء ما يلابس الحياة من ظروف وما يلم بها من أحداث ، ومن هنا حقق القرآن الكريم (القيمة الذاتية للفكر الإنساني) من حيث جعله مسؤولا عن وصل الحياة بالدين عملا ، لتنعم بالحق والخير والعدل والفضيلة [3] .

إن الإسلام لا يطلب الإيمان بدون استعمال العقل ، بل يأمر أهله بالتفكر في الآيات التي تدل على الخالق كالنظر في السموات والأرض وفي إبداء الصنع لكل شيء ، فهو لا يقيد العقل ، ولا يقبل التحجر والتعفن ، ولا يجيز الانقياد الأعمى ، لأن ذلك يجرد الإنسان من أهم خاصة زوده الله بها ، وهي نعمة العقل ، وهو يربأ بالإنسان أن يتقاعس وأن يخلد إلى الأرض ، وأن يرضى بالقليل ، ويهيب بالناس أن ينظروا ويتدبروا ويتفكروا ويتعلموا ليعرفوا آيات الله ويدركوا سرها ، بل يتحدى الجهل ، ويعيرهم بعدم التعلم وضيق معلوماتهم [4] .

---

(١) أستاذة اللغة العربية وتاريخ الحضارة الإسلامية في جامعة نابولي بإيطاليا .

(٢) دفاع عن الإسلام / ص ١٢٨.

(٣) انظر (المناهج الأصولية في الاجتهاد بالرأي في التشريع الإسلامي) د. فتحي الدريني ، ص٣، ٤ .

(٤) انظر (في الإسلام والعلم والحياة) د. عبد العزيز عزام / ص ٢٩ ، و (الفكر الإسلامي) د. محمد الصادق عفيفي / ص ٤٧ ، ٤٨. و (النظريات العلمية في القرآن) د . حسين الهراوي ، ص ١٣ ، و(مقام العقل عند العرب) قدري حافظ طوقان / ص ٢٣.

ونرى القرآن يعيب على الذين يعطلون عقولهم ،ويهملون استخدام تفكيرهم ، بل ذكرهم بأسلوب مؤثر يفعل في قارئه ما لا تفعله أقسى الزواجر : فقال تعالى : ﴿إِنَّ شَرَّ الدَّوَابِّ عِنْدَ اللَّهِ الصُّمُّ الْبُكْمُ الَّذِينَ لا يَعْقِلُونَ﴾ [1] ،وقال : ﴿ أَمْ تَحْسَبُ أَنَّ أَكْثَرَهُمْ يَسْمَعُونَ أَوْ يَعْقِلُونَ إِنْ هُمْ إِلا كَالأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ سَبِيلاً ﴾ [2] ، وقال : ﴿وَمَثَلُ الَّذِينَ كَفَرُوا كَمَثَلِ الَّذِي يَنْعِقُ بِمَا لا يَسْمَعُ إِلا دُعَاءً وَنِدَاءً صُمٌّ بُكْمٌ عُمْيٌ فَهُمْ لا يَعْقِلُونَ ﴾ [3] ، بل جعل الله عدم استعمال العقل سبباً لعذاب الآخرة وذلك في قوله عن الكفار : ﴿وَقَالُوا لَوْ كُنَّا نَسْمَعُ أَوْ نَعْقِلُ مَا كُنَّا فِي أَصْحَابِ السَّعِيرِ﴾ [4]. وهذه إشادةٌ كبيرةٌ بالعقل اختص بها الإسلام ولا نظير لها في الأديان الأخرى [5] .

" وهكذا نجد الإسلام في حرصه على حرية التفكير من حيث جوهر وحرية التعبير من حيث هي أداة للإعلان عن هذا الجوهر ، يبتغي في النهاية أن يجيء العقل حراً وأن تكون حرية العقل هذه أداة لتجويده وانتقاء أفضله وأنفعه ، لأن الإنسان القويم لا يختار من الأفعال إلا ما يوافق ملكاته ومواهبه ومصلحته " [6] .

ثالثاً : دور القرآن في إيجاد الشخصية العلمية النموذجية :

إن الإسلام قد وضع للإنسان قواعد وأسساً لبناء الشخصية العلمية النموذجية فنهاه عن الأخذ بالظنون والأوهام ، والوقوع في الأهواء ، وعدم متابعة الخيالات فيما ليس وراءه علم ، وعدم تقليد الآباء والتعصب لآرائهم أياً كانت ، وعدم الجمود على ما توصل إليه العلم وكفى ، بل لا بد من سماع كل رأي والأخذ به إن كان حقاً ، ولا

---

(١) سورة الأنفال (الآية ٢٢) .

(٢) سورة الفرقان ، (الآية ٤٤) .

(٣) سورة البقرة ، (الآية ١٧١) .

(٤) سورة الملك ، (الآية ١٠) .

(٥) انظر (الفكر الإسلامي) د . محمد الصادق عفيفي / ص ٢٢٦. ، و(روح الدين الإسلامي) عفيف عبد الفتاح طبَّارة/ ص ٢٧٣.

(٦) (الإسلام والإنسان المعاصر) د . محمد ظفر الله خان / ص ٢٣٩ .

بُدَّ من التثبت من العلم فلا يؤخذ شيءٌ بلا دليلٍ وبرهانٍ .وإليك بعضاً من هذه القواعد على سبيل المثال لا الحصر :

١) اعتماد الحجة والبرهان :

فالمتأمل في القرآن الكريم يجد أنه لا يقول في شيء أنه حق إلا إذا قام عليه البرهان اليقيني القاطع ، دون ذلك لا تعد النتائج صحيحة ﴿ **... تِلْكَ أَمَانِيُّهُمْ قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ إِنْ كُنتُمْ صَادِقِينَ** ﴾ (١) فإن فُقِدَ الدليل والبرهان فذلك وهمٌ وخيالٌ .

٢) اعتماد اليقين لا الظن :

إن كبرى المصائب أن يُجعل يقيناً ما ليس بيقين ، وأن ينزل الظن منزلة اليقين ، وهذا التفريق العلمي بين ما هو حقٌ وما هو ظنٌ مما يأمر به القرآن ، فهو يحذر من الظنون والأوهام ، ويعتبرهما السبب في تضليل الناس وإفساد معتقداتهم ، قال تعالى: ﴿ **وَإِنْ تُطِعْ أَكْثَرَ مَنْ فِي الأَرْضِ يُضِلُّوكَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ إِنْ يَتَّبِعُونَ إِلا الظَّنَّ وَإِنْ هُمْ إِلا يَخْرُصُونَ** ﴾ (٢) ويقول تعالى : ﴿ **وَمَا يَتَّبِعُ أَكْثَرُهُمْ إِلا ظَنًّا إِنَّ الظَّنَّ لا يُغْنِي مِنَ الْحَقِّ شَيْئًا** ﴾ (٣) وقال تعالى : ﴿ **إِنْ يَتَّبِعُونَ إِلا الظَّنَّ وَإِنَّ الظَّنَّ لا يُغْنِي مِنَ الْحَقِّ شَيْئًا** ﴾ (٤) وقال تعالى ﴿ **مَا لَهُمْ بِهِ مِنْ عِلْمٍ إِلا اتِّبَاعَ الظَّنِّ** ﴾ (٥) .

ويأمر القرآن بالاعتماد على العلم اليقيني ، وينعى على الذين يجرون وراء الوهم والظن ، قال تعالى ﴿ **بَلِ اتَّبَعَ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَهْوَاءَهُمْ بِغَيْرِ عِلْمٍ** ﴾ (٦) ، ﴿ **وَإِنَّ كَثِيرًا لَيُضِلُّونَ بِأَهْوَائِهِمْ بِغَيْرِ عِلْمٍ** ﴾ (٧) ، ويأمر الله المسلمين بأن يتقيدوا بهذا الأساس

---

(١) سورة البقرة ، (الآية ١١١) .

(٢) سورة الأنعام ، (الآية ١١٦).

(٣) سورة يونس ، (الآية ٣٦) .

(٤) سورة النجم ، (الآية ٢٨) .

(٥) سورة النساء ، (الآية ١٥٧).

(٦) سورة الروم ، (الآية ٢٩).

(٧) سورة الأنعام ، (الآية ١١٩) .

العلمي بقوله : ﴿ وَلا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْئُولاً ﴾ [١]. وهكذا تنهى الآية عن اتباع كل ما يقال مما ليس بعلمٍ يقينٍ لأن الإنسان يُسأل يوم القيامة عما تلقاه سمعه وأدركه بصره ووعاه قلبه من المدركات غير المحققة والتي قد تجر إلى معتقداتٍ ضالةٍ تلغي كثيراً من الحقائق العلمية ، وتجعل صاحبها بعيداً كل البعد عن الحق والصواب .

٣) **محاربة التقليد :**

لقد شدد القرآن النكير على أناس كانوا يتمسكون بالرأي ، لا لأنهم عقلوه ، ولكن لأن آباءهم ارتأوه ، قال تعالى ﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا إِلَى مَا أَنزَلَ اللَّهُ وَإِلَى الرَّسُولِ قَالُوا حَسْبُنَا مَا وَجَدْنَا عَلَيْهِ آبَاءَنَا أَوَلَوْ كَانَ آبَاؤُهُمْ لا يَعْلَمُونَ شَيْئًا وَلا يَهْتَدُونَ﴾ [٢] ، وقال تعالى ﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ اتَّبِعُوا مَا أَنزَلَ اللَّهُ قَالُوا بَلْ نَتَّبِعُ مَا أَلْفَيْنَا عَلَيْهِ آبَاءَنَا أَوَلَوْ كَانَ آبَاؤُهُمْ لا يَعْقِلُونَ شَيْئًا وَلا يَهْتَدُونَ . وَمَثَلُ الَّذِينَ كَفَرُوا كَمَثَلِ الَّذِي يَنْعِقُ بِمَا لا يَسْمَعُ إِلا دُعَاءً وَنِدَاءً صُمٌّ بُكْمٌ عُمْيٌ فَهُمْ لا يَعْقِلُونَ﴾ [٣].

إن في التقليد تعطيلاً لقدرة الإنسان العقلية التي أنعم الله بها عليه ، والمرء لا يكون مؤمناً إلا إذا علم الإسلام وآمن به عن اقتناع لا عن تقليدٍ أعمى .

٤) **الدعوة للأخذ بالأحسن :**

لقد نهى القرآن عن التقيد بوجهة نظرٍ واحدةٍ ، لا يحيد عنها ، وذلك بأن يستقر في ذهن الإنسان شيءٌ منذ صغره ، فيضع سدوداً أمام كل ما يناقضه من الآراء والمذاهب الصحيحة ، يقول تعالى نهياً عن ذلك ﴿الَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ الْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُ أُولَئِكَ الَّذِينَ هَدَاهُمُ اللَّهُ وَأُولَئِكَ هُمْ أُولُوا الأَلْبَابِ﴾ [٤] .

---

(١) سورة الإسراء ، (الآية ٣٦) .

(٢) سورة المائدة ، (الآية ١٠٤) .

(٣) سورة البقرة ، (الآية ١٧٠-١٧١).

(٤) سورة الزمر ، (الآية ١٨) .

وهكذا يصف الله هؤلاء الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه دون تعصب لرأي بأنهم أهل العقول الراجحة والبصائر النيرة .

وبهذا ندرك أن الإسلام قد وضع منهاجا يضمن بناء شخصية علمية لا تنخدع بالأوهام أو قبول الظن ، ولا تقول قولا بغير حجة وبرهان ، ولا تتحجر بتقليد الآباء ، ولا تتقوقع على ما هي عليه دون أن تمتد عينها لما هو أفضل في الدنيا والآخرة ، وفي كل هذا إطلاق العنان للعقل أن يفكر وأن يحطم الأغلال من حوله ، وينطلق مبدعا ومجددا وساعيا لحضارة علمية متقدمة .

رابعا : سبل المعرفة في التصور الإسلامي :

لقد جعل الإسلام المعرفة هدفا من أهداف الإنسان المسلم ، وشرع للوصول إلى هذه المعرفة سبلا وطرائق ، منها ما يعتمد على الوحي فقط ، ومنها ما يعتمد على المنهج التجريبي القائم على الحواس من سمع وبصر وعقل ، يتفرع منه الاستقراء والقياس ، وما يعتمد على العقل مما يعرف بالمنهج العقلي ، وهذا التنوع في سبل المعرفة من باب التيسير والتسهيل على الأمة لإدراك المعرفة ، وذلك لاختلاف المدارك والقدرات ولتفاوت الجهود والطاقات .

ولا بد أن نلقي الضوء على بعض هذه السبل بإيجاز زيادة في التوضيح والبيان :

أما المعرفة التي تعتمد على الوحي فهي الأمور التي يعلم الله سبحانه أن الإنسان لا يهتدي فيها إلى الحق من تلقاء نفسه ،وهي ما تعرف بعالم الغيب ، أو ما وراء الطبيعة (الميتافيزيك) .

يقول محمد جواد مغنية : " ... وعلى أية حال فإن الغيب يدل اسمه عليه ، يدرك بالوحي فقط ، لا بالتجربة ولا بالعقل.. أجل شرطه الوحيد أن لا يتنافى مع العقل ، لا أن يستقل العقل بإدراكه .. وعلى هذا فلا يبقى مجال لأية محاولة تهدف إلى إخضاع الوحي ونصوصه للعلم التجريبي والقصد من هذه الإشارة هو البيان بأن موضوع العلم التجريبي شيء ، وموضوع الدين والوحي شيء آخر ، فالأول موضوعه المادة جامدة كانت أو نامية ، وهدفه الكشف عما تحتوي عليه من قوى ،

والثاني موضوعه حياة الإنسان بشقيها المادي والروحي ، وإن شئت قلت حياته الروحية والعملية ، وأما هدفه فهو أن يعيش الناس ، كل الناس عيشةً راضيةً مرضيةً"(١) .

"ويلاحظ أن القرآن قد فصل بين عالم الشهادة وعالم ما وراء الطبيعة (الميتافيزيك) كالملائكة والجن ، وذلك من حيث صلة الإنسان بهما ، وطريقة للتعرف عليهما ، فجعل صلة الإنسان بعالم الشهادة طريقها الحواس والتفكير أي أدوات الشهادة، وصلته بعالم الغيب طريقها الإيمان ﴿ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ ﴾(٢) وعن طريق الوحي والنبوة . ولذلك يعالج الإنسان الحوادث والمسائل الكونية معالجة موضوعية بحسب ما يشهد بحواسه ويدرك بعقله "(٣).

وهكذا ندرك أن المعرفة تنقسم إلى قسمين وهما : عالم الغيب وعالم الشهادة ، ورأينا أن عالم الغيب يُدرك بالوحي للأنبياء ، ويشمل عالم الغيب كلَّ ما لا يقع تحت حواسنا البشرية وذلك كالإيمان بوجود الله وملائكته ،والجن ، والجنة ، والنار ، إلى غير ذلك من أمورٍ غيبيةٍ .

أما بالنسبة لعالم الشهادة فمعرفته مختصة بجهد البشر متمثلاً ذلك في تجاربهم وقياسهم واستقرائهم معتمدين في ذلك على أسماعهم وأبصارهم وعقولهم.

يقول محمد المبارك : " لقد جعل الإسلام الحواس بمعونة العقل أو العقل بمعونة الحواس طريقاً للوصول إلى معرفة الكون ، ومصدراً لكشف حقائقه ، وجعلها المصدر المختص بذلك ، وأحال عليها في نصوص كتابه وسنة نبيه صلى الله عليه وسلم ، بخلاف عالم الغيب فقد جعل الوحي للأنبياء هو مصدر معرفته والمرجع المختص في ذلك .وبهذا التوجيه في استعمال الحواس طريقاً ومرجعاً مهَّدَ القرآن السبيل (للمنهج التجريبي) في علوم الطبيعة ، وعبَّدَ له الطريق ، وجاء الحديث النبوي

---

(١) (التفسير الكاشف) ج١/ ص ٤٥ – ٤٦ .

(٢) سورة البقرة ، (الآية ٣) .

(٣) انظر (الإسلام والفكر العلمي) محمد المبارك / ص ٣٩ .

قولاً وعملاً مؤيداً لذلك ، ودافعاً إليه كما يدل على ذلك حديث تأبير النخل [1] ، وحديث إن الله أنزل لكل داء دواء " [2] .

" والمعرفة تعتمد على السمع والبصر والعقل ، فلو أخذ طفل وحبس عن العالم إلا فيما يكفي لحياته من طعامٍ وشرابٍ ، فإنه وإن نما جسمه حتى يبلغ الرجولة ، لا ينمو عقله عن عقل الطفولة ، وبهذا يقول علماء التربية ، وإلى هذا تشير الآية القرآنية التالية : ﴿وَاللَّهُ أَخْرَجَكُمْ مِنْ بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ لا تَعْلَمُونَ شَيْئًا وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالأَبْصَارَ وَالأَفْئِدَةَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ [3]. فهذه الآية صريحةٌ في أن ما يحصله الإنسان من علمٍ بعد أن يولد إنما يكسبه عن طريق السمع والبصر والعقل " [4] .

" وصرح العلم الذي نفتخر به اليوم يقوم على أساس التجربة ، والتجربة تقوم على قاعدتين : الحس والعقل . إن الحيوان لا يمكن أن يكتشف من تجاربه شيئاً مع أنه يحس ربما أشد منا وأقوى ، فالكلب ذو سمعٍ شديدٍ والصقر ذو بصرٍ نافذٍ ، ولكنهما لا يملكان التجربة لأنهما يحسان فقط دون أن يعقلا " [5] .

ولقد قدم علماء المسلمين لأول مرة في تاريخ البشرية أصول المنهج العلمي في البحث القائم على الاستقراء والقياس والاعتماد على المشاهدة والتجربة أو التمثيل ، وأحاطوا هذا المنهج بالإنصاف لمن سبقهم وبالأمانة العلمية وتقوى الله في قول كلمة الحق [6] .

وبهذا ندرك كيف أن التجربة قد قامت على الاستقراء والقياس مستعينة بالحواس من سمعٍ وبصرٍ وعقلٍ ، وقد تمثل هذا المنهج على أيدي المسلمين ، الذين

---

(١) انظر التخريج (هذا الفصل) ص

(٢) (الإسلام والفكر العلمي) / ص ١١٧(بتصرف) .

(٣) سورة النحل ، (الآية ٧٨) .

(٤) (روح الدين الإسلامي) عفيف عبد الفتاح طبَّارة/ ص ٢٧٥.

(٥) (الفكر الإسلامي مواجهة حضارية) محمد تقي الدين المدرسي / ص ٥٤.

(٦) انظر (الإسلام والتكنولوجيا) أنور الجندي / ص ٦ .

أبدعوا في هذا المجال ، ولا ريب أن هذا الطريق الذي اختطوه كان طريقاً جديداً له أصالته وذاتيته الخاصة التي تختلف عن السبل والمناهج التي شقها المشتغلون بالعلم قبلهم . فقد كانت حركتهم هي هذا المنهج تسير في نطاق الخطوط العامة التي رسمها لهم القرآن ، بالمشاهدة التي هي أصل علمي ، وهي أصلٌ قرآنيٌ أيضاً ، فالآيات القرآنية التي تأمر بالمشاهدة واستعمال السمع والبصر مع العقل كثيرةٌ ، نذكر منها :

أولاً : استعمال البصر مع العقل : قال تعال : ﴿**قُلْ سِيرُوا فِي الأَرْضِ فَانْظُرُوا كَيْفَ بَدَأَ الْخَلْقَ**﴾ (١) .

ثانياً : استعمال السمع مع البصر ، قال تعالى : ﴿**أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الأَرْضِ فَتَكُونَ لَهُمْ قُلُوبٌ يَعْقِلُونَ بِهَا أَوْ آذَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَا فَإِنَّهَا لا تَعْمَى الأَبْصَارُ وَلَكِنْ تَعْمَى الْقُلُوبُ الَّتِي فِي الصُّدُورِ**﴾ (٢) . والمراد بالقلوب في هذه الآية العقول لأنها موطن الإدراك ، يدل على ذلك قوله تعالى : ﴿**قُلُوبٌ يَعْقِلُونَ بِهَا**﴾ (٣).

وبهذا فإن الإسلام هو مصدر المعرفة سواء كانت عن طريق الوحي أو عن طريق المنهج العلمي التجريبي الذي أقامه المسلمون تطبيقاً لدعوة القرآن .

---

(١) سورة العنكبوت ، الآية (٢٠) .

(٢) سورة الحج ، الآية (٤٦) .

(٣) انظر (الإسلام والتكنولوجيا) أنور الجندي / ص ٤٩. و (روح الدين الإسلامي) عفيف عبد الفتاح طبّارة/ ص ٢٧٤–٢٧٥.

المبحث الثاني

موقف القرآن من البيئة الجاهلية

تعريف الجاهلية لغة واصطلاحاً :

تعريفها لغة : هي من الجهل ، وهو ضد العلم ، يقال جهّل صاحبه : أي رماه بالجهل، واستجهله : أي عده جاهلا ، واستخف به ، وتجاهل : بمعنى أرى من نفسه أنه جاهل، وليس به ، وجاهله : بمعنى سافهه ، ومن المجاز (استجهلت الريح الغُصْنَ : أي حركته) [1] .

أما في الاصطلاح : فيطلق ويراد بها أحد ثلاثة أمور :

الأول : خلوّ النفس من العلم ، وهذا هو الأصل .

الثاني : اعتقاد الشيء بخلاف ما هو عليه .

والثالث : فعل الشيء بخلاف ما حقه أن يفعل سواء اعتقد فيه اعتقاداً صحيحاً أو فاسداً [2] .

إذن فالجاهلية : " هي الانحراف عن عبادة الله الحق ، هذه العبادة تتمثل في التحاكم إليه وحده في أمر الحياة كله ، ثم ما يترتب على هذا الانحراف من اضطراب وتوزع ، وتمزق وتشتيت ، اضطراب في النظم ، واضطراب في الأفكار ، اضطراب في علاقة الإنسان بربه ، وعلاقته بالكون والحياة من حوله ، وعلاقته بأخيه الإنسان" [3].

---

(١) انظر (أساس البلاغة) / الزمخشري / ص ٦٧ . (ومختار الصحاح) محمد بن أبي بكر الرازي / ص ١١٥.

(٢) انظر (المفردات في غريب القرآن) الراغب الأصفهاني / ص ١٠٢.

(٣) (جاهلية القرن العشرين) / محمد قطب / ص ٤٨ .

والجاهلية كلمة تنطبق على كل انحراف أيا كان لونه وشكله وزمانه ومكانه ، وانطلاقا من التصور سنتناول بعض الجاهليات موضحين كيف اضطربت الأمـــور ، واختلت الموازين ، وكيف وقف القرآن موقف الحق من هذه التصورات التي انحرفت وشذت ، مبتعدة عن أي تصور علمي عقلي صحيح .

أولا : جاهلية العرب

نقصد بهذه الجاهلية تلك الفترة الزمنية التي عاشها العرب قبل الإسلام بما فيها من المعاني الاصطلاحية الثلاث التي سبق ذكرها (١) .

لقد عاش العرب جاهليةً مظلمةً ، مُلِئَت بالأساطير والخرافات ، وربط الحوادث ربطاً اعتباطياً لا ينضبط نظامه ، كما أنَّهم عبدوا الطبيعة بما فيها من شمسٍ وقمرٍ وحجرٍ إلى غير ذلك مما اعتقدوا فيه وعبدوا أرواحَ الأسلافِ ، وعرفت بينهم الكهانة والسحر والشعوذة ، وعُرِفُوا بالطيرة والعيافة ، وعُرِفَ بيعُهم وشراؤهم بالنجش ، إلى غير ذلكَ ممَّا لا يعتمد على عقلٍ سليمٍ وعلمٍ صحيحٍ .

يقول الدكتور منصور محمد حسب النبي :

" لقد تعرض كلٌّ من العلمِ والدينِ لمرضٍ مشتركٍ منذ أقدمِ العصورِ حيث سيطرت الأساطير والخرافات على عقل الإنسانِ البدائي الذي انحرف في دينهِ فضلَّ في متاهات الجهل ، ولقد كانت مظاهرُ الدينِ السائدة في الجاهلية محصورةً في أغلبِ الأحوالِ في الشركِ وذلك بالتوسلِ بالتمائمِ والسجودِ أمام الشمسِ أو القمرِ أو الكواكبِ ، أو العكوفِ عندَ تماثيلِ الأصنامِ التي لا تنفعُ ولا تضرُ ، وكان النشاط العلمي مشابهاً تماماً للوضع الديني ، قائماً على السحر والأساطير ،والشعوذةِ ، فالنجوم في السماء كانت في نظرهم مساميرَ لامعةً من الفضةِ لتثبِّت القبةَ السماويةَ ، وأنَّ الخسوفَ والكسوفَ ظواهرُ ناتجةٌ عن غضبِ القمرِ ، ولا بد من دقِّ الطبولِ لإزالةِ هذا الغضب، وأنَّ الطوفانَ يزولُ بإغراق شخصٍ في البحرِ ، وكانوا يعالجون المرضى بالطلاسم والنفخ في أذن المريض لكي تعودَ إليه روحُه المتوارية في الغابة والتي اصطادها الساحرُ وحبسها في صندوقٍ ، إلى غيرِ ذلكَ من خرافات تدلُ على الجهلِ في العلمِ والدينِ " (٢) .

---

(١) انظر صفحة ٦٧ .

(٢) الكون والإعجاز العلمي للقرآن ، ص ٢٢ .

وبعد هذا الإجمال نأتي بشيء من التفصيل والبيان لحال العرب في جاهليتهم .

١- الخرافة عند العرب :

لقد كان العرب منهمكين في التعامل مع الخرافة بل في إيجادها وابتكارها أصلا ، فمما عرف عنهم في ذلك :

أ) الطيرة :

" وهي من (طير) بتشديد وفتح الياء ، وقيل من زجر الطيور أي استثارتها ومراقبة طيرانها ، فإن تيامنت دل تيامنها على فأل ، وإن تياسرت دل على شؤم ، فهي إذن تشمل التفاؤل والتشاؤم إلا أنها خصصت بالتشاؤم فيما بعد ، وقد كان ذلك يصدهم عن مقاصدهم ، ومن هذه الطيور التي يتشاءم منها : البوم والغراب والخفاش وغيرها من الطيور الليلية .

والعامة تتطير من الغراب إذا صاح صيحة واحدة ، فإذا ثني تفاءلت به ، وإذا صاح الغراب مرتين فهو شر ، وإذا صاح ثلاث مرات فهو خير "[١].

وقد أبطل النبي صلى الله عليه وسلم الطيرة بقوله : (اقروا الطير على مكناتها)[٢] ، وقوله صلى الله عليه وسلم : (الطيرة شرك – قالها ثلاثا – وما منا إلا ، ولكن الله يذهبه بالتوكل)[٣].

---

(١) انظر : النهاية في غريب الحديث والأثر) : ابن الأثير / ج٣/ص١٥٢ ، و(القاموس الإسلامي): أحمد عطية الله / ج٤/ص٥٨٦. و (المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام) / الدكتور جواد على ج٦/ص٧٨٦، ٧٩١-٧٩٢.

(٢) سنن أبي داود_ كتاب الأضاحي ، باب (٢١) حديث رقم (٢٨٣٥)/ج٣/ص٢٥٧، ومسند أحمد ابن حنبل/ج٦/ ص٣٨١.

(٣) سنن أبي داود –كتاب الطب ، باب (٢٤)، حديث رقم (٣٩١٠) /ج٤/ ص٣٢٠، ومسند أحمد ابن حنبل / ج١/ص٣٨٩، ص ٤٣٨. وسنن الترمذي – كتاب السير – باب (٢٧) –حديث رقم (١٦١٤) ج٤/ص١٦٠.

ب) العِيَافَة :

وهي " زَجْرُ الطيرِ والتفاؤل بأسمائها وأصواتها وممرّها ، وهو من عادة العرب كثيراً ،وهو كثيرٌ في أسفارهم ، يقال : عاف يَعيف عَيْفاً ، إذا زجر وحدس وظن "[1].

وقد يستوحي العائف حُكمَهُ بالتفتيش في أحشاء الطير بعد ذبحه [2] وقد نفى الشرع العيافة وأبطلها بقول النبي صلى الله عليه وسلم: "العِيَافَة والطِيَرَة والطرق[3] من الجبت[4] "[5]

ج) الكَهَانَة :

وهي : " تعاطي الخبر عن الكائنات في مستقبل الزمان ، وادعاء معرفة الأسرار ، وقد كان في العرب كهنةٌ ، كَشِقٍ وسَطيح ،وغيرهما ، فمنهم من كان يزعم أن له تابعاً من الجنّ ورئياً يُلقِي إليه الأخبار ، ومنهم من كان يزعم أنَّه يَعْرِفُ الأمورَ بمقدماتِ أسبابٍ يستدل بها على مواقعها من كلام من يسأله أو فعله أو حاله ، وهذا يَخُصّونَه باسم العرّاف ، كالذي يَدعي معرفةَ الشيءِ المسروقِ ومكانِ الضالةِ ونحوها .

---

(١) النهاية في غريب الحديث والأثر / ابن الأثير / ج٣/ ص٣٣٠.

(٢) القاموس الإسلامي : أحمد عطية الله /ج٥/ص٥٨٢.

(٣) الطرق : هو الضرب بالحصى لمعرفة المستقبل ، وقيل : هو الخط في الرمل ، انظر (النهاية في غريب الحديث والأثر) ابن الأثير / ج٣/ ص١٢١.

(٤) الجبت : هو الكاهن أو الشيطان ، أو كل ما عُبِدَ من دون الله / انظر (المفردات في غريب القرآن للأصفهاني) / ص٨٥ .

(٥) سنن أبي داود –كتاب الطب- باب٢٣- حديث رقم (٣٩٠٧)/ج٢/ص٢٢٨. وانظر(مسند أحمد ابن حنبل) ج٣/ص٤٧٧/ج٥/ص٦٠.

والحديث الذي فيه (من أتى كاهناً) [١] " قد يشتمل على إتيان الكاهنِ والعرافِ والمنجمِ " [٢]

ويقول الدكتور جواد علي : " والفرق بين الكَهَانَةِ والسحرِ : أنَّ الكهانةَ تنبؤٌ ، فسندُ الكاهن هو كلامه الذي يذكره للنّاس ، أمَّا السحر : فإنّه عملٌ في الأكثر للتأثير في الأرواح كي تقوم بأداءِ ما يطلب منها ، ولا يمكن صنعٌ سحرٍ ما لم يقترن بعمل"[٣] .

وقد نهى الإسلام عن الكهانة وحذّر منها ، قال صلى الله عليه وسلم : (مَنْ أتَى عرّافاً فسألَهُ عن شيءٍ فصدّقَهُ لم تُقْبَلْ له صلاةٌ أربعينَ يوماً) [٤] .

وقد نهى عن السحر أيضا حيث قال صلى الله عليه وسلم : (مَنْ سَحَرَ فَقَدْ أشْرَكَ) [٥]

ومن طرق التكهن : الاستقسام بالأزلام ، والاستقسام : معناه : التكهن ، وليس بمعنى تقسيم الشيء وتجزئته.

أما الأزلام : فهي السهام التي كان أهل الجاهلية يستقسمون بها ، وقيل : إن الأزلام سهامٌ كانت لأهل الجاهليةِ مكتوبٌ على بعضها : أمرني ربي ، وعلى بعضها : نهاني ربي ، فإذا أراد الرجل سفراً ، أو أمْراً ، ضرب تلك القداح ، فإن خرج السهم

---

(١) سنن أبي داود – كتاب الطب – باب (٢١) – حديث رقم (٣٩٠٤) /ج٤/ص٢٢٥، ونص الحديث (عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : (من أتى كاهناً فصدقه بما يقول ... فقد برئ مما أنزل على محمد).

(٢) النهاية في غريب الحديث والأثر / ابن الأثير / ج٤/ص٢١٤-٢١٥.

(٣) المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام ، ج٦ ، ص ٧٤٠ .

(٤) انظر صحيح مسلم –كتاب السلام – حديث رقم (١٢٥) / ج٢ / ص ١٧٥١ ، ومسند أحمد بن حنبل /ج٤ /ص ٦٨ ، ج٥/ ٣٨٠ .

(٥) انظر سنن النسائي – كتاب التحريم – باب (١٩) ج٧/ ص ١١٢ .

الذي عليه أمرني ربي مضى لحاجته ، وإن خرج الذي عليه نهاني ربي لم يمض . وتُعرف هذه الأزلام بقداح الأمر والنهي خلافاً لقداح الميسر .

وقد كانوا يتخذون هذه القداح في تحديد النسب إذا شكّوا فيه ، حيث كان مكتوباً على الأسهم صريح وملصق ، فإن خرج الصريح ألحقوه بهم ، وإن خرج الملصق نَفَوْه وإنْ كان صريحاً .

وإنْ كان بين اثنين اختلافٌ في حقٍ سمّي كل منهما له سهماً وأجالوا القداح ، فمن خرج سهمه فالحقُّ له " [1] ، وفي ذلك تعطيلٌ للعقل عن وظيفته باتخاذ القرار الصادر عن غير تدبرٍ وتفكيرٍ .

وقد حرَّم الإسلامُ ومنعَ منعاً باتاً أن يُتعامل بالأزلام ، قال تعالى : ﴿ **حُرِّمَتْ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةُ وَالدَّمُ وَلَحْمُ الْخِنزِيرِ وَمَا أُهِلَّ لِغَيْرِ اللَّهِ بِهِ وَالْمُنْخَنِقَةُ وَالْمَوْقُوذَةُ وَالْمُتَرَدِّيَةُ وَالنَّطِيحَةُ وَمَا أَكَلَ السَّبُعُ إِلا مَا ذَكَّيْتُمْ وَمَا ذُبِحَ عَلَى النُّصُبِ وَأَنْ تَسْتَقْسِمُوا بِالأَزْلامِ ذَلِكُمْ فِسْقٌ ...** ﴾ [2] ، وقال تعالى ﴿ **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّمَا الْخَمْرُ وَالْمَيْسِرُ وَالأَنصَابُ وَالأَزْلامُ رِجْسٌ مِنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ فَاجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ** ﴾ [3] .

د) الرقى والتمائم والتِّوَلَة والخرز :

" والرُّقْيَة : والعُوذة التي يرقى بها صاحب الآفة كالحُمَّى والصَّرَع وغير ذلك من الآفات وقد جاء في بعض الأحاديث جوازها ، وفي بعضها النهي عنها .

فمن الجواز قوله صلى الله عليه وسلم : (استرقوا لها فإن بها النَّظْرة) [4] أي اطلبوا لها من يَرقيها . ومن النهي قوله صلى الله عليه وسلم : (لا يسترقون ولا

---

(١) المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام / الدكتور جواد علي ج٦ / ص ٧٧٦ : (بتصرف) .

(٢) سورة المائدة ، الآية (٣) .

(٣) سورة المائدة ، الآية (٩٠) .

(٤) صحيح البخاري – كتاب الطب _ باب (٣٥) / ج٧/ص٢٣. وانظر (صحيح مسلم – كتاب السلام– حديث رقم (٥٩) / ج٢/ص١٧٢٥.

يكتوون)[1] والأحاديث في القسمين كثيرةٌ ، ووجه الجمع بينهما أن الرُقَى يُكره منها ما كان بغير اللسان العربي ، وبغير أسماء الله تعالى وصفاته وكلامه في كتبه المقدسة، وأن يُعتقد أنَّ الرقيةَ نافعةٌ لا محالة فيُتَّكل عليها ، وإياها أرادَ بقوله : (لم يتوكل من استرقى) [2] ، ولا يكره منها ما كان في خلاف ذلك ، كالتعوذ بالقرآن وأسماء الله تعالى ، والرقى المروية ، ولذلك قال صلى الله عليه وسلم لمن رَقَى بالقرآن وأخذ عليه أجراً (كُلْ فلعمري مَنْ أكَلَ برقيةِ باطلٍ لقد أكلتَ برقيةِ حقٍ [3])[4]

وأمّا التمائم : فهي " جمع تميمة ، وهي خَرَزَاتٌ كانت العرب تعلقها على أولادِهم يتقون بها العينَ في زعمِهم ، فأبطلها الإسلام بقوله صلى الله عليه وسلم : (التمائم والرقى من الشرك) [5] ، وإنَّما جعلها شركاً لأنهم أرادوا بها دفعَ المقادير المكتوبة عليهم ، فطلبوا دفع الأذى من غير الله الذي هو دافعه . وبقوله صلى الله عليه وسلم : (من عَلَّقَ تميمةً فلا أتَمَّ الله له) [6] كأنَّهم كانوا يعتقدون أنَّها تمام الدواء والشفاء " [7] .

وأمَّا التِّوَلَة : " بكسر التاء وفتح الواو : فهو ما يحبب المرأة إلى زوجها من السّحرِ وغيرِه . وقد نهى عنه الإسلام بقوله صلى الله عليه وسلم : (التِّوَلَةَ من

(١) انظر (صحيح البخاري – كتاب الطب- باب (١٧) / ج٧/ص١٦. وكتاب الرقاق –باب(٥٠)/ ج٧/ص١٩٩. وانظر (صحيح مسلم – كتاب الإيمان- حديث رقم (٣٧١،٣٧٢) /ج١/ص١٩٨.

(٢) مسند أحمد بن حنبل / ج٤/ ص٢٥١، ٢٥٣.

(٣) سنن أبي داود – كتاب الطب- باب(١٩)-حديث رقم (٣٩٠١)/ج٤/ص٢٢٣.

(٤) النهاية في غريب الحديث والأثر / ابن الأثير/ ج٢/ ص٢٥٤-٢٥٥.

(٥) انظر مسند الإمام ، أحمد بن حنبل/ج١/ص٣٨١.

(٦) انظر مسند الإمام أحمد بن حنبل/ج٤/ص١٥٤.

(٧) النهاية في غريب الحديث والأثر / ابن الأثير / ج٢/ ص١٩٧-١٩٨(بتصرف).

الشّركِ)[1] وقد جُعل من الشرك لاعتقادهم أن ذلك يؤثر ويفعل خلافَ مـــا قــدَرَهُ الله تعالى " [2] .

وأمّا الخَرَز : فقد كان له أهميةٌ كبيرةٌ عند الجاهليين حيث يســـتخدمونه فـــي السّحر وفي دفع أذى الأرواح والعين ، وفي النفع والحب ، وأمثال ذلك ، ولما كــانت الحرزُ فصائلَ وأنواعاً ، فقد خصّوا كلَّ فصيلةٍ باسمٍ معينٍ ، وجعلوا لكلِّ قسمٍ وصنــفٍ أثراً خاصاً يمتازُ به عن بقيةِ الأصناف الأخرى " [3] . وقد حَرَّمَهُ الإسلامُ ، والأدلةُ في ذلك هي أدلةُ تحريمِ التمائم ، وإن كان استخدامُ الحرزِ هنا أعمَّ ، إلا أنَّ الحكمَ يَعُم.

وهكذا نرى كيف انتشرت الخرافة بين قومٍ لم يحكِّموا عقولَهم فيدركوا أن هذه التصرفات والمعتقدات قد خرجت عن المنطق السليم والعلم الصحيح كيف أن الإســلام لم يسمح لهذه الخرافات - التي لم تُبْنَ على أسسٍ عليمةٍ صحيحـــةٍ- أن تعيــشَ بيــنَ النّاس، أو يعيشوا بها ، لأنَّها تتنافى مع مقتضياتِ العقلِ السليمِ .

يقول الدكتور عبد العزيز عزّام : " ومن إعجاز القرآن تحرير الفكر الإنســاني من القيود والعقد التي كبلته وعقّدته وعاقته عن فهم الحق دهراً طويلاً ، ومنعته عـــن توسيع معلوماته وكانت الخرافات والترهات والمسميات الباطلة والأوهــام والأصنــام والأوثان هي الشغلُ الشاغلُ لفكرِ الإنسانِ... فجاء القرآن الحكيم فحرره مـــن القيــود والعقد وكرَّمَهُ بعلمِهِ وتوجيهِهِ " [4] .

(١) انظر (سنن أبي داود – كتاب الطب) باب (١٧)- حديث رقم (٣٨٨٣)/ ج٤/ص٢١٢.
(٢) النهاية في غريب الحديث والأثر / ابن الأثير / ج٢/ص٢٠٠(بتصرف).
(٣) المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام/ الدكتور جواد علي / ج٦/ص٧٥٠ (بتصرف).
(٤) في الإسلام والعلم والحياة / ص٨٨ .

٢- التعليل الخرافي عند العرب :

لقد كان العرب يربطون الأحداث ببعضها ربطاً اعتباطياً لا ينضبط نظامُهُ وقانونُهُ ، ممَّا يدلُّ على جهلهم بالأسباب ومسبَبَاتِها ، يظهر لنا ذلك من ربطهم بين وُجهةِ طيرانِ الطائرِ بنجاحِ العمل الذي سيقدمون عليه أو إخفاقه كما مرَّ معنا من قبل[١] .

ويظهر ذلك أيضاً من عدة أمورٍ أخرى تتصل بحياتهم منها : كان أحدهم إذا أراد سفراً عَمَدَ إلى شجرةٍ من " الرتم" فعقد غصناً منها فإذا عاد من سفره ووجده قد انحلَّ قال : خانتني امرأتي وإذا وجده على حالته قال لم تخنِّي .

وقيل : كان يعقد خيطاً في غصن الشجرة أو ساقها فإذا عاد من سفره نظر إلى ذلك الخيط ، فإن وجده بحاله عَلِمَ أن زوجتَه لم تخنْهُ ، وإن لم يجده أو وجده محلولاً قال : قد خانتني [٢] .

ومنها أنَّهم يرون النجومَ في السماء فلا يعرفون حقيقتها ، فيقولون ، إنَّها مساميرُ لامعةٌ من الفضةِ لتثبيتِ قبةِ السماءِ .

ومنها : تعليلُهم لظاهرةِ الخسوفِ والكسوفِ بأنَّها ناتجةٌ عن غضبِ القمرِ ، ولا بدَّ من دق الطبول لإزالة هذا الغضب .

ومنها : أن الطوفان يزول بإغراق شخص في البحر .

ومنها : النفخ في أُذُنِ المريض لكي تعودَ إليه روحُهُ المتوارية في الغابة والتي اصطادها الساحرُ وحبسها في صندوق .

ومنها : قولهم بأنَّ الأرضَ محمولةٌ على قرنِ ثورٍ [٣] .

---

(١) انظر مبحث الطيرة من هذا الفصل ص٧٠ .

(٢) المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام / الدكتور جواد علي / ج٦/ص٨٠٦، (بتصرف) .

(٣) هذه الأمثلة الخمسة من كتاب (الكون والإعجاز العلمي للقرآن) الدكتور منصور محمد حسب النبي ، ص٢٢، ٩٦.

إلى غير ذلك من التعليلاتِ الخرافيةِ الساذجةِ ، فيالها من معلوماتٍ خاطئــةٍ لا تعتمدُ على قاعدةٍ علميةٍ صحيحةٍ . ولذلك أنكرَ القرآنُ هذا التعليــلَ الخرافــي ولفــت أنظارهم إلى سننِ اللهِ في الكون وقوانينه فجعل الارتبـــاط بيــن الحــوادث ارتباطــاً موضوعياً بين المقدمات والنتائج ، بينَ الأسبابِ والمُسَبِبَاتِ ، فنموُ النباتِ في القــرآن يعقب نزولَ المطرِ أو نشوءَ الينابيعِ ، وتجمُع السحبِ وتراكمُها يعقبُ تحركِ الريــاحِ ، وتكوّنُ الماءِ يعقبُ تراكمَ السحبِ .

قال تعالى : ﴿ أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ أَنزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَتُصْبِحُ الأَرْضُ مُخْضَرَّةً ... ﴾[1]، وقال تعالى : ﴿ اللَّهُ الَّذِي يُرْسِلُ الرِّيَاحَ فَتُثِيرُ سَــحَابًا ... ﴾ [2] ، وقـــال تعـــالى : ﴿وَأَرْسَلْنَا الرِّيَاحَ لَوَاقِحَ فَأَنزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَـــاءً فَأَسْــقَيْنَاكُمُوهُ ... ﴾ [3] ، وقـــال تعالى: ﴿ وَاللَّهُ أَنزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَحْيَا بِهِ الأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا ... ﴾ [4] ، وقـــال تعالى : ﴿ أَلَمْ تَرَى أَنَّ اللَّهَ أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَـــاءً فَأَخْرَجْنَـــا بِـــهِ ثَمَـــرَاتٍ مُخْتَلِفًـــا أَلْوَانُـهَا...﴾ [5]

وهكذا نلاحظ في هذه الآيات وكثيرٍ غيرِها ما يُشــعرُ بـــالاقتران والارتبـــاط السببي ، فالرياحُ سببٌ لإثارةِ السحابِ وتكوينِهِ ، والسحابُ سببٌ لـــنزولِ المـــاءِ مـــن السماءِ ، ونزولُ الماءِ سببٌ لإحياءِ الأرضِ وإخراجِ النبتِ والثمراتِ . وكلُ ذلك إنَّمـــا هو بتقديرٍ من الخالق ، فهو الذي جعلها هكذا وقدّرها على ما هي عليه ، فالتلازمُ إذن بينَ الحوادثِ أي بينَ ما [illegible] عادةِ سبباً ومُسَبَبَاً هو من خلق الله تعالى .

---

(١) سورة الحج ، الآية (٦٣) .

(٢) سورة الروم ، الآية (٤٨) .

(٣) سورة الحجر ، الآية (٢٢) .

(٤) سورة النحل ، الآية (٦٥) .

(٥) سورة فاطر ، الآية (٢٧) .

وقد تولى النبي صلى الله عليه وسلم محاربة هذه التعليلاتِ الخرافيةِ الأسطوريةِ ، بل كان يغضب إذا رأي النّاس يتجهون لهذه التعليلاتِ ، دليلُ ذلك : أن الشمس كُسِفَت يوماً في حياته صلى الله عليه وسلم ، وكان ذلك اليوم هو يومُ وفاةِ ولدِهِ إبراهيم فظنَّ النّاسُ أنّ كسوفَ الشمسِ كان بسببِ وفاةِ ولدِهِ ، فبلغه ذلك ، فخرج مُغضباً ، وجمعَ النّاس في المسجد وقال : (إن الشمس والقمر لا ينكسفان لموت أحدٍ ولا لحياتِهِ ولكنهما آيتان من آيات الله يريهما الله عباده[١])[٢] .

يقول أستاذنا الدكتور إبراهيم زيد الكيلاني تعليقاً على هذا الحديث : " ولو كان محمدٌ صلى الله عليه وسلم من الذين يقيمون زعامتهم على استغلال الحوادث والفرص لوجدها فرصةً متاحةً أنْ يربط بين هذه وتلك ، والجوُ مهيأً للقبول والتصديق ، ولكنّه النبي الهادي معلم الأجيال وخاتم الرسالات أبَى أن يربط رسالته بالخرافة والدجلِ ، فحبلُ الدجلِ قصيرٌ ، ورسالةُ اللهِ تحريرٌ للعقلِ وحربٌ على الخرافةِ "[٣] .

وعلى العكس من ذلك تماماً أيَّدَ الرسولُ صلى الله عليه وسلم التجربةَ العلميةَ المستندةَ إلى الأسباب العادية ، فقد ورد أنه مرَّ على قومٍ يلقحون النّخل فقال ما يصنع هؤلاء ، فقيل يأخذون من الذكر فيحطون على الأنثى يلقحون به ، فقال ما أظن ذلك يعني شيئاً ، فبلغهم فتركوه ونزلوا عنها ، فلم يحمل تلك السّنة شيئاً ، فبلغَ ذلك النبيَ صلى الله عليه وسلم فقال : (إنَّما هو ظنٌ ظننّتُهُ ، والظن يخطئُ ويصيبُ ، ولكن ما قلت لكم قال الله عز وجل فلن أكذبَ على الله)[٤] .

---

(١) انظر (صحيح البخاري) - كتاب الكسوف - باب (١٥) ، ج١ ، ص٢٤ ، ومسند أحمد بن حنبل ، ج٣ ، ص٣١٨ ، ص٣١٨ / ج٤ ، ص ٢٤٥ / ج٥ ، ص ٤٢٨ .

(٢) انظر (الإسلام والفكر العلمي) محمد المبارك ، ص ٣٤ ، ٥١-٥٤ ، ١١١ .

(٣) من محاضرة ألقاها بمناسبة (المولد النبوي) انظر جريدة الدستور /١٣ ربيع الأول ١٤٠٦هـ/٢٦تشرين الثاني ١٩٨٥م/ (ع ٦٥٦٢) ، ص٥ .

(٤) انظر (صحيح مسلم) كتاب الفضائل / حديث رقم (١٣٩) ، (١٤٠) / ج٢/ص ١٨٣٥ ، ومسند أحمد بن حنبل ، ج١/ص١٦٢ .

وفي رواية أخرى : (إذا أمرتكم بأمرٍ من أمر دينكم فأطيعوا ، وإذا أمرتكم بأمرٍ من أمر دنياكم فإنّما أنا بشرٌ)[١] .

وهذا الحديث عظيمٌ في توجيهه ، حيث أحال النّاس في الأمورِ الكونيةِ والطبيعيةِ إلى تجربتِهم الخاصةِ ، وجعلَ التفكيرَ في هذه الأمورِ معرضاً للخطأ والصواب ، تصدقهُ التجربةُ أو تخطئه ، وهذا التوجيه ظاهرٌ في حديث : (إنّ لكلِّ داءٍ دواء فإذا أُصيب دواءُ الداءِ برئ بإذن الله تعالى)[٢] .

وهكذا كان التوحيد الصافي الذي دعا إليه الإسلام طارداً للخرافةِ محارباً لها محرراً للإنسانية منها ، وهل بعد الحق إلا الضلال ؟ .

٢- عبادة الطبيعة عند العرب :

إن العرب قد عطّلوا عقولَهم فعبدوا الأصنامَ اعتقاداً منهم أنها وسيلتهم إلى الله، قال تعالى : ﴿ ... **وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءَ مَا نَعْبُدُهُمْ إِلا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَى** ... ﴾[٣] .

بل إنهم قد عبدوا الطبيعة ممثلة في الكواكب والنجوم ، والشمس والقمر ، فكانت قبيلة حمير تعبد الشمس ، بينما كان القدماء المصريون يقدسون قمر الأرض وكانوا يصفون ملوكهم بأنهم أبناء الشمس ومن نسل القمر ، كما عبدت قبيلة كنانة في الجاهلية القمر[٤] .

فلما جاء الإسلام حارب هذه الوثنيات سواء كانت حجرا أو بشرا أو حيوانا أو كوكبا محاربة عنيفة جذرية .

---

(١) انظر (صحيح مسلم) كتاب الفضائل / حديث رقم (١٤٠) ، ج٢/ص ١٨٣٥ .

(٢) صحيح مسلم / كتاب السلام / حديث رقم (٦٩) ، ج٢/ص ١٧٢٩ .

(٣) سورة الزمر ، الآية (٣) .

(٤) انظر (الإسلام والفلسفات القديمة) أنور الجندي ، ص ٢٢١ ، و (الكون والإعجاز العلمي للقرآن) الدكتور منصور محمد حسب النبي ، ص ١١٧ .

قال تعالى : ﴿ ... لا تَسْجُدُوا لِلشَّمْسِ وَلا لِلْقَمَرِ وَاسْجُدُوا لِلَّهِ الَّذِي خَلَقَهُنَّ ... ﴾[1]

وكان لهذه المواجهة بين الإسلام ومعبوداتهم أثرٌ كبير ونتائج هامة في تحرير عقل الإنسان وإطلاق طاقته التي كانت مكبّلةً أمامَ ما يقدسونَهُ ، إذ كيف يُقدَّس شيءٌ ثم يُستخدم ويُسخَّر ، وبذلك انطلقت الحضارةُ الإنسانيةُ انطلاقةً علميةً نشطةً ، وأصبحت هذه المعبودات خاضعةً للإنسانِ من حيث إنَّه خليفةُ الله في أرضِهِ [2] .

٤- عبادة الأسلاف عند العرب :

إن المقصود بعبادة الأسلاف ما كان يعتقده العرب من أنَّ أرواحَ أسلافهم التي انفصلت عن أجسادها بالموت هي التي تصاحبهم وتدافع عنهم ، فهي ترفرف في سماء الأسرة لتقيها شر النوائب وترد عنهم أذى الأعداء .

يقول عفيف عبد الفتاح طبّارة : " لا نجد عقيدةً شاعت في الأمم قديماً وحديثاً كعقيدة عبادة الأسلاف ، فقد أسبغ الناس عليهم ما يسبغون عادةً على الآلهة من نعوتٍ وصفاتٍ ... إنَ عبادة الأسلاف تشتمل على كثيرٍ من الخرافات والأساطير والقيام بشعائر وطقوسٍ يمكن وصفها بالإجمال بأنها نوعٌ من التخديرات التي خدرت الشعوب، ووقفت حائلاً دون تقدمها ورقيها...

ومن روعة القرآن أنه لم يغفل عن هذه الأباطيل التي طرأت على الجنس البشري فكانت تعاليمه تحض على تخليص الإنسان منها ، قال تعالى : ﴿ لا إِلَـهَ إِلا هُوَ يُحْيِي وَيُمِيتُ رَبُّكُمْ وَرَبُّ آبَائِكُمُ الأَوَّلِينَ ﴾ [3] "[4] .

---

(١) سورة فصلت ، الآية (٣٧) .

(٢) انظر (الإسلام والفكر العلمي) محمد المبارك / ص ٤٣.

(٣) سورة الدخان ، الآية (٨) .

(٤) روح الدين الإسلامي / ص١٠٢-١٠٣. وانظر (المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام) د.جواد علي / ج٦/ ص ١٣٩.

وهكذا نرى كيف كان العرب في جاهليتهم غير مهتدين بمقاييس العقل السليم
ولا بما يقتضيه العلم وذلك في معتقداتهم وتصوراتهم وما حل بهم من خرافات
وأساطير وأوهام، وكيف أن منهاج الله -قرآنا وسنة- قد لعب دورا فعالا في إيجاد بيئة
علمية وعقل مستنير لتخليص الإنسان من ذل الجهل والخرافة إلى نور العلم والهداية .

ثانياً : جاهلية اليونان

إنَّ الفكر البشري – مهما ارتقى – يبقى عرضةً للصواب والخطأ ، ذلك أن الانسان مفطورٌ على النقص ، فلا بد إذن أن يكون نتاجة عرضةً للاختلاف والتناقض، إن لم يكن خطأ محضاً ، وصدق الحق : ﴿ ... **وَلَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا** ﴾ [١] .

وحديثنا عن جاهلية اليونان يفرض علينا أن نحدد مصدر فكرهم وأساس تصورهم ، فهم يعتمدون اعتماداً كلياً على الفكر البشرى ، " فأبرز ما يمثل الفلسفة اليونانية : جمهورية أفلاطون القائمة علىالنظام العبودى ، ورأي أرسطو في الرق ، ومفهوم سقراط الأخلاقي القائم على الإباحية ، وهذه الأصول الأساسية تكشف عن التعارض الكامل بين الفلسفة اليونانية والإسلام من حيث دعوة الإسلام إلى تحرير الفرد وأخلاقية الحياة والقضاء على الرق والعبودية " [٢] .

أما الإسلام فقد قامت حضارته وفلسفته وفكره على منهاجٍ ربانيٍ سماويٍ ، معصوم من الخطأ والنقص ، فهو حقٌ كاملٌ ، وقد وضع أسساً وقواعدَ تشمل جميع ما يهم الإنسان في حياته وبعد وفاته ، وبذلك كان الفكر الإسلامي كالثريا من الثرى بالنسبة لفكر اليونان البشري الأرضي ، وهذا ما أوقع اليونان في خرافاتٍ وأساطيرٍ "حيث أنهم كانوا يعللون حمرة الشفق بالحرب بين الآلهة " [٣] .

منهج اليونان الفكري :

لقد احتقر اليونان التجربة والتجريب ، ويظهر ذلك في منطق أرسطو الذي يُعَدُّ أكبر مُعَبِّرٍ عن روح اليونان واتجهوا في المقابل إلى القياس وهو عندهم حركةٌ فكريةٌ ينتقل بها العقل من حكمٍ كليٍ إلى أحكامٍ جزئيةٍ وقد مَثَّلَ القياس عندهم روح الحضارة

---

(١) سورة النساء ، الآية (٨٢) .

(٢) الإسلام والفلسفات القديمة / أنور الجندي/ ص١٠.

(٣) الإسلام والفكر العلمي / محمد المبارك / ص١١٢.

اليونانية . حيث قدموا العقل على حساب الروح ، وهنا يكمن الخطر حيث أرادوا أن يزنوا كل شيء بميزان العقل .

يقول الأستاذ محمد قطب : " فما لا يستطيع العقل إدراكه يصبح شيئا ساقطا من الحساب ، وكل الوجود يتناول من جانبه العقلي وحده .. بما في ذلك الوجود الإلهي ذاته ، فالله -سبحانه- موجود بمقدار ما يستطيع العقل أن يدركه ، ولا وجود إلا في داخل ذلك الإطار ، أما الإدراك الروحي لله فضعيف الأثر جدا في الإنتاج اليوناني كله" (١).

لقد قدموا المعقول على المحسوس لاعتقادهم أن المعرفة التي يجيء بها الحس إنما هي ظنية فحسب ، أما المعرفة التي تكون بواسطة العقل فهي المعرفة الحقيقية .

لقد أخطأوا حيث حملوا العقل أكثر من طاقته ، فالعقل وحده قاصر لا يستطيع أن يصل إلى شيء مقنع عن الحقيقة الإلهية ، ولذلك تخبطوا تخبطا ذريعا عندما حاولوا الولوج إلى هذا المجال .

مخالفة الفكر الإسلامي للفكر اليوناني :

إن الإسلام قد خالف اليونان في ذلك حيث جعل للمسلمين منهجا مباينا لمنهجهم، قائما على التجربة والتجريب . يقول محمد المبارك : " إن التفكير الإسلامي - بتأثير من القرآن والسنة - أحدث في طرائق البحث العلمي تغييرا جذريا عميقا بالغ الأهمية . ذلك أنه بدل المنهج التأملي الذي كان ينهجه اليونان ، والذي يعتمد على مجرد التصور العقلي والقياس المنطقي المجرد ، وأقام (المنهج التجريبي) ولا سيما في مجال العلوم الطبيعية والعلوم الإجتماعية ، وجعله المنهج الأساسي في ميدان البحوث الطبيعية في الطب والكيمياء والفيزياء والفلك وغيرها .

---

(١) جاهلية القرن العشرين / محمد قطب / ص ٢٩.

وعن المسلمين نقل علماء الغرب العلوم الرياضية والطبيعية والمنهج التجريبي، فقد ترجموا كتب المسلمين في هذه العلوم وهي مبنية على المنهج التجريبي، وعن المسلمين أخذ فرنسيس بيكون الذي يعتبر في أوروبا مؤسس الطريقة التجريبية ، ولم تكن النهضة الأوروبية التي سبقت العصر الحديث إلا نتيجة لترجمة التراث العلمي الذي أنتجه وأبدعه المسلمون والطريقة العلمية التي تقوم عليها بحوثهم ، ولم يكن هذا الإتجاه في تقدم علوم الطبيعة والمنهج التجريبي لدى لدى المسلمين إلا أثرا من آثار الإسلام وتوجيه القرآن والسنة "[1] .

وكما خالف الإسلام اليونان في الأخذ بالتجربة ، فقد سمح للمسلمين بالقياس إلا أنه على خلاف قياس اليونان ، حيث إن قياس اليونان حركة فكرية ينتقل بها العقل من حكم كلي إلى أحكام جزئية ، أما القياس الإسلامي فينتقل من حالة جزئية إلى حالة جزئية أخرى لوجود جامع بينهما بواسطة تحقيق علمي دقيق [2] .

وهكذا فإن العقل جناح من أجنحة المعرفة وأن الوحى هو الجناح الآخر ، وأن كليهما يكمل الآخر ، وأن المعرفة لا تكون صحيحة إلا بهما معا .

فهو منهاج قائم على التوحيد ، جامع لأسلوب المعرفة العقلي والروحي معا والمستمد كيانه كلية من منهج القرآن . يقول أنور الجندي : " أما القرآن فقد أعطى المسلمين منهجا مباينا ومنطقا مختلفا في كل خصائصه عن منطق أرسطو فضلا عن أنه أعطاهم تصورا ميتافيزيقيا[3] كاملا يكفيهم مؤونة البحث العقلي الذي لا يستطيع الوصول إلى حقيقة ما وراء الكون الظاهر " [4].

(أما الإسلام فقد أعطى مفهوما كاملا واضحا عن الله تعالى ، وبين كذلك

---

(١) الإسلام والفكر العلمي / ص ١٢٥ . وانظر (الإسلام والتكنولوجيا) أنور الجندي ، ص ٣٢ .

(٢) انظر (الإسلام والتكنولوجيا) أنور الجندي ، ص ٣٢ .

(٣) بمعنى عالم الغيب أو ما وراء المادة .

(٤) الإسلام والفلسفات القديمة ، ص ١٠ .

قصور العقل الإنساني في التوصل إلى ماهية الله وكنهه ، وقد حدد لهم مجال البحث ، فلا يسمح لهم بالبحث فيما وراء الطبيعة ، ولا بالبحث في الجوهر لعجز العقل وقصوره عن ذلك ، وقد سمح لهم بالبحث في الخصائص ، ولذلك يقول صلى الله عليه وسلم : (تفكروا في خلق الله ولا تتفكروا في ذاته[1]) [2].

ويقول محمد تقي المدرسي : " والواقع أن البشر ثبت عمليا عجزه عن بلوغ المعرفة الخالصة لله سبحانه دون التنور بهدى الأنبياء عليهم السلام . إذ إن تاريخ الإيمان بالله يرشدنا إلى أن الإنسان كان يتخبط حين ابتعد عن منهج الله تعالى ، يتخبط في ظلمات الجهل والغفلة " [3].

وهكذا فقد قدم علماء الإسلام لأول مرة في تاريخ البشرية أصول المنهج العلمي في البحث القائم على الاستقراء والقياس ، والاعتماد على المشاهدة والتجربة ، وأحاطوا هذا المنهج بالإنصاف لمن سبقهم وبالأمانة العلمية وتقوى الله في قول الحق ، وهم سائرون في ذلك مع روح القرآن والسنة .

وبذلك فإن الإسلام هو مصدر المنهج العلمي التجريبي الذي نقل البشرية كلها وليس أوربا وحدها من الفلسفة اليونانية النظرية إلى المنهج العلمي التجريبي الذي أنشأه المسلمون تطبيقا لدعوة القرآن إلى النظر في الكون ، فكان له أكبر الأثر في بناء منهج المعرفة القائم على العقل والقلب معا ، والقائم على البرهان المتحرر من التقليد ومن وراثات الآباء الناظرة للأمور نظرة محررة خالصة من أوهام الأساطير والوثنية.

وبهذا فإن فلسفة الإسلام الحقيقية هي الجمع بين النظر والعمل وبين العقل والوحي ، وهذا هو سر التباين والاختلاف مع جاهلية اليونان .

---

(١) انظر (كشف الخفاء ومزيل الإلباس) العجلوني / ج١/ص٣١١/ حديث رقم (١٠٠٥)، والمقاصد الحسنة/ السخاوي / ص١٥٩/ حديث رقم (٣٤٢) .

(٢) انظر (الإسلام والتكنولوجيا) أنور الجندي /ص ٣٢،٣١ (بتصرف) .

(٣) الفكر الإسلامي في مواجهة حضارية ، محمد تقي المدرسي ، ص ١٦٠ .

ثالثا : جاهلية أوربا :

إن أي رسالة سماوية لا بد وأن تسعى لإسعاد البشرية ، وأن تدفع عجلة العلم والتعلم ، وأن تعمل جاهدة لرفع مستوى التفكير العلمي الصادر عن عقل مستنير ، هذه هي سنة الله في رسالاته ، ولن تجد لسنة الله تبديلا ، ولكن رجال الدين في أوربا قد قلبوا الحقائق وغيروا الموازين ، فجعلوا الحق باطلا ، والباطل حقا ، وحاربوا العلم والعلماء باسم الدين ، وجهلوا الأمة ليحافظوا على نفوذهم .

يقول الأستاذ محمد قطب : " كانت الكنيسة تحارب (العلم) لأن الجهالة هي سندها الأكبر في الاحتفاظ بسلطانها على الجماهير ، ويوم تتعلم الجماهير ، يوم تعلم أن ما تلقنه إياها الكنيسة يشتمل على مجموعة من الأساطير التي لا تثبت للمناقشة ، يومئذ لن تسلم الجماهير قيادها للكنيسة بالسهولة التي يتم بها الأمر في ظل الجهالة والظلام " (١).

وانطلاقا من هذا الواقع السيء ، سنتعرف على هذه الجاهلية من خلال نقطتين أساسيتين هما: عداء الكنيسة للعلم و العلماء ، وتعطيل الكنيسة للعقل والتفكير العلمى ، ثم ما ترتب على ذلك من الفصل بين الدين و الدولة .

١ - عداء الكنيسة للعلم واضطهادها للعلماء :

لقد وقفت الكنيسة فى وجه العلم عقبة كئودا ، تحاربه و تحارب أهله بكل ما أوتيت من قوة وجبروت فأنشأت محاكم التفتيش لمقاومة العلم والفلسفة ،ولم يقتصر الأمر على ذلك ، بل أدخلت الكنيسة آراء و نظريات جغرافية وتاريخية وفلكية وغيرها من العلوم في الكتب المقدسة وصبغتها بصبغة دينية ، لا يجوز لأحد معارضتها أو مناقشتها .

" ولم تكن تلك المعلومات الكنسية في الواقع حقائق إلهية ولكنها كانت اجتهادات أخذت طابع القداسة ، مثل : عمر الأرض ، وعمر الإنسان "(٢) .

---

(١) جاهلية القرن العشرين / ص ٣٦-٣٧.

(٢) الإسلام والفلسفات القديمة / أنور الجندي / ص٢٣٧.

يقول عفيف عبد الفتاح طبارة : " لقد أجمع المؤرخون على أن العلماء الكونيين لقوا من رجال الدين في أوربا طوال عهد القرون الوسطى ما يلقاه الخصوم من الخصوم ، فقد أسست محاكم خاصة لمحاكمة رجال العلم والفكر ، على ما يرتكبونه مما يعده رجال الدين مخالفا لآراء الكنيسة ، وكان إذا ثبت على أحدهم شيء من ذلك استتيب، وأخذت عليه المواثيق بأن لا يعود إليه ، فإن عاد قبضوا عليه وألقوه حيا في النار ، أو رموا به من عال إلى مكان سحيق ، فأهلك على هذه الصورة في مدى القرون الوسطى كثير من العلماء من ذوي المكانة العالية ومن العباقرة المجددين"(١).

وأما عن تاريخ محاكم التفتيش ومدى الجرائم التي ارتكبتها إذلالا للعلم والعلماء ، فيحدثنا الشيخ محمد عبده بقوله : " لقد أنشئت محكمة التفتيش لمقاومة العلم والفلسفة ، وذلك سنة ١٤٨١م وذلك بطلب من الراهب توركماندا ، وقد قامت هذه المحكمة بأعمالها حق القيام ، ففي مدة (١٨) سنة ما بين عام ١٤٨١م -١٤٩٩م حكمت على عشرة آلاف ومائتين وعشرين شخصا بأن يحرقوا وهم أحياء ، فأحرقوا ، وعلى ستة آلاف وثمانمائة وستين بالشنق بعد التشهير فشهروا وشنقوا ، وعلى سبعة وتسعين ألفا وثلاثة وعشرين شخصا بعقوبات مختلفة ، فنفذت ، ثم أحرقت كل توراة بالعبرية . ولقد كانت وسيلة التحقيق عند هذه المحكمة (المقدسة) وسيلة واحدة ، وهي أن يحبس المتهم وتجرى عليه أنواع العذاب المختلفة بآلات التعذيب المتنوعة إلى أن يعترف بما نسب إليه ، وعند ذلك يصدر الحكم ويعقبه التنفيذ" (٢).

كما نظر رجال الدين المسيحي إلى بعض المكتشفات العلمية نظرة القانع بأنها من الأشياء البائرة التي يجب تركها وعدم الأخذ بها ، حتى ولو كانت تلك المكتشفات تعود بالنفع على الإنسان .

---

(١) روح الدين الإسلامي / ص ٢٦٦-٢٦٧.

(٢) الإسلام والنصرانية بين العلم والمدنية / ص٤٧/ (بتصرف) . وانظر (الإسلام والكون) / د.عبد الغني عبود / ص٦٧.

ومن ذلك مقاومتهم لمعالجة المرأة بالتخدير أثناء ولادتها ، ولذلك لاقى اكتشاف التخدير مقاومة شديدة من قبل رجال الدين . وذلك لأن تخدير المرأة أثنـــاء ولادتـــها يخلصها من آلام العقوبة التي سجلت عليها في التوراة حيث جاء في الإصحاح الثـالث من سفر التكوين ما نصه: "وقال للمرأة: تكثيرا أكثر أتعاب حبلك بالوجع تلدين أولا .

ومن ذلك أيضا نظرتهم لعلم الفلك ، حيث اعتبروه من الأشياء التي لا تستحق الإهتمام أو النظر ، اعتمادا على حكمة ظاهرة بشرت بها التوراة مؤداهـــا أن الأرض لابد أن تزول سريعا ، وأنه سوف تكون سموات جديدة وأرض جديـــدة ، فلمـــاذا إذن إعنات النفس في درس السموات القديمة والأرض القديمة ما دامتـــا ســـوف تتبـــدلان بسموات جديدة وأرض جديدة [١].

وهكذا تلقى العلم الضربة تلو الضربة ، وتلقى علماء الطبيعة والفلك وغـــيرهم كل ذل وصغار بسبب هذه الجاهلية الظالمة .

أما الإسلام فقد فرض التطور على أهله فرضا ،وذلك بـــالحض علـــى العلـــم والتعلم ، فالشخصية الإنسانية لا يميزها عن غيرها ولا يقومها ويرقيها شيء ســـــوى العلم ، وانطلق الإسلام يكتسح الأقطار ، وفي أقل من قرن وصل إلى أوربا ، ونشـــر لواءه ، وقدم للفكر البشري أصول المنهج العلمي التجريبي ، وانطلقت صيحة الحريـــة التي غيرت وجه أوربا والفكر الغربي كله ، حتى أصبح للعلم كلمته المشرقة الناصعة

٢ - تعطيل الكنيسة للعقل والتفكير العلمي :

لقد استأثرت الكنيسة لنفسها بالحق الكامل لتفســـير وفـــهم الكتـــاب المقـــدس وحظرت على أي عقل - سوى رجالاتها - أن يفكر ويناقش في أي مسألة ، بل عليه أن يذعن إذعانا كاملا لما يلقى عليه .

" ومما يعتبر من الأصول الثابتة عند عامة المسيحيين بل هو أصل الأصول : أن الإيمان منحة لا دخل للعقل فيها ، وأن من الدين ما هـــو فـــوق العقـــل ، بمعنـــى مايناقض أحكام العقل ،وهو مع ذلك مما يجب الإيمان به ، قال القديس انسليم : " يجب

---

(١) انظر (موقف الإسلام والنصرانية من العلم) الدكتور عبد الله المشوخي ، ص١١٣ ، ١١٤ .

أن تعتقد أولاً بما يعرض على قلبك بدون نظرٍ ثم اجتهد بعد ذلك في فهم ما اعتقدت" فليس الإيمان في حاجةٍ إلى نظر العقل ، والكون وما فيه لا يهم المؤمن أن يجيل فيه نظره ، والاجتهاد الذي دعا إليه القديس في فهم المعتقد مقيّدٌ ، فالويل كل الويل لمن يجتهد بما يخالف ما تعلق به إيمانه ، فكأن معنى الفهم أن يخلق المؤمن لنفسة ما يسلى به نفسه على إيمانه بغير المفهوم " [١].

يقول الدكتور عبد الغني عبود :

" وفرض رجال الدين المسيحي حاجزاً بين عقل الإنسان والعالم الخارجي المحيط به فلم يَعُدْ مسموحاً لهذا العقل أن يرى إلا ما يرونه له .

ومَنْ تمرّد على هذا العلم ، ورأى غيره ، تعرض لأقسى أنواع التعذيب حتى لقد لقي بعض رؤساء الجامعات مصيرهم حرقاً ، وهم أحياء " [٢].

وهكذا فقد اهتزت المسيحية في نفوس الغربيين نتيجة عدم اتفاقها مع العقل الذي يُجربُ ويحلّلُ ويستنبطُ ، وذلك لتعقيد فكرةِ التثليث وفكرة الانصراف عن الدنيا ، ونتيجة تحكم الكنيسة في عقول وقلوب المسحيين فضلاً عن تأييد الكنيسة للحكم الاقطاعي ، ولذلك ساد الجهل وعمَّ الاعتقاد بالخرافات والأساطير والأوهام وشُغِلَ الناس بأمر الآخرة ونسوا نصيبهم من الدنيا ، وأصبح التعليم مقصوراً على تلقين العقائد المسيحية بعيداً عمَّا فيه مصلحة النّاس [٣].

هذا هو حال الجاهلية في أوربا تجاه العقل وما ينتج عنه من وعيٍ وتفكيرٍ ، مما جعل العقل معطلاً عن وظيفته التي خُلِقَ لأجلها .

أما الإسلام فهو على النقيض من ذلك تماماً ، فأول أساس وضع عليه الإسلام هو النظر العقلي ، وبه يكون الإيمان الصحيح ، بل قد يُقدَّم العقل على النقل إذا تعارض الدليل العقلي القطعي مع ظاهر النقل غير القطعي، وهنا إمَّا أنْ يُسلَّم بصحة

---

(١) انظر (الإسلام والنصرانية بين العلم والمدنية) محمد عبده / ص٣٤ ، ٣٥.

(٢) الإسلام والكون ، ص ٦٦ .

(٣) انظر (الإسلام والفلسفات القديمة) ، أنور الجندي ، ص ٢٣٦ .

المنقول مع الإعتراف بالعجز عن فهمه وتفويض الأمر إلى الله في علمه ، وإما أن يؤول النقل مع المحافظة على قوانين اللغة حتى يتفق معناه مع ما أثبته العقل[1] .

وقد عرضنا في المبحث الأول من هذا الفصل مدى اهتمام القرآن بالعقل الإنساني والتفكير العلمي ، مما يبين مكانة العقل في الإسلام .

ردود فعل

إن حجر الكنيسة على العلم والتفكير العلمي ،هو تعطيل للعقول مما كان له ردود عقل من قبل الأوروبيين حيث وجد العداء بين رجال الدين القساوسة والباباوات من جهة والعلماء من جهة أخرى ، وذلك في بداية النصف الثاني من القرن السابع عشر حيث ظهرت طبقة من الفلاسفة ضاقت ذرعا بأعمال الكنيسة وما تقوم به من إرهاب فكري وكبت عقلي فأخذت تمجد العقل وتظهر مكانته، وأنه عن طريقه يمكن إدراك الحقائق العلمية ، وتمييز الخير من الشر ، وفي القرن الثامن عشر ضعف سلطان الكنيسة ، وبدأ سلطان العلم يقوى ، وتفجرت الثورة العلمية والصناعية وبدأت الأمور تخرج من سلطة الكنيسة شيئا فشيئا حتى غدت الكنيسة لا حول لها ولا قوة ، مما دعا حكومة فرنسا أن تقر قانونا حاسما سنة ١٩٠٥م يقضي بفصل علاقات الدين بالدولة ، ويقوم على أساس التفريق بينهما[2] .

وهكذا كانت ثورة أوربا على الكنيسة عزلا لها عن ميدان السياسة والاجتماع وإيقافها في حدود أسوارها ، مما قضى على نفوذها وسلطانها .

---

١) انظر (الإسلام والنصرانية بين العلم والمدنية) الشيخ محمد عبده / ص٧٣ .

٢) انظر (الكون والإعجاز العلمي للقرآن) د. منصور محمد حسب النبي / ص ٢٣ . و (موقف الإسلام والكنيسة من العلم) د. عبد الله المشوخي / ص١٦٣ ، ١٦٨ .

المبحث الثالث

بين القرآن والكتب السماوية

بالمقارنة بين النص القرآني ، ونص التوراة والإنجيل نجد الفارق الكبير من حيث توافق الحقائق العلمية الحديثة مع نص القرآن ، وتعارضها مع نصوص التوراة والإنجيل ، وهذا يرجع إلى مدى الأصالة أو العبث الذي صاحب النص الموحى به ، ولذلك سنتناول في مبحثنا هذا أربع مسائل وهي ؛ أصالة النص القرآني مقابل تحريف التوراة والإنجيل ، مع بيان مدى توافق العلم الحديث مع القرآن مقابل ذلك التعارض بين نصوص الكتب المقدسة وقواعد العلم الحديث ، وإليك البيان فيما يلي :

أولا : أصالة النص القرآني :

لم تعن أمة في العالم بكتاب سماوي أو أرضي عناية الأمة الإسلامية بالقرآن الكريم ، ولم يحط كلام إلهي أو بشري بمثل ما أحيطت به آياته من وسائل الحفظ والعناية والتقديس .

فقد كانت تنزل الآية أو الآيات من القرآن على النبي صلى الله عليه وسلم فيحفظها عن ظهر قلب ، ثم يتلوها على صحابته الكرام ، ثم يأمر كتبة الوحي بكتابتها، ويثبت الجميع حفظها بتلاوتها أثناء صلواتهم .

يقول موريس بوكاي : " إن القرآن هو نص الوحي المنزل على محمد من سيد الملائكة جبريل ، وقد كتب في الحال ، ثم حفظه المؤمنون عن ظهر قلب ، رددوه أثناء صلواتهم ، وبخاصة طيلة شهر رمضان ، وقد رتب محمد آياته في سور جمعت مباشرة عقب وفاته ، وألف في عهد عثمان (٢٣-٣٥هـ) الكتاب الذي هو بين أيدينا ، وخلافا لما جرى في الإسلام ، فإن الوحي المسيحي انبني على شهادات إنسانية متعددة

وغير مباشرة لأننا لا نملك أية شهادة من شاهد عاين حياة المسيح ، خلافاً لما يتصوره كثيرٌ من المسيحيين "[1].

وقد أشار عفيف عبد الفتاح طبّارة إلى استحالة وقوع تحريفٍ في القرآن فقال: " لم يكن القرآن كغيره من الكتب المقدسة التي سبقته مُحتَكَراً في يد طائفةٍ من الطوائف حتى يتسرب إلى الذهن ظنٌ في احتمال طروء التحريف إليه قصداً أو غفواً ، بل كان عاماً شائعاً بين أيدي المسلمين ، أُمروا أن يتعبدوا بتلاوته في صلواتهم ، وأن يحكموا به ، فكيف يُتصوَّر أن يقع فيه تحريفٌ ولا يدري به جمهورهم ، وهم إذ ذاك جاعلوه دستورهم في كل حياتهم الدينية والاجتماعية ؟.

ثم إن القرآن قبل أن يُجمع في زمن أبي بكر كانت أجزاؤه المكتوبة موجودةً عند الرسول وكثيرٍ من الصحابة ، وكان هؤلاء يتلونه في بيوتهم ولما جمعه عثمان أخيراً كان أكثر كتّابه وحفاظه لا يزالون على قيد الحياة فكيف يُعقل أن يتطرق إليه التحريف مع هذا ؟ [2]

وإن مما يؤكد لنا سلامة هذا القرآن من التغيير والتبديل والزيادة والنقصان ما وصف الله به هذا الكتاب ، حيث نفي عنه الشك والريب بقوله : ﴿ **ذَلِكَ الْكِتَابُ لا رَيْبَ فِيهِ...** ﴾ [3].

وقد انتفى الشك لانتفاء الباطل عنه فلا يأتيه من بين يديه ولا من خلفه ، قال تعالى: ﴿ **لا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلا مِنْ خَلْفِهِ تَنزِيلٌ مِنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ** ﴾ [4].

---

(١) التوراة والإنجيل والقرآن والعلم ، ص ١١ .

(٢) (روح الدين الإسلامي) ، ص ٢٣ .

(٣) سورة البقرة ، الآية (٢) .

(٤) سورة فصلت ، الآية (٤٢) .

وقد انتفى أن يأتيه الباطل لأن الله قد تعهد بحفظه ، والبشر عاجزون عن إبطال أمر أراده خالقهم فقطع به على نفسه ، قال تعالى :﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾(١)

وهكذا لو تغير حرفٌ فيه عما أراده لله سبحانه لوقع فيه الاختلاف الكثير والتناقض ، ولاختل نسق هذا القرآن المحكم واضطربت أحكامه ، قال تعالى : ﴿ ... وَلَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلافًا كَثِيرًا ﴾ (٢) .

وبحمد الله فليس من ذلك شيء في كتاب الله فلا اختلاف ولا تعارض ولا تناقض مما يؤكد أنه كله من عند الله ، ولم تصل إليه يد البشر بشيء من التحريف.
يقول الدكتور منصور محمد حسب النبي : " لقد ذهبت المعجزات كلها وبقي القرآن وتغيرت الكتب السماوية وحرفت ولم يتغير ولم وهم يُحرف ، وعلى أي حال فهو معنا ومع العلم والعلماء لمن شاء أن يبحث أو يفحص " (٣).
وتقول الدكتورة لورافيشيا فاغليري :

" فإلى الكتاب العزيز الذي لم يحرفه قط لا أصدقاؤه ولا أعداؤه ، لا المثقفون ولا الأميون ، ذلك الكتاب الذي لا يبليه الزمان، والذي لا يزال إلى اليوم كعهده يوم أوحى الله به إلى الرسول الأمي البسيط (٤) ، آخر الأنبياء حملة الشرائع – إلى هذا المصدر الصافي دون غيره سوف يرجع المسلمون ، حتى إذا نهلوا منه مباشرة من معين هذا الكتاب المقدس فعندئذٍ يستعيدون قوتهم السابقة من غير ريب " (٥) .

---

(١) سورة الحجر ، الآية (٩) .
(٢) سورة النساء ، الآية (٨٢) .
(٣) (الكون والإعجاز العلمي للقرآن) ص ٩ .
(٤) تُرى ماذا تريد بـ (البسيط) ، إن أرادت أنه بسيط في أميته ، أي أنها صفة للأمية فهذا مقبول، وإن أرادت أنها صفة للرسول بمعنى أنه بسيط في قدره ومكانته ، فهذا مرفوض قطعاً
(٥) (دفاع عن الإسلام) ص ١٣٣ .

وبهذا كلِّه تدرك أصالة النص القرآني ، وأنه اليوم وبعد آلاف السنين إلى ما شاء الله هو كيوم أنزل على رسول الله صلى الله عليه وسلم بواسطة أمين الوحي جبريل عليه السلام ، وأنه لن تنال منه الأيدي العابثة مهما حاولت ومهما كانت من الخبث والدهاء ، فالله خيرٌ حافظاً ، ولو ترك سبحانه حفظه لجهد البشر ، لحل به ما حلَّ بالكتب السابقة كما سيأتي بيان ذلك في التوراة والإنجيل .

ثانياً : الكتب السماوية السابقة وما اعتراها من تحريف :

إن نظرةً متفحصةً في التوراة والإنجيل تدرك مدى ذلك التحريف الذي حل بهما بسبب الأهواء والرغبات ، وبسبب محو البشارة بالنبي صلى الله عليه وسلم إلى غير ذلك من الأسباب التي شوّهت أصالة النص المقدس .

وقد ذكر القرآن شيئاً من هذا التحريف والطمس لصفة محمد – صلى الله عليه وسلم – التي جاءت في الكتب السابقة ، قال تعالى : ﴿ **وَلَمَّا جَاءَهُمْ رَسُولٌ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ مُصَدِّقٌ لِمَا مَعَهُمْ نَبَذَ فَرِيقٌ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ كِتَابَ اللَّهِ وَرَاءَ ظُهُورِهِمْ كَأَنَّهُمْ لا يَعْلَمُونَ** ﴾ (١)

فهم قد نبذوا كتابهم بسبب ما فيه من صفة محمد صلى الله عليه وسلم حتى لا يكون ذلك حجة عليهم باتباعه ، وقد جاءت صفته في التوراة والإنجيل ، قال تعالى : ﴿ **الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الأُمِّيَّ الَّذِي يَجِدُونَهُ مَكْتُوبًا عِنْدَهُمْ فِي التَّوْرَاةِ وَالإِنْجِيلِ...** ﴾ (٢)

والآيات في ذلك كثيرةٌ ليس هذا مجال البحث فيها .

وقد وصف الله بني إسرائيل بجهلهم بكتاب الله ، وأنهم يتقوّلون على الله ما لم يقلْ ، وقد توعدهم على ذلك بالويل ، قال تعالى : ﴿ **وَمِنْهُمْ أُمِّيُّونَ لا يَعْلَمُونَ الْكِتَابَ**

(١) سورة البقرة ، الآية (١٠١) .

(٢) سورة الأعراف ، الآية (١٥٧) .

إلا أَمَانِيَّ وَإِنْ هُمْ إِلا يَظُنُّونَ . فَوَيْلٌ لِلَّذِينَ يَكْتُبُونَ الْكِتَابَ بِأَيْدِيهِمْ ثُمَّ يَقُولُونَ هَذَا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ لِيَشْتَرُوا بِهِ ثَمَنًا قَلِيلاً فَوَيْلٌ لَهُمْ مِمَّا كَتَبَتْ أَيْدِيهِمْ وَوَيْلٌ لَهُمْ مِمَّا يَكْسِبُونَ﴾(١)

وهكذا يكشف القرآن عن مدى تلاعب أهل الكتاب بما لديهم من وحي مقدس .
والآن سنتناول البحث في التوراة والإنجيل كلٌ على حدةٍ لنكشف اللثام عن مدى ذلك التحريف .

١- تحريف التوراة :

التوراة : هو الاسم السامي ، والعبارة اللاتينية التي أطلقت في الفرنسية : (الأسفار الخمسة) تعني مؤلفاً من خمسة أجزاء : سفر التكوين ، وسفر الخروج وسفر الأحبار ، وسفر التثنية ، وسفر العدد ، التي تشكل العناصر الخمسة الأولى من مجموعة التسعة والثلاثين كتاباً من العهد القديم (٢).

ويتحدث موريس بوكاي عن (أصل التوراة) فيقول : " قبل أن تصبح مجموعة أسفار، كانت تقليداً شعبياً يُرتل عفوياً من الذاكرة التي كانت في الأصل الوسيلة الوحيدة لتداول الأفكار " (٣). إلى أن يقول : " إن العهد القديم مجموعة مؤلفات غير متساوية الطول ، ومختلفة النوع ، كتبت خلال أكثر من تسعة قرون في لغاتٍ عدةٍ أخذاً بالسماع وكثيرٌ من هذه المؤلفات صُحّحَت ثم أُكملت تبعاً للأحداث أو للضروريات الخاصة ، على مدى أجيالٍ متباعدةٍ أحياناً بعضها عن بعض " (٤).

وقد وقع التحريف في نص التوراة ، والتحريف على معان : إما بتحريف القول بجملته على غير معناه الذي وضع له ، وإما بإخفاء القول وكتمانه ، أو الزيادة والنقص فيه ، أو ما نُسِيَ من الأوامر والأحكام بسبب طول الزمن ، والاضطهادات

---

(١) سورة البقرة ، الآية (٧٨ ، ٧٩) .

(٢) (التوراة والإنجيل والقرآن والعلم) موريس بوكاي /ص٢٢.

(٣) (نفس المرجع السابق) موريس بوكاي / ص ١٧.

(٤) نفس المرجع / ص ٢٠.

المستمرة لهم ، وهذا ما صرح به القرآن عن اليهود ، يقول تعالى : ﴿ ... **يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَنْ مَوَاضِعِهِ وَنَسُوا حَظًّا مِمَّا ذُكِّرُوا بِهِ** ... ﴾ [1] .

أي نسوا طائفةً من أصل كتاب الله ، وجاء في القرآن عنهم ﴿ **أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ أُوتُوا نَصِيبًا مِنَ الْكِتَابِ يُدْعَوْنَ إِلَى كِتَابِ اللَّهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ** ... ﴾ [2] ، فما عند اليهود هو نصيبٌ من الكتاب أي جزءٌ منه وليس كله . وبيَّن القرآن أن اليهود قد أخفوا كثيراً من أصول دينهم : ﴿ **يَا أَهْلَ الْكِتَابِ قَدْ جَاءَكُمْ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمْ كَثِيرًا مِمَّا كُنْتُمْ تُخْفُونَ مِنَ الْكِتَابِ** ... ﴾ [3] .

وربما كانت الفلسفة اليونانية والفارسية والمجوسية والفلسفة الهندية هي المصادر التي استمدت منها اليهودية انحرافها عن الدين المنزل على موسى عليه السلام [4] .

و لقد كان هذا التغيير و التحريف على حسب الأهواء والرغبات والمصالح فقلبوا بذلك التعاليم الدينية الخيرة إلى مخططات سياسية واقتصادية ،واستغلوا القيم الدينية كغطاء لإضفاء نوعٍ من القداسة والشرعية على جرائم القتل والاستباحة والابتزاز والاغتصاب .

يقول أنور الجندي : وقد اتصل هذا التحريف بأصول الدين ومقاصده وقيمه ، وجرى الاتجاه إلى التغيير مع أهواء اليهود الأصيلة القديمة القائمة في النفوس والأهداف ، واستهدف صياغة منهج له صفة القداسة الدينية يبرر المطامع والأهواء ، ويصبغ الغايات المادية البالغة العنف بصبغة الرسالة السماوية .

---

(١) سورة المائدة ، الآية (١٣) .

(٢) سورة آل عمران ، الآية (٢٣) .

(٣) سورة المائدة ، الآية (١٥) .

(٤) انظر (الإسلام والفلسفات القديمة) أنور الجندي ، ص ١٩٥ .

ومن هذا ما كشفته الوثائق من أمر إعادة التوراة من جديد وفق هذه المقاصد حتى ليمكن القول بأن : " العهد القديم " الموجود الآن ليس هو التوراة رسالة السما وإنما هو من صنع الأحبار والحاخامات ، وأنه قد كُتِبَ على النحو الذي يرسم أهداف اليهودية كما أرادها قادتها لا كما أنزلت " (١).

وهكذا فقد جعلوا التوراة ذات نزعةٍ ميكافيلية قبل أن يوجد ميكافيلي .

يقول موريس بوكاي : " ودونما ريب فإن الأسفار الخمسة ، هي في مجال النقد للنص الأكثر وضوحاً للتعديلات التي أجراها الناس في مختلف عهود تاريخ الشعب اليهودي ، وللروايات الشفوية وللنصوص المأخوذة عن الأجيال الماضية " (٢).

إلى أن يقول : " ومن كان يجرؤ على المعارضة أياً كانت لهذا الخليط الذي يعوزه الانسجام حتى نهاية القرون الوسطى ، وفي الغرب على الأقل ، ومع ذلك فقد ظهرت في نهاية القرون الوسطى حتى بداية الأزمان المعاصرة بعض الانتقادات ولقد ظهر في أيامنا نقدٌ أصيلٌ للنص " (٣) .

وهكذا بليت رسالة موسى عليه السلام من قبل بعض الأحبار والمتفهمين له وحملة الرأي فيها ، ولذلك بعث الله عيسى عليها السلام مجدداً لرسالة موسى ومتمماً، ومحللاً بعض ما حرم فيها ، إلا أنه قد أصاب رسالة عيسى ما أصاب رسالة موسى – عليهما السلام – وهذا ما سنوضحه الآن .

٢- تحريف الإنجيل :

يمكن أن تُوصف الأناجيل بأنها خلاصة لسيرة المسيح عيسى بن مريم رسول الله ودعوته ، وهي بهذا تختلف اختلافاً أساسياً عن الإنجيل بوصفه الكتاب الذي أنزل من السماء .

---

(١) انظر (الإسلام والفلسفات القديمة) أنور الجندي ، ص ٣٣ .

(٢) (التوراة الإنجيل والقرآن والعلم) / ص ٢٥.

(٣) انظر (نفس المرجع) / ص ٣١.

وقد كُتبت الأناجيلُ الموجودة جميعها بعد وفاة المسيح ، وقد بلغت نيّفاً ومائة من الأناجيل ، إلا أن الكنيسة لم تعترف إلا بأربعةٍ منها وهي : (إنجيل متّى ، وإنجيل مُرقس ، وإنجيل يوحنا ، وإنجيل لوقا) ، وقد اعتبرت الكنيسة هذه الأناجيل وحياً مقدساً، وهي في الحقيقة ما هي إلا أسفار كتبها أُناس من البشر [١] .

يقول موريس بوكاي : " إن الأناجيل التي أصبحت فيما بعد رسمية – أي قانونية – عُرفت في وقت متأخر جداً ، فإنه لم يكن يوجدقبل سنة (١٤٠م) أية شهادة يمكن معها معرفة مجموعة كتابات إنجيلية " [٢].

ويقول أيضاً : " من الخطأ الاعتقاد ، بأن الأناجيل منذ أُلِّفت كونت الكتابات المقدسة الأساسية للمسيحية الناشئة ، وأنه قد رُجِعَ إليها كما يُرجعُ إلى العهد القديم ، فالسلطة آنذاك كانت للعرف الشفوي الذي كان يحمل كلمات عيسى وتعاليم الرسل ، والكتابات الأولى التي كانت متداولة وسيطرت قبل الأناجيل كانت رسائل بولس ، ألم تكن قد حرِّرت قبل بضع عشرات من السنين ؟ " [٣] .

وبهذا ندرك أن هذه الأناجيل ذات تاريخ متأخر عن عيسى عليه السلام حيث كتبتها أيدي بشرية بعد المسيح بعشرات السنين ، فهي بهذا ليست النص المُوحى به بواسطة أمين الوحي جبريل ، وإنما هي جهودٌ بشريةٌ تتذكر وتنسى ، وتخطيء وتصيب ، وقد ذكر الله تعالى هذا النسيان الذي وقع في النص المُوحى به لعيسى عليه السلام بقوله : ﴿ **وَمِنَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّا نَصَارَى أَخَذْنَا مِيثَاقَهُمْ فَنَسُوا حَظًّا مِمَّا ذُكِّرُوا بِهِ...** ﴾ [٤] ، أما المصادر التي تأثرت بها المسيحية واقتبست منها ، فيحدثنا عن ذلك أنور الجندي بقوله : وتكاد تجمع مراجعات الباحثين على أن المسيحية مجموعةٌ من

---

(١) انظر (الإسلام والفلسفات القديمة) ، أنور الجندي ، ص٢٠١ .

(٢) (التوراة والإنجيل والقرآن والعلم) ، ص٥٩ ، بتصرف .

(٣) (التوراة والإنجيل والقرآن والعلم) ، ص٧٨ .

(٤) سورة المائدة ، الآية (١٤) .

الاقتباسات من الوثنية واليهودية ، والحياة الشرقية والرومانية ، وفيها عناصر أجنبية كثيرة بارزة بها كاملةً أو محرفةً .

فمن اليهودية اقتبست المسيحية فكرة الأبوة بين الله والناس أي أبوة الإله للخلق.

ومن الفلسفة الإغريقية اقتبست المسيحية (الكلمة) وهي ترادف (الإلة) عند الإغريق ، لأن الكلمات لا تفنى بالاستعمال " [١] ، إلى أن يقول : " وأخذت المسيحية (مسيحية بولس) التثليث من الثقافات المحيطة بها ، وتعدد الآلهة موضوع يكاد يكون عاماً في جميع الثقافات القديمة ، قال به المصريون القدماء ، وقال به الآشوريون والبابليون والفرس والهنود ، وأهل الصين واليونان على اختلاف في تعدد الآلهة بعضهم عن بعض أو صلتهم بالبشر ،ولقد ظهرت فكرة التعدد في الأديان البشرية والوثنية ، ففي الهند كانت البرهمية مُثَلَّثَةً ، وكانت المجوسية ثنائيةً " [٢].

ومما يؤكد لنا ذلك التحريف والتبديل الذي حدث للإنجيل تلك الرهبانية التي ظهرت في القرن الثالث الميلادي من خلال نظام الكنيسة ، وعدَّها المؤرخون تطوراً في الحياة الروحية ،وقد وصفها القرآن الكريم بعبارةٍ واضحةٍ تكشف عن أنها لم تكن من أصول المسيحية ، قال تعالى : ﴿ ... **وَرَهْبَانِيَّةً ابْتَدَعُوهَا مَا كَتَبْنَاهَا عَلَيْهِمْ إِلا ابْتِغَاءَ رِضْوَانِ اللَّهِ فَمَا رَعَوْهَا حَقَّ رِعَايَتِهَا** ... ﴾ [٣] .

ومن تحريفهم قولهم بأن الله هو المسيح بن مريم ، واتخاذهم المسيح وأمَّه إلهين من دون الله ،وقد ذكر القرآن حالهم هذا ، قال تعالى : ﴿ **لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ** ... ﴾ [٤] .

---

(١) (الإسلام والفلسفات القديمة) ، ص ١٩٣ .

(٢) (الإسلام والفلسفات القديمة) ، ص ١٩٥.

(٣) سورة الحديد ، الآية (٢٧) .

(٤) سورة المائدة ، الآية (١٧)

وقد نهاهم المسيح عن الإشراك مطلقاً : قال تعالى : ﴿ **وَقَالَ الْمَسِيحُ يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ اعْبُدُوا اللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ إِنَّهُ مَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ ...** ﴾(١)

وقال تعالى : ﴿ **وَإِذْ قَالَ اللَّهُ يَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ أَأَنتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ اتَّخِذُونِي وَأُمِّيَ إِلَهَيْنِ مِنْ دُونِ اللَّهِ قَالَ سُبْحَانَكَ مَا يَكُونُ لِي أَنْ أَقُولَ مَا لَيْسَ لِي بِحَقٍّ إِنْ كُنتُ قُلْتُهُ فَقَدْ عَلِمْتَهُ تَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِي وَلا أَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِكَ إِنَّكَ أَنْتَ عَلامُ الْغُيُوبِ . مَا قُلْتُ لَهُمْ إِلا مَا أَمَرْتَنِي بِهِ أَنْ اعْبُدُوا اللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ وَكُنتُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا مَا دُمْتُ فِيهِمْ فَلَمَّا تَوَفَّيْتَنِي كُنتَ أَنْتَ الرَّقِيبَ عَلَيْهِمْ وَأَنْتَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ** ﴾ (٢) .

ومن أدلة التحريف ذلك التناقض والتضارب بين الأناجيل بل في الإنجيل الواحد ، فمن ذلك (ما ورد في إنجيل يوحنا ، حيث جاء فيه أن المسيح عليه السلام يذكر أن شهادته لنفسه حق : (أجاب يسوع وقال له : وإن كنت أشهد لنفسي فشهادتي حق ، لأني أعلم من أين أتيت وإلى أين أذهب) (٣).

بينما نجده عليه السلام في موضع آخر – على حد زعم الأناجيل – يقول بخلاف ذلك ، حيث جاء في الإصحاح الخامس من نفس الإنجيل ما نصه :
(إن كنت أشهد لنفسي فشهادتي ليست حقاً ، الذي يشهد لي هو آخر وأنا أعلم أن شهادته التي يشهدها لي هي حق) (٤) " (٥) .

يقول موريس بوكاي : " إن روايات الأناجيل تُثبت أولاً وبالذات تضادات بارزة ، فلا يمكننا التصديق بوجود أمرين متناقضين ، ولا يمكننا قبول بعض ما لا

(١) سورة المائدة ، الآية (٧٢) .

(٢) سورة المائدة ، الآيتان (١١٦ ، ١١٧) .

(٣) كتاب العهد الجديد – (إنجيل يوحنا – الإصحاح الثامن (١٤) .

(٤) كتاب العهد الجديد – (إنجيل يوحنا – الإصحاح الثامن (١٤).

(٥) انظر (بينات المعجزة الخالدة) الدكتور حسن ضياء الدين عتر / ص ٤١٣. و (موقف الإسلام والكنيسة من العلم) الدكتور عبد الله المشوخي / ص ١١٣.

يصدَّق ، كما لا يمكننا قبول تأكيدات تتجه إلى مصادمة معطيات مثبتة تماماً من العلوم العصرية " [1] .

إلى أن يقول : " فإساءةُ متّى استخدام الوقائع العجيبة ، والتضادات البارزة بين الأناجيل ، والمستحيلات فيها ، والتناقضات مع معطيات العلم الحديث ، وتغيير النصوص المتتابعة ، كلُّ ذلك جعل الفكر يذهب إلى أن الأناجيل تحوي فصولاً ومقاطع ناشئةً من الخيال الإنساني " [2] .

وبهذا ندرك أن البلاء عام بين التوراة والإنجيل بسبب ما أصابهما من تحريف وتبديل وزيادة ونقص ، مما جعل اليهود يتهمون النصارى بأنهم ليسوا على شيءٍ ، والنصارى تتهم اليهود بأنهم ليسوا على شيء ، قال تعالى : ﴿ **وَقَالَتْ الْيَهُودُ لَيْسَتْ النَّصَارَى عَلَى شَيْءٍ وَقَالَتْ النَّصَارَى لَيْسَتْ الْيَهُودُ عَلَى شَيْءٍ وَهُمْ يَتْلُونَ الْكِتَابَ...** ﴾[3] .

وهكذا فإن البعد عن الوحي الإلهي والنص الرباني الأصيل يوقع الاختلاف والتعارض والتناقض ، مما يعطل العقول عن الفكر ،والحضارة عن التقدم والرقي ، إنه مما يكبل الطاقات ويعطل الجهود ، ويميت في النفوس حب المعرفة.

ثالثاً : توافق قواعد العلم الحديث مع القرآن :

إن الإنسان في هذا العصر بأمسّ الحاجة إلى يقين ديني يعيد إليه وحدته الضائعة وسعادته المفقودة وأمنه المسلوب ، وما دامت القناعة المبنية على " الحقائق العلمية " هي اليوم من أكثر القناعات فاعلية للتحقق بهذا اليقين ، وما دام كتاب الله يمنحنا هذا القدر الكبير المعجز من هذه الحقائق التي تتكشف قرناً بعد قرنٍ ، فلماذا لا نتحرك على ضوء هذه المعادلة العظيمة لإنقاذ الإنسان المعاصر من ورطته بفقدان اليقين ؟ .

---

(١) التوراة والإنجيل في القرآن والعلم / ص ١٠٣.

(٢) نفس المرجع ، ص ١٠٥ .

(٣) سورة البقرة ، الآية (١١٣) .

وقد ثبت فعلاً أن الآيات القرآنية التي تناولت الحديث عن بعض العلوم لا تصطدم مع أية حقيقة علمية في العصر الحديث .

يقول موريس بوكاي وهو يتحدث عن نص القرآن :

" والذي يدهش فكر من يواجه مثل هذا النص للمرة الأولى ، هو غزارة الموضوعات المطروحة مثل الخلق ، والفلك ، وعرض بعض الموضوعات الخاصة بالأرض وجنس الحيوان والنبات ، وتكاثر الإنسان ،وتلك الأمور التي نجد عنها في التوراة دون نص القرآن أخطاءً علميةً كبيرةً ، تحملني على التساؤل : إذا كان كاتب القرآن بشراً ، فكيف أمكنه في القرن السابع الميلادي كتابة ما يثبت أنه اليوم متفق مع المعارف العلمية الحديثة؟ وليس ثمة أي شكٍ في أن النص الذي بين أيدينا للقرآن هو نص ذلك العصر " (١) .

ولم يكن الكاتب الفرنسي بوكاي قد توصل إلى هذه النتيجة وهو متكئ على أريكته بل توصل إليها بالبحث والدراسة ، وذلك حيث يقول : " ودون أية فكرة مسبقة، وبموضوعيةٍ تامةٍ أجدني أتوجه أولاً إلى الوحي القرآني باحثاً عن درجة التوافق بين نص القرآن ومعطيات العلم الحديث ، وقد كنت أعرف عن بعض الترجمات أن القرآن يسوق كل أنواع الظواهر الطبيعية ولم أكن أعرف منها إلا معرفة جزئية ، ولكن بعد تدقيق النص العربي بإمعانٍ شديدٍ قمت بجردةٍ شاملةٍ استبان لي منها أنه ليس في القرآن تأكيد يمكن أن يُنتَقدُ من الوجهة العلمية في هذا العصر الحديث " (٢) .

وإليك بعض النقولات للدلالة على أن القرآن لم يتعارض مع العلم الحديث تقول مجلة الأنصار :

" ... العلم الحديث لم يصطدم بالإسلام ، وإنما تلاشى فيه ، والعلم لم يختلف مع القرآن في أي نص من النصوص ، وعلى أي وجه من الوجوه ، كما اختلف

---

(١) (التوراة والإنجيل والقرآن العظيم) ، ص ١١٤ .

(٢) نفس المرجع /ص ١٣.

صراحةً مع الكتب التي في أيدي اليهود والنصارى ، وإنما ازداد العلم نوراً في نور القرآن ، واستمد ثباتاً من ثباته " (١) .

ويقول الدكتور منصور محمد حسب النبي في مقدمة كتابه :

" ونظراً لأهمية الموضوع فقد كتبت هذا الكتاب لأشرح بعض ظواهر الكون الهامة مع إبراز المزيد من الإعجاز العلمي للقرآن ، راجياً أن أوضح عبر صفحات هذا الكتاب الاتفاق المذهل بين العلم والقرآن في رحلة قصيرة خلال ظواهر الكون المختلفة " (٢) .

ويقول: " ولا شك أن القرآن والعلم مرتبطان ارتباطاً مصيرياً لأنهما يقرران معاً مصير الإنسان وكماله ، والمتدبر لأهداف العلم والقرآن يجد أنهما متماثلان في الغاية ومتحدان في الهدف لأن مصدرهما واحد ،وهو الله سبحانه وتعالى خالق هذا الكون ... ولن يحدث تعارض بين القرآن والعلم إلا إذا ضل العلم طريقه ، أو أخطأ المفسرون في فهم الآيات الكونية لعدم معرفتهم العلمية " (٣) .

ويقول الأستاذ أحمد أمين : " وما جاء في القرآن الكريم من الآيات الكونية إنما هي عصارات العلوم وخلاصاتها يصل إليها العلم الحاضر كلما نما وتكامل .

فلا ينبغي أن يتسرع الشباب المتعلم في حكمه على الدين الإسلامي وأن بينه وبين معطيات العلم الحديث تنافياً ، لأنه ليس العلم الحديث إلا خصائص وقوانين أودعها الله في مخلوقاته في هذا العالم ، وليس الدين إلا قوانين ونظماً أرسلها الله تعالى رحمة للعالمين ، فالمنبع واحدٌ ، والمبدأ واحدٌ ، ولا يعقل التنافي مع وحدة المنبع الفياض " (٤) .

---

(١) انظر مقدمة كتاب (النظريات العلمية في القرآن) د. حسين الهوراي / ص ٥ .

(٢) (الكون الإعجاز العلمي للقرآن) / ص ٨ .

(٣) نفس المرجع ، ص ٧ .

(٤) انظر مقدمة كتاب (الإيمان والعلم الحديث) محمد الحسين الأديب ، ص ١١،١٢ (بتصرف) .

ويقول الدكتور حسن ضياء الدين عتر :

" إن القرآن الذي نزل منذ أربعة عشر قرناً في عهد الجهل المطبق ، قد اشتمل على حقائق علميةٍ ناصعةٍ ، أوردها الله ليدل الناس على وجوده ووحدانيته وقدرته وعظمته ، وعلى الرغم من تقدم العلم في زماننا هذا فإنه لا توجد حقيقةٌ علميةٌ منافيةٌ لما ورد في القرآن الكريم مطلقاً " (١).

أما الأمثلة التي تثبت عدم التعارض والتصادم بين القرآن ومعطيات العلم الحديث ، فهذا ما سوف نتحدث عنه إن شاء الله تعالى في (الفصل الثالث) والذي بعنوان " **نماذج من الإعجاز العلمي في القرآن** " وعندها سندرك ذلك التوافق والتطابق.

وهكذا نرى أن القرآن كنز دفينٌ ، حيث جاء بكل الموافقات والمطابقات لكل ما وصلت إليه العلوم الحديثة من نتائج ، بل كلما اكتشف العلماء جديداً في أصول العلوم الكونية وجدوا له في كتاب الله مواضع وإشارات تدل عليه ، ولن يحدث تناقض بين العلم والقرآن ، فالقرآن كتاب الله ، والكون خلق الله ، وما علينا إلا أن ننطلق في حياتنا العصرية بالإسلام والعلم حتى نكون خير أمةٍ أخرجت للناس ، متنعمين بفضل الله وكرمه ، وما هدانا إليه من علم ومعرفة ، وصدق البوصيري حيث قال (٢) :

اللهُ أكبَرُ إنَّ دينَ محمَّدٍ ... وكتَابُه أقْوَى وأقوَمُ قيلا
طلعتْ به شمسُ الهدايَةِ للورَى ... وأَبَى له وصفُ الكمالِ أفُولا
لا تذْكُروا الكُتُبَ السَّوالفَ عندَه ... طَلَعَ النَّهارُ فأطْفِئُوا القِنديلا

---

(١) بينات المعجزة الخالدة ، ص ٣٧٨ .

(٢) ديوان البوصيري ، ص ١٤٥ .

رابعا : تعارض نصوص الكتب المقدسة مع قواعد العلم الحديث :

إن نظرة أخرى متفحصة في التوراة والإنجيل أيضا تدرك مدى ذلك التناقض بين نصوصهما وقواعد العلم الحديث ، نتيجة ذلك التحريف الذي حل بهما من قبل ، فهذا ما قدمته أيديهم ، فويل لهم مما كتبت أيديهم وويل لهم مما يكسبون .

والآن سنقف على بعض ما يجلي لنا هذه الحقيقة لتظهر لمن أراد أن يقف على حقيقة الأمر .

١- تعارض النص التوراتي :

لا شك أن الصحف التي نزلت على موسى عليه السلام هي وحي مقدس أصيل لا تعارض فيه ولا تناقض ولا اختلاف ،ولكن لما أصاب هذا الوحى التحريف والتغيير والتبديل وقع فيه التعارض والتناقض والاختلاف مع معطيات العلم الحديث ،مما تسبب معه تصادم بين العلماء وشراح التوراة.

يقول موريس بوكاي :

" وقد لوحظ مع تطور المعرفة وجود اختلافات بين نص التوراة والعلم ، فتقرر عدم المقابلة بينهما ،ويجب الاعتراف أنه بهذه الطريقة برز فى أيامنا وضع خطير ، هو تصادم العلماء وشراح التوراة ،لأنه لا يمكن القبول فى الواقع ، بأن يكون الوحي الإلهي متكلما عن شئ غير صحيح .

و لم يكن بد من التوفيق المنطقي ،وإبطال كل مقطع من الكتاب التوراتي يتحدث عن أمر غير مقبول علميا ،وقد رفض البعض مثل هذا الحل ،واندفع على العكس فى الاحتفاظ بكامل النص ،الأمر الذي جعل شراح التوراة يتخذون بالنسبة لصحة الكتابات التوراتية مواقف مرفوضة فى الفكر العلمي [١].

ويقول الدكتور منصور محمد حسب النبي: لقد حاول الغرب كثيرا أن يوفق بين دينه وبين العلم فلم يستطع نظرا لوجود نصوص فى التوراة ناقضت ما أثبته العلم، كالنص على إدراج مراحل خلق الكون فى إطار أسبوع حيث تنص الرواية على

---

(١) (التوراة والإنجيل والقران والعلم)ص ١١،١٢.

أن الله قد خلق الكون فى ستة أيام من أيامنا الأرضية ،ثم استراح فى اليوم السابع ، بينما الحقيقة أن الخلق قد تم على مراحل زمنية تمتد على فترات طويلة علاوة على أن الله سبحانه وتعالى يتصف بالكمال المطلق فهو غير محتاج للراحة [1].

وقد أشار (موريس بوكاى) إلى نماذج من ذلك التناقض بين نص التوراة ومعطيات العلم الحديث ، وحيث يقول الحديث :ففي سفر التكوين تناقضات صريحة مع العلم المعاصر ،وهى تقع في ثلاث نقاط أساسية :

أ. خلق العالم ومراحله.

ب. تاريخ خلق العالم وتاريخ ظهور الإنسان على الأرض.

ج. رواية الطوفان"[2].

ثم توسع في بيان هذه التناقضات وذلك بإيراد النص التوراتي ومقارنته بالعلم المعاصر"[3].

وقد قامت حرب شعواء على كل من يقول إن القمر يستمد نوره من انعكاس ضوء الشمس,لأن في هذا مخالفة صريحة لما جاء في التوراة من أن القمر عبارة عن ضوء عظيم, حيث جاء في سفر التكوين ما نصه : (فعمل الله النورين العظيمين ، النور الأكبر لحكم النهار، والنور الأصغر - أى القمر - لحكم الليل)[4] "[5].

وهكذا فإن المتأمل في التوراة يقف حائرا أمام بعض النصوص التي لا تتفق في أغلبها مع معطيات العلم .

---

(١) (الكون والإعجاز العلمى للقران)ص ٩٦ .

(٢) نفس المرجع السابق ، ص٣٤ .

(٣) انظر نفس المرجع ، ص٣٤ - ٤٦ .

(٤) العهد القديم - سفر التكوين - الإصحاح الأول (١٦) .

(٥) انظر (موقف الإسلام والكنيسة من العلم) الدكتور عبد الله المشوخي ، ص ١١٤ .

٢- تعارض نص الإنجيل

لقد نال العهد الجديد نصيبا من تلك التناقضات بين نصه وبين معطيات العلم الحديث، على الرغم من أنه يحتوي على عدد قليل جدا من النصوص التي تتطرق إلى النظريات أو الحقائق العلمية ، فأغلب نصوصه تدور حول معجزات المسيح – عليه السلام – وخوارق العادات التي حدثت في عهده ، مثل شفاء المرضى , والعجائب المادية الخارقة لقانون الطبيعة ، ولا يمكن أن تكون هذه الخوارق ذات تفسير علمي[١].

ومن أمثلة ذلك التناقض : معارضة رجال الكنيسة لقبول فكرة وجود بشر يقطنون الجهة المقابلة من الأرض عندما شاع القول بكروية الأرض واستندوا في ذلك إلى نص ورد في رسالة (بولس) إلى أهل رومية حيث جاء في الإصحاح العاشر ما نصه : (إلى جميع الأرض خرج صوتهم وإلى أقاصي المسكونة أقوالهم)[٢] ، وهذا يعنى عند رجال الكنيسة أن المسيح ــ عليه السلام ــ ذهب إلى أهل الأرض ليبشوهم بالإنجيل ومادام لم يرد فى الأناجيل ذكر وصول المسيح – عليه السلام – إلى الجهة المقابلة ، فهذا معناه عدم وجود أناس يقطنون هناك [٣] .

ومنها أيضا ما ذكرته مجلة الأنصار ، حيث تقول : " من المسائل التي اصطدم العلم فيها بهذه الكتب مسألة تاريخ ظهور الإنسان على الأرض ، فقد ورد في نص الإنجيل على أن المسافة الزمنية بين " آدم " و "عيسى" لا تزيد على ألفي سنة ، وقد أثبتت الآثار القديمة وجود الإنسان قبل هذا التاريخ لمدى بعيد ، وأثبتت الأبحاث الجيولوجية نفس هذه الحقيقة ، وهذه المسألة بالذات قامت حولها في القرن الماضي

---

(١) انظر (التوراة والإنجيل والقرآن والعلم) موريس بوكاي / ص٨٣. (وموقف الإسلام والكنيسة من العلم) د.عبد الله المشوخي/ص١٢٠

(٢) كتاب العهد الجديد – رسالة (بولس إلى أهل رومية) الإصحاح العاشر (١٨) .

(٣) انظر (موقف الإسلام والكنيسة من العلم) د. عبد الله المشوخي / ص ١٢٠.

ضجة كبيرة بين القساوسة والعلماء ، ثم سكت الأولون على مضض ، وإن كانوا لم يستحيوا فيسكتوا عن تجريح المعتقدات الصحيحة " (١) .

يقول موريس بوكاي : " ويغرق المرء دفعة واحدة عند فتح الأناجيل في نسب المسيح الذي يبدو من الصفحة الأولى في مشكلة مهمة : هي أن نص " متى " هو في هذه النقطة متناقض صراحة مع نص " لوقا" ، وأن هذا الأخير واضح التناقض مع المعارف الحديثة المتصلة بقدم الإنسان على الأرض" (٢).

وقد عرفنا في المبحث الثاني من هذا الفصل ، تحت عنوان " جاهلية أوربا " كيف حاربت أوربا العلم واضطهدت العلماء فى العصور الوسطى ذلك لأن العلم قد جاء بحقائق فتكلم بها العلماء ، و كان ذلك يتعارض مع النص المقدس وتعاليم الكنيسة(٣) .

وعلى الرغم من هذه التناقضات فقد كانت الكنيسة تنظر إلى تلك الكتب نظرة القانع بأنها حاوية لكل أنواع العلوم والمعرفة ،وأن أي مخالفة لظاهر تلك النصوص التي جاءت في الأسفار ورسائل الحواريين يعتبر صاحبها كافرا وملحدا يجب معاقبته .

وبهذا يتضح موقف العهدين القديم والجديد من العلم ،وكيف أن النصوص التي وردت فيهما بشأن العلم كانت بمثابة العقبة الكئود فى سبيل تقدم العلوم وازدهارها ، ورقى الأمم وحضارتها .

---

(١) مقدمة كتاب (النظريات العلمية في القرآن) الدكتور حسين الهراوي / ص٥.

(٢) (التوراة والإنجيل والقرآن والعلم) ص ١٣.

(٣) انظر هذا الفصل ص ٨٥ .

الفصل الثاني
الإعجاز العلمي بين مؤيديه ومعارضيه

ويشتمل على النقاط التالية :

بين يدي الفصل : مجموعة تعريفات لكل من :
(النظرية العلمية - الحقيقة العلمية - التفسير العلمي - الإعجاز العلمي)

- **المبحث الأول :** رأي المعارضين للإعجاز العلمي ومناقشته :

وهؤلاء ينقسمون إلى قسمين :

أولاً : رأي المفرطين في المعارضة وأدلتهم .

ثانياً : رأي المعتدلين في المعارضة وأدلتهم .

- **المبحث الثاني :** رأي المؤيدين للإعجاز العلمي :

وهؤلاء ينقسمون إلى قسمين :

أولاً : رأى المتوسعين وأدلتهم .

ثانياً : ورأين المعتدلين وأدلتهم .

- **المبحث الثالث :** الخلاصة .

بين يدي الفصل :

يحسن أن نمهد للبحث في الإعجاز العلمي بالتعريفات الآتية :

(النظرية العلمية - الحقيقة العلمية - التفسير العلمي- الإعجاز العلمي)

أولاً النظرية العلمية :

تعريفها : " هي مجموعة فروض قابلة للتعديل والتغيير والتطور وتقبل إضافة عناصر تفقدها " [١].

مجالها : " يعمل بها في مجال التنبؤ بما يجد من ظواهر وعلاقات أو تفسير ظاهرة علمية سبق أن أثيرت حولها شكوك في التنظير " [٢].

وقد أشار الدكتور محمد جمال الدين الفندي [٣] إلى أن النظريات لا تلغي بعضها بعضاً ، وإنما يعمم اللاحق منها السابق ، وذلك حيث يقول : " يظن بعض الناس خطأ أن تعاقب النظريات العلمية المتصلة بعلوم الكون معناه أن النظرية الحديثة تلغي النظرية القديمة ، ولكن هذا الفهم خاطئ ، إذ إن ظهور نظرية حديثة كالنسبية [٤] ما هو إلا مجرد تعميم لنظرية قديمة قائمة مثل قوانين نيوتن [٥] . وعلى هذا النحو نستطيع أن نقول ، في مجال العلوم الكونية على الأقل إن تعاقب النظريات معناه ازدياد تعميمها واتساع نطاق شمولها عبر آفاق أوسع في الكون الفسيح"[٦].

---

(١) القرآن وعالم الحيوان / الدكتور عبد الرحمن محمد حامد / ٢٦ .

(٢) نفس المرجع ، ونفس الصفحة .

(٣)هو أستاذ الطبيعة الجوية بجامعة القاهرة ، حصل على دكتوراه في فلسفة العلوم عام ١٩٤٦م

(٤)وضعها ألبرت أينشتين كنظرية خاصة أولا عام ١٩٠٥م ، ثم كنظرية عامة عام ١١١٥م باعتبارها إحدى نظريات الفيزياء ، وهي ترتكز على نقد منطقي لطرق قياس الإنسان للزمان والمكان / انظر موسوعة الثقافة العلمية (بإشراف الدكتور أنور محمد عبد الواحد) و(النسبية) بول كوديرك / ص ٧ .

(٥) هي القوانين الثلاثة المشهورة لنيوتن المتعلقة بعلم الميكانيكا .

(٦)(الكون بين العلم والدين) / ص ٣٣.

فإن قيل : إن النظريات العلمية قد تتغير فنحن لا نخضع القرآن الكريم لأمثال هذه التفسيرات ، لأن البحث قد يكشف خطأ نظرية قديمة .

فالجواب : إن تفسير آيات القرآن الكريم بما يكشفه العلم على وفق قواعد التفسير وضوابطه من اللغة وغيرها ما هو إلا فهم لتلك الآيات فإن تبين خطأ النظرية تبين خطأ ذلك التفسير [1] ، ولا يضير القرآن شيء لأنه أصل ، وكل العلوم توابع ، وهذا هو غاية جهد أهل العصر فاستأنسوا به في فهم آيات القرآن الكريم .

يقول مصطفى صادق الرافعي [2] :

" ذلك وأن من أدلة إعجاز هذا الكتاب الكريم أن يخطئ الناس في بعض تفسيره على اختلاف العصور لضعف وسائلهم العلمية ولقصر حبالهم أن تعلق بأطراف السموات أو تحيط بالأرض ، ثم تصيب الطبيعة نفسها في كشف معانيه ، فكلما تقدم النظر ، وجمعت العلوم و زاغت إلى الكشف والاختراع ، واستكملت آلات البحث ، ظهرت حقائقه الطبيعية ناصعة حتى كأنه غاية لا يزال عقل الإنسان يقطع إليها ، حتى كأن تلك الآلات حينما توجه لآيات السماء والأرض توجه لآيات القرآن أيضا ﴿وَاللَّهُ غَالِبٌ عَلَى أَمْرِهِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لا يَعْلَمُونَ﴾[3] " [4] .

ومهما يكن فإني لن أجعل للنظريات العلمية التي أثبت العلم خلافها مجالاً في بحثي هذا ، وإن كان قد مر عليها زمن يستأنس أهله بها ، وقد نستأنس الآن بشيء ، ويثبت في المستقبل خلافه ، وإن كان ذلك فيما نتصوره حقيقة علمية ، فالتغير والتطور يشمل النظرية والحقيقة كما أثبته العلماء ، وسيظهر لنا ذلك في مبحث الحقيقة

---

(١) انظر (علم أصول الفقه) الأستاذ عبد الوهاب خلاف / ص ٣٠. و (أصول الدين الإسلامي) الدكتور قحطان الدوري / ص ٣٠٠ .

(٢) سبقت ترجمته في الفصل التمهيدي ، ص .

(٣) سورة يوسف ، الآية (٢١) .

(٤) (إعجاز القرآن والبلاغة النبوية) ص ١٢٨- ١٢٩.

العلمية إن شاء الله تعالى ، وهذا دليل من أدلة إعجازه أن يخطئ الناس في بعض تفسيره على اختلاف العصور ، كما أشار لذلك الرافعي فيما سبقت الإشارة إليه .

ثانيا : الحقيقة العلمية :

تعريفها : " هي الوصف الصادق الأمين لأية ظاهرة [١]، أو حتى لأي جانب منها "[٢]

ويقتصر تعريف الحقيقة العلمية بهذا الشكل على مدى الدقة التي نصف بها ما يحدث بالفعل ، وكذلك على مدى ما يتضمنه الوصف من فطنة وأمانة . ولقد توصل الإنسان إلى كثير من " الحقائق العلمية عن طريق الرصد والتجربة العلمية والتتبع المستمر ... "

وعلى هذا النحو يجمع العلماء الحقائق العلمية ورائدهم الأول الحذر الشديد والدقة المتناهية ، والأمانة التامة ، ولا تقبل أية " حقيقة " لدى جمهرة العلماء ويتم نشرها في المجلة العلمية المتخصصة لذلك الموضوع ما لم يتم التأكد من سلامة الخطوات التي اتبعت " [٣] .

يفهم مما سبق أن الحقيقة العلمية هي نهاية ما وصل إليه العلم بصورة قاطعة وتكون غير قابلة للنقاش والاعتراض .

إلا أن هذا الوصف للحقيقة بأنها لا تقبل التغيير والتبديل ليس قاعدة مسلمة فكم من الحقائق التي قيل إنها حقائق قد اعتراها التغير بعد فترة من الزمن ، وتبين أنها كانت مجرد ظن وتخمين .

---

(١)الظاهرة : هي كل ما يشاهد في الطبيعة .

(٢) (الكون بين العلم الدين) الدكتور محمد جمال الدين الفندي / ص ٣١. وانظر (القرآن وعالم الحيوان) الدكتور عبد الرحمن محمد حامد / ص ٢٦ . والمنتخب في تفسير القرآن الكريم) محمد متولي شعراوي / ص ٤٧.

(٣) (الكون بين العلم والدين) الدكتور محمد جمال الدين الفندي / ص ٣١

يقول الدكتور الفندي بعد أن عرف الحقيقة العلمية بما سبق : " وعلى الرغم من أن الظواهر نهاية المطاف ، نجد أن " الحقائق " قد تتغير لأن " الحقائق " ليست هي الظواهر ، ولكن أوصافها كما قدمنا وتتوقف " الحقائق " على الأفكار أو التصورات التي نعالج بها الظاهرة " [١] .

" وعلى ذلك فإن الحقائق لم تشاهد فعلاً ، وإنما هي تفسيرات لبعض المشاهدات ، لأن المشاهدة لا يمكن أن توصف بأنها كاملة ، ولذا فإن جميع هذه التفسيرات ، تعد إضافية ، ومن الممكن أن تتغير بتطور الملاحظة" [٢].

ثالثا : التفسير العلمي :

لدى البحث عن مدلول التفسير العلمي في الاصطلاح تبين لي أن العلماء منقسمون إلى فريقين من حيث قبول التفسير العلمي أو رفضه . وبناء على ذلك فقد تحصل عندنا اتجاهان في تعريف التفسير العلمي :

الأول : وهو تعريف المؤيدين للتفسير العلمي :

وقد عرفوه بقولهم : " وهو أن يفهم المسلمون في كل عصر من العصور النص القرآني حسب عقولهم ، وحسبما تزودت تلك العقول من ثقافات علمية تختلف من عصر إلى عصر " [٣] .

---

(١) (الكون بين العلم والدين) الدكتور محمد جمال الدين الفندي / ص ٣١.

(٢) انظر (الإسلام يتحدى) وحيد الدين خان / ص ٦٨ . وانظر (مجلة الأزهر) – شهر المحرم، سنة ١٣٨٠هـ – مجلد رقم (٣٢) ص ٣١/ مقال للأستاذ محمود الشرقاوي .

(٣) هذا ما ذكره عبد العزيز المجدوب في كتابه)(الرازي من خلال تفسيره) ص٥٢.

الثاني : وهو تعريف الرافضين للتفسير العلمي :

وقد عرفوه بقولهم : " هو التفسير الذي يتوخى أصحابه إخضاع عبارات القرآن للنظريات والاصطلاحات العلمية ، وبذل أقصى الجهد في استخراج مختلف مسائل العلوم والآراء الفلسفية منها ."(١).

وبهذا ندرك أن كل اتجاه يعرف التفسير العلمي بما يتناسب مع رأيه فيه فإن كان من المنكرين له اعتبره تحكيماً للاصطلاحات والنظريات العلمية في عبارات القرآن واجتهاداً في استخراج مختلف العلوم منها.

وإن كان من المؤيدين للتفسير العلمي اعتبره فهما للنص القرآني في أي عصر من العصور بما يتناسب مع عقول وثقافات أهل ذلك العصر .

وعلى ذلك فإنه يجب ملاحظة رأي المعرف في التفسير العلمي قبل النظر إلى تعريفه ، وإلا تختلط الأمور وتضطرب الموازين .

أما التعريف المختار : فقد ترجح لدي أن تعريف القائلين بجواز التفسير العلمي أولى بالاعتماد ، وعليه فإن التفسير العلمي هو : محاولة فهم النص القرآني في أي عصر من العصور حسب الثقافات والمعارف والعلوم التي تمتاز بها تلك العصور.

وتعليل ذلك أنه بإمعان النظر في تعريف المعارضين للتفسير العلمي نجد أنهم اعتبروه إخضاع عبارات القرآن للنظريات العلمية ، في حين أن القائلين بالتفسير العلمي لا يقرون بهذا الإخضاع ، ولا يعتبرون للنظريات العلمية مجالاً في هذا الموضوع ، بل يعتبرون الحقائق العلمية هي مجال النظر والبحث في التوفيق بينها وبين الآيات القرآنية بهدف إظهار ما في الآيات من إعجاز علمي ، وسيظهر هذا واضحاً في آراء المؤيدين ، وفي الرد على المعارضين .

---

(١) انظر (التفسير والمفسرون) الدكتور محمد حسين الذهبي / ج١/ ص٤٧٤.و(اتجاهات التفسير في العصر الراهن) الدكتور عبد المجيد المحتسب / ص ٤٤٧.

رابعاً : الإعجاز العلمي :

لقد كان أول ما تحدى الله به العرب الإعجاز البياني ، وذلك واضح من آيات التحدي في سورة يونس [1] والطور [2] وهود [3] ، واستمر ذلك التحدي بهذا الوجه من الإعجاز إلى أن نزلت آية سورة البقرة [4] ، فأخرجت التحدي من كونه تحدياً بيانياً إلى أن أصبح تحدياً عاماً شمل الإعجاز البياني والتشريعي والعلمي ....

وقد أشرت لذلك في الفصل التمهيدي بعنوان " تدرج الإعجاز مع مراحل التحدي"[5] ، ومن المعلوم أن مصطلح " الإعجاز العلمي" لم يكن قديماً بقدم التحدي ، وإنما هو حديث النشأة ، لا ننفي بذلك أن يكون القدماء قد أشاروا إليه بعبارات تتضمن معنى الإعجاز العلمي ، وإن لم تكن صريحة في التلفظ به . فعلى سبيل المثال لا الحصر يقول القاضي عياض[6] : " ومنها : (أي من وجوه إعجازه) : جمعه لعلوم ومعارف ، لم تعهد العرب عامة ، ولا محمد صلى الله عليه وسلم قبل نبوته خاصة بمعرفتها ، ولا القيام بها ، ولا يحيط بها أحد من علماء الأمم ، ولا يشتمل عليها كتاب من كتبهم " [7] .

---

(١) سورة يونس ، الآية (٣٨) .

(٢) سورة الطور ، الآية (٣٤) .

(٣) سورة هود ، الآية (١٣) .

(٤) سورة البقرة ، الآية (٢٣) .

(٥) انظر (الفصل التمهيدي) ص ٤٦ و ص ٤٧ .

(٦) هو عياض بن موسى بن عياض ، ويعرف بالقاضي عياض " أبو الفضل " ، محدث حافظ ، مؤرخ ، ناقد ، مفسر ، فقيه ، أصولي ، عالم بالنحو واللغة وكلام العرب وأيامهم وأنسابهم ، شاعر ، خطيب أصله من الأندلس ، ولد سنة ٤٤٦هـ ،وتوفى سنة ٥٤٤هـ / معجم المؤلفين / عمر كحالة ، ج٨/ ص ١٦.

(٧) (نسيم الرياض في شرح شفاء القاضي عياض) أحمد شهاب الدين خفاجي ، المتن ، ج٢/ص٥٨٣ – ٥٨٤ .

وهكذا فإن القاضي عياض يشير بكلامه هذا إلى الإعجاز العلمي ، ويكاد يكون كلامه في ذلك تعريفاً لهذا المصطلح ، إن لم يكن قد نطق به صراحة .

ولهذا فقد لعبت حداثة هذا المصطلح دوراً في عدم العثور على تعريف مشهور تردده الألسن ، وتتناقله صفحات الكتب ، فلم أعثر – في حدود علمي – على مثل ذلك التعريف ، سوى ما ذكره الأستاذ يوسف القرضاوي في كتابه " ثقافة الداعية " ويكاد يكون قوله شرحاً للمراد بالإعجاز العلمي وليس تعريفاً له ، وذلك حيث يقول : "ونعني به ما يتعلق بإشارة القرآن في كثير من آياته إلى حقائق علمية كشف عنها العلم الحديث ، ووافقت أحدث ما انتهى إليه الكشف العلمي في هذا العصر ، مع أنها كانت مجهولة في عصر النبوة وما بعده لقرون عديدة " (١) .

وأمام هذا الواقع بذلت جهدي في وضع تعريف للإعجاز العلمي ، فخرجت بهذا التعريف وهو : " تلك الموافقة بين المكتشفات الحديثة للسنن الإلهية ، وبين ما أشار إليه القرآن ، مع تمام المطابقة بينهما " .

وتلاحظ أني سميت ما توصل إليه العلم الحديث في التعريف مكتشفات ذلك لأنها سنن إلهية كانت خفية عن عقول البشر فتم اكتشافها بسبب التقدم العلمي ، وحصلت تمام الموافقة والمطابقة مع ما أشار إليه القرآن الكريم مما لم يكن معروفاً ولا مكشوفاً إلا بفضل التقدم العلمي الحديث .

ومن تعريفي " التفسير العلمي " و " الإعجاز العلمي " يظهر أن القول بالإعجاز العلمي مبني على أساس وقاعدة التفسير العلمي ، وكل من حاول أن يهدم هذا القاعدة فهو من باب أولى من الرافضين والمعارضين للقول بوجود الإعجاز العلمي في القرآن ، وسيظهر ذلك واضحاً عند استعراض آراء المؤيدين والمعارضين كما سيأتي إن شاء الله تعالى .

---

(١) ثقافة الداعية / ص ١٥ .

المبحث الأول

رأي المعارضين للإعجاز العلمي ومناقشته

إن الحديث عن رأي المعارضين للإعجاز العلمي متشعب ، ولكني حرصت أن أجعله في مجموعتين رئيستين هما : رأيُ المفرطين في المعارضة ، ورأي المعتدلين فيها ، وسنعرض لكل قسم منهما مع بيان أدلتهم ومناقشتها ، وإليك بيان ذلك فيما يلي:

أولاً : رأيُ المفرطين في المعارضة وأدلتهم :

وأقصد بالمفرطين في المعارضة أولئك الذين رأوا إنكار الإعجاز العلمي ، وبعضهم أنكر التفسير العلمي أيضاً باعتباره الأساس للقول بالإعجاز العلمي ، ومن هؤلاء أبو اسحاق الشاطبي ، والدكتور محمد حسين الذهبي ، وشيخ الأزهر محمود شلتوت ، والدكتور شوقي ضيف ، وسنحاول الوقوف من جملة آرائهم على أدلتهم التي ذهبوا إليها مع مناقشتها .

فمن أدلتهم ما يلي :

الدليل الأول :

ما ذهب إليه الشاطبي من أمية الشريعة لأنها نزلت على أمة أمية ولذلك لا دخل لهذه الشريعة بالعلوم ، فأيُّ دعوة تقوم على ذلك فهي باطلة[1] ، وقد استدل على ذلك بأمور :

أ) آيات وأحاديث دالة على أمية الرسول صلى الله عليه وسلم وأمته منها قوله تعالى : **﴿ هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الأُمِّيِّينَ رَسُولاً مِنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ**

(١) انظر (الموافقات في أصول الشريعة) ، ج٢/٦٩ .

وَالْحِكْمَةَ وَإِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ ﴾[1] ، وقوله : **﴿ وَمَا كُنْتَ تَتْلُو مِنْ قَبْلِهِ مِنْ كِتَابٍ وَلَا تَخُطُّهُ بِيَمِينِكَ إِذًا لَارْتَابَ الْمُبْطِلُونَ ﴾**[2]

ب) إن الشريعة التي بُعث بها النبي صلى الله عليه وسلم إلى العرب خصوصاً وإلى من سواهم عموماً إمّا أن تكون على نسبة ما عليه العرب من الأمية ، فتكون شريعة أمية أو لا تكون كذلك وعندها لا تنزل من أنفسهم منزلة ما تعهد ، وهذا على خلاف ما وضع الأمر فيها ، إذاً فلا بد أن تكون على ما يعهدون والعرب لا تعهد إلا ما وصفها الله من الأمية ، فالشريعة أمية [3] .

ج – لو لم يكن القرآن على ما يعهدون لم يكن عندهم معجزاً ، ولخرجوا عن مقتضى الإعجاز بقولهم : هذا على غير ما عهدنا إذ ليس لنا عهدٌ بمثل هذا الكلام ، فكلامنا معروفٌ مفهومٌ ، وهذا ليس بمفهوم ولا معروف فلم تقم الحجة عليهم به ، ولكنهم أذعنوا لظهور الحجة ، فدل ذلك على علمهم به وعهدهم بمثله ، وهم لا يعهدون إلا الأمية [4].

وللرد على هذا الدليل أقولُ :

بالنسبة لما استدل به من أمية الرسول صلى الله عليه وسلم وأمته على أمية الشريعة فليس هناك علاقة أبداً بين الدليل وما استدل به عليه ، فالقرآن ليس خاصاً بالعرب حتى نقصره على أميتهم ، بل هو لهم ولغيرهم من الأمم المتعلمة إلى قيام الساعة ، أضف إلى ذلك " أن أميّة نبيها معجزة لهذه الرسالة ، ومعجزة لهذا القرآن، وأمية العرب واقع تاريخي تحدث عنه النبي صلى الله عليه وسلم في صدد بيان حكم شرعي يتعلق بعامة من كان في عصره مؤمناً برسالته وهم جمهور العرب الذين

---

(١) سورة الجمعة ، الآية (٢) .

(٢) سورة العنكبوت ، الآية (٤٨) .

(٣) انظر الموافقات في أصول الشريعة) الشاطبي / ج٢ / ص٧٠-٧١.

(٤) انظر نفس المرجع ، ج٢/ص٧٠ .

كانوا أميين لا يقرأون ولا يحسبون ،ولم يكن الإسلام قد امتد إلى الأمم التي تقرأ وتحسب ، وهي بلا شك لو وصلت إليها الدعوة لم يحكم عليها بالأمية التي هي واقع العرب في وقت نزول الشريعة"(١).

أما بالنسبة للدليل العقلي الأول الذي استدل به الشاطبي على أمية الشريعة فبمناقشته ينقلب هذا الدليل عليه لا له : ذلك أن الشريعة التي بعث بها النبي صلى الله عليه وسلم إلى الناس كافة وفيهم العرب الأميون إما أن تكون على نسبة ما عليه كافة الناس منذ البعثة إلى قيام الساعة من حيث العلم والمعرفة فتكون بذلك شريعة علمية أي منسوبة إلى العلم والمعرفة أو لا تكون كذلك ، وبهذا تكون الشريعة على غير ما تعهد الإنسانية وما تعرف من واقعها وتاريخها العلمي وهذا خلاف ما جاءت به الشريعة ، ووضع عليه أمرها . فلا بد أن تكون إذا على ما تعهد الإنسانية وتعرف من واقعها وتاريخها العلمي ، فالشريعة إذا علمية لا تقف أبداً دون البحث العلمي ، وهي بهذا تنافي الأمية في طبيعتها وحقيقتها (٢) .

وهكذا يعكس الدليل العقلي الثاني على الشاطبي ، فلقائل أن يقول : لو لم يكن القرآن في هدايته العلمية الشاملة يقوم بحاجة الإنسانية الفكرية والاجتماعية والعامة على امتداد رسالته على الأرض على ما تعهد هذه الإنسانية من العلم والمعرفة لم يكن عندهم معجزاً ، ولكان كثير من الأمم والشعوب يخرجون عن مقتضى التعجيز بقولهم: هذا القرآن على غير ما عهدنا ونعهد من المعاني الفكرية والأفكار العلمية ، فمعانيه وأفكاره قاصرة على ما يعهد الأميون ، فلا تلزمنا به الحجة ، ومعلوم أن القرآن

---

(١) (القرآن العظيم هدايته وإعجازه في أقوال المفسرين) الدكتور محمد الصادق عرجون / ص٢٦٠-٢٦٢.

(٢) انظر (نفس المرجع) الدكتور محمد الصادق عرجون / ص ٢٦١ -٢٦٢.

للإنسانية كلها إلى قيام الساعة ، ولابد أن تلزمهم الحجة به ، فلا بد أن يكون إذا على ما تعهد من العلم والمعرفة ، وبهذا تكون الشريعة علمية ، وتتنافي مع كونها أمية [١] .

الدليل الثاني :

وقد ذهب الشاطبي إلى دليل آخر في إنكاره للتفسير العلمي وما يتبعه من إعجاز فقال : " إن السلف الصالح – من الصحابة والتابعين ومن يليهم – كانوا أعرف بالقرآن وبعلومه وما أودع فيه ، ولم يبلغنا أنه تكلم أحد في شيء من هذا المدعى سوى ما كان معروفا عندهم فقط [٢] ، ولو كان عندهم في ذلك خوض ونظر لبلغنا منه ما يدلنا على أصل المسألة إلا أن ذلك لم يكن فدل على أنه غير موجود عندهم ، وذلك دليل على أن القرآن لم يقصد فيه تقرير لشيء مما زعموا " [٣] .

الرد على هذا الدليل :

لقد رد ابن عاشور [٤] في المقدمة الرابعة من تفسيره على ما ذهب إليه الشاطبي وذلك في ست نقاط ، سنقتصر على ذكر ثلاث منها ، وهي ما كانت متعلقة بالرد على دليل الشاطبي الثاني ، وهي :

١) إن ما بناه عليه الشاطبي يقتضي أن القرآن لم يقصد منه انتقال العرب من حال إلى حال ، وهذا باطل .

---

(١) انظر (القرآن العظيم هدايته وإعجازه في أقوال المفسرين) د. محمد الصادق عرجون ، ص٢٦٣.

(٢) يقصد بها علم النجوم والتاريخ والعيافة والزجر ،وعلم الطب ،وفنون البلاغة ،وضرب الأمثال .

(٣) (الموافقات في أصول الشريعة) أبو إسحاق الشاطبي / ج٢ ، ص ٧٩ –٨٠.

(٤) هو محمد الطاهر بن عاشور ، رئيس المفتين المالكيين بتونس ، وشيخ جامع الزيتونة وفروعه، عين عام ١٩٣٢ شيخا للإسلام مالكيا ، ولد سنة ١٢٩٦هـ ، وتوفي سنة ١٣٩٣هـ . (الأعلام للزركلي) ، ج٦/ص ١٧٤ .

٢) إن مقدار أفهام المخاطبين به ابتداءً لا يقضي إلا أن يكون المعنى الأصلي مفهوماً لديهم ، فأما ما زاد على المعاني الأساسية فقد يتهيأ لفهمه أقوام وتحجب عنه أقوام ، ورُبَّ حامل فقهٍ إلى من هو أفقه منه .

٣) إن عدم تكلم السلف عليها إن كان فيما ليس راجعاً إلى مقاصده فنحن نسلم بذلك، وإن كان فيما يرجع إليها ، فلا نسلم وقوفهم عند ظواهر الآيات ، بل فصلوا في علوم عُنوا بها ، ولا يمنعنا ذلك أن نقفي على آثارهم في علوم أخرى راجعة لخدمة المقاصد القرآنية أو لبيان سعة العلوم الإسلامية [١] .

وقد أشار الأستاذ محمد رجب البيومي إلى رأي الشاطبي راداً عليه ، وذلك حيث يقول : " أما من يقول أنه نزل في أمة أمية لا تعرف النظر العلمي فنحن نرد عليه بأنه لم ينزل لأمة واحدة أو قرن واحد ، بل نزل لجميع الأمم في شتى القرون المتعاقبة ، ليأخذ كل جيل من هديه ما يناسب استعداده الذهني والنفسي ، ولن يضير النهر المترقرق أن يرتوي منه غلام ناشئ أو شاب مكتمل " [٢] .

الدليل الثالث :

ما ذهب إليه الدكتور الذهبي من تدرج مفهوم الألفاظ من عصر إلى عصر ، بعضه عرفته العرب وقت نزول القرآن ، وبعضه لم تعرفه لأنه حادث باصطلاح أرباب العلوم والفنون ، فلا يعقل أن نتوسع توسعاً كبيراً في فهم ألفاظ القرآن وجعلها تدل على معان جدت باصطلاح حادث ،وهل يعقل أن الله إنما أراد بهذه الألفاظ القرآنية هذه المعاني التي حدثت بعد نزول القرآن بأجيالٍ ؟ [٣] .

---

(١) انظر (التحرير والتنوير) / ج ١ /ص ٤٤.

(٢) مجلة الأزهر – لشهر جمادي الأولى سنة ١٣٨٠ ، المجلد (٣٢) ص ٤٦٣ – ٤٦٤ .

(٣) انظر (التفسير والمفسرون) الدكتور محمد حسين الذهبي / ج ٢ ،ص ٤٩١ .

وللرد على هذا الدليل أقول :

صحيح أن الألفاظ قد تدرجت معانيها مع امتداد الزمن ، فأصبح يندرج تحت اللفظة الواحدة عدة معاني ، وكلها داخلة في اللفظ بعد أن لم تكن معروفة في زمن نزول القرآن ، وقد تفهم نفس اللفظة بمفاهيم متعددة حسب ثقافة الأزمان المتتالية ،وهذا دليل على صلاحية الرسالة لكل الأزمان إلى قيام الساعة ، بما في هذه الأزمان من تجدد في معاني الألفاظ ، فعلى سبيل المثال قوله تعالى ﴿ ...إِنَّمَا الْخَمْرُ وَالْمَيْسِرُ...﴾[1].

فكلمة الخمر في زمن نزول القرآن كانت تعنى نبيذ الشعير والتمر ، ولكن هذه اللفظة قد أصبحت تعني أكثر من هذا المعنى على امتداد الزمن ، فهي تشمل النبيذ المستخلص من العنب وقصب السكر والبطيخ ... وغير ذلك ، فلو قصرنا معنى الخمر على ما كانت تعهده العرب في عصر نزول القرآن لنفينا بذلك اسم الخمر عن ما يصنع من مسكرات مستحدثة من غير الشعير والتمر . وكذلك لفظة القوة في قوله تعالى : ﴿ وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ ﴾[2].

فكانت هذه القوة تعنى ما كان معهوداً عندهم من أدوات الحرب ووسائله ثم تطورت هذه اللفظة لتعني كل ما وصلت إليه الإنسانية في العصر الحاضر من طائرات وصواريخ وذرة ، ولو قصرنا معنى القوة على ما كان معروفاً من معناها في زمن نزول القرآن لما جاز لنا أن نتعامل مع الطائرات والسفن الحربية الحديثة وكل وسائل الحرب المتطورة وهذا ما لا يقرنا عليه عاقل .

وإليك مثالاً آخر يبين كيف تفهم اللفظة الواحدة بمفاهيم متعددة على مدى العصور ، وذلك في قوله تعالى : ﴿ أَلَمْ تَرَوْا كَيْفَ خَلَقَ اللَّهُ سَبْعَ سَمَوَاتٍ طِبَاقاً .

---

(١) سورة المائدة ، الآية (٩٠) .

(٢) سورة الأنفال ، الآية (٦٠) .

وَجَعَلَ الْقَمَرَ فِيهِنَّ نُوراً وَجَعَلَ الشَّمْسَ سِرَاجاً ﴾ [١] ، فهذه الآية سمعها العرب فبعضهم يفهم من نسقها أن القمر نور والشمس نور ، ولكن اختلف اللفظان ليكون في ذلك تنويع بليغ ، ويعلو آخر عن هذه المنزلة ، فيفهم أن القمر أضعف نوراً من الشمس، لأن هذه عبر عنها بالسراج ولفظ السراج يحضر في النفس شعاعه المتقد فكأنه نور منبعث من نار ، ويدقق بعضهم فيرى أن العرض هو التعبير عن الشمس بأنها تجمع إلى النور الحرارة ، ولذلك فائدة في الحياة ، ولهذه فائدة أخرى ، والنور نفسه لا تكاد تحس فيه الحرارة ، بل إنما تحس في السرج ووهجه ، وكأن المفسرين لم يتعدوا المرحلة الثانية ، ولم يفطنوا حتى ولا للثالثة .

ثم يفهم أهل العلم الحديث مع كل هذه الوجوه أن المراد من الآية إثبات ما كشفته هذه العلوم ، من أن القمر جرم مظلم ، وإنما يضيء بما ينعكس عليه من نور الشمس التي هي " سراجه " إذ النور لا يكون من ذات نفسه ابتداء ، ولا بد له من مصدر يبعثه ، فذكر السراج بعد النور دليل على أن هذا مصدره ذاك " [٢] .

يقول الأستاذ أحمد الشرباصي : " ومن أسرار القرآن الكريم أنه يستعمل الكلمة الجامعة الحاوية لكثير من المعاني الصالحة لعديد من التفسيرات ، مما لا يناقض بعضه بعضاً ، بل مما ترتضيه العقول ، وتطمئن به القلوب ، وتصلح به أحوال الذين أنزل إليهم في مختلف العصور والدهور والبيئات والمجتمعات ، وأنت حين تتابع هذا الطريق ، وتستحضر في نفسك طائفة من هذه الكلمات الجامعة الشاملة المحيطة التي تفتح أمام سامعها أو قارئها آفاقاً عريضة وسيعة ، تستعجب عجباً لا ينتهي " [٣] .

---

(١) سورة نوح ، الآيتان (١٥ ، ١٦) .
(٢) إعجاز القرآن والبلاغة النبوية / مصطفى صادق الرافعي / ص ٢٠٧ .
(٣) مجلة الأزهر _ لشهر صفر سنة ١٣٦٨هـ مجلد رقم (٢٠) / ص ١٦٤.

وهكذا لو قصرنا معاني ألفاظ القرآن على ما كانت معروفة في عصر نزول القرآن لما صلح لغير زمنه ، ولما حمل أكثر من معنى يتبادر إلى الذهن بتكرار تلاوته، ولأصبح يخلق على كثرة الرد بوقوفه عند حد لا يتجاوزه .

الدليل الرابع :

إذا كانت البلاغة هي مطابقة الكلام لمقتضى الحال فإن ما يقال بأن القرآن متضمن لهذه العلوم والمعاني المستحدثة التي لم يفهمها العرب سيوقعنا في إحدى الورطتين ، إما خدش بلاغة القرآن لأنه خاطب العرب بما لا يفهمون وإما الذهاب بفطانة العرب لأنهم لم يدركوا مراد الله من خطابه وإلا فلم لم تظهر حضارتهم العلمية من لدن نزول القرآن [١] .

وللرد على هذا الدليل أقول :

إن عالمية القرآن واستمراريته إلى قيام الساعة يقتضي أن يفهم في كل عصر بما يتلاءم مع أفهام وتصورات ومعارف ذلك العصر ، وهذا هو كمال البلاغة التي اتصف بها القرآن : " وهي مطابقة كلامه لمقتضى الحال لكل عصر من العصور " .

وليس في ذلك ضياع لفطانة العرب ، فالله سبحانه وتعالى لم يكلفهم ولم يتعبدهم من القرآن إلا بما تدركه أفهامهم وتطيقه قدراتهم ،ومعلوم أن طاقات البشر تتفاوت وجهودهم تختلف ، خاصة إذا اختلفت العصور وتنوعت المعارف والثقافات ، فكل زمن قد يطيق أهله ما لا يطيقه غيرهم من أهل الأزمان الأخرى ، والله سبحانه وتعالى بصير بعباده ، عليم بطاقاتهم ، مطلع على جهودهم ، ولذلك يفتح لهم من باب الفهم للقرآن ما يتلاءم مع طاقاتهم وجهودهم ويصبحون مكلفين بذلك شرعا ، دون من سبقهم ممن هم أقل منهم جهدا وطاقة ، معرفة وثقافة ولعل من يأتي بعدهم من أهل العصور التالية يكلفون بأكثر مما كلف به هؤلاء أو أقل نظرا لما لديهم من علوم ومعارف ، وهكذا فقد جعل الله كتابه نبعا فياضا لا ينتهي خيره ولا يجف عطاؤه

---

(١) انظر (التفسير والمفسرون) الدكتور محمد حسين الذهبي / ج٢ ، ص ٤٩١ – ٤٩٢ .

يصلح لكل زمان ولكل عصر . ولو قصرنا معاني هذا القرآن على ما تفطنت له عقول العرب يوم نزوله لأفقدنا القرآن صلاحيته لكل الأزمان والعصور .

إنا لا نتهم بذلك فطنة العرب زمن نزول القرآن ، فهم أصحاب عقول عبقرية تستوعب ما يتلاءم مع ثقافتهم العلمية يومها ، ولكن لا يجوز أن نحجر على العقول فلا تفهم إلا ما فهمته عقول العرب وأدركته فطنتهم ، إن عقولهم يومها لم تكن على علم بكثير من الاختراعات الحديثة نظراً لتقدم العلوم والتكنولوجيا .

الدليل الخامس :

إن النظرة العلمية للقرآن وجعله مصدراً لجوامع الطب وضوابط الفلك ونظريات الهندسة وقوانين الكيمياء إلى غير ذلك من العلوم المختلفة يوقع الشك في عقائد المسلمين نحو القرآن الكريم ، وذلك لأن قواعد العلوم ونظرياته لا تعرف الثبات ولا القرار ولا الرأي الأخير ، فَرُبَّ نظرية علمية قال بها عالم اليوم ثم رجع عنها بعد زمن قليل أو كثير لأنه ظهر له خطؤها وهذا يقتضي أن يتقلب القرآن بتقلب المسائل العلمية [1] .

وللرد على هذا الدليل أقول : إن هذه الشبهة هي من أكبر الشبه التي اعتمد عليها في نفي التفسير العلمي وإعجازه القرآني ولهذا فإن مناقشتها والرد عليها يحتاج إلى شيء من التوسع والبيان ، وأول ما ندفع به هذه الشبهة أنَّا لا نقول أصلاً بأن القرآن كتاب فلسفة أو طب أو هندسة ، ولا هو مصدر لجزئيات المسائل الفلكية والهندسية والطبية والكيميائية وغيرها من العلوم ، ولكن نقول إن هناك إشارة لأصول هذه العلوم ، بل هناك آيات تنص على حقائق من هذه العلوم لم تكن معروفة في عصر نزول القرآن .

---

(١) انظر (التفسير والمفسرون) الدكتور محمد حسين الذهبي / ج٢ ، ص ٤٩٢-٤٩٣ و (تفسير القرآن الكريم) – الأجزاء العشرة الأولى) الشيخ محمود شلتوت / ص ١٣. و (مجلة الرسالة – عدد (٤٠٨) ص ٥١٨/ مقال للشيخ محمود شلتوت .

ثم لا نقول بأنه يجب التوفيق بين كل ما يظهر من نظريات علمية وبين القرآن فكم من نظرية تغيرت وتبدلت ، وأثبت العلم عدم صحتها .

ولا نقول بأن ما من نظرية تظهر إلا ولها إشارة في القرآن ، بل هناك نظريات كثيرة تظهر وليس لها إشارة في القرآن ، ولكن فيه إشارة إلى أصل العلم المنسوبة إليه تلك النظرية ، فإن حدث أن توافق ظهور نظرية مع نص آية قرآنية تشير إليها وبينهما نوع اتفاق فلا بأس بالاستئناس بهذه النظرية لا على سبيل القطع والجزم بأن مراد الله هو هذه النظرية لاحتمال أن تصبح النظرية حقيقة علمية أو أن يأتي عليها عصر يثبت فيه خلافها ، فإن تصبح حقيقة فذلك إعجاز علمي في القرآن هدى الله عباده للكشف عنه ، وإن ثبت خلاف هذه النظرية فلا يضير القرآن شيء ، فهو أصل وكل العلوم توابع .

يقول الدكتور عبد الغني عبود : " إن الخلاف بين القرآن الكريم وحقائقه الكونية وبين العلم الحديث خلاف يشرف به القرآن ، ولا يقلل من قدره بأي مقياس من المقاييس يمكن أن يقاس به التشريف ، لأن فساد منهج العلم فيما يتوصل إليه من حقائق يخالف بها القرآن يقلل من قيمة الحقائق التي يقول بها العلم ، لا من قيمة الحقائق التي يقول بها القرآن " (١) .

مع العلم " بأن تفسير آية في هذا العصر على قواعد علم من العلوم بحيث يبدو انطباع مدلول الآية تاماً مع مدلول النظرية العلمية ، ليس معناه أن هذا هو آخر ما في طوق الآية الكريمة من طاقة المضي مع التدليل العلمي ، بل هي تظل أبداً بعد هذا التفسير — كما ثبت في الماضي — محتفظة في طياتها بمسافة كبيرة للمستقبل ، حتى

(١) الإسلام والكون / ص ٩٧.

إذا ما جاء هذا المستقبل بمكتشفاته وآياته ظهرت في هذه الآية لذخائر المستقبل مسلفة جديدة ، وآية جديدة " [١] .

" وصحيح أن العلوم تتغير بتغير الأزمان والمعارف ، لكن هذا ليس طعناً في القرآن بل هو إعجاز له ذلك " أننا نرى أسلوبه من اللين والمطاوعة على التقليب والمرونة في التأويل ، بحيث لا يصادم الآراء الكثيرة المتقابلة التي تخرج بها طبائع العصور المختلفة ، فهو يفسر في كل عصر بنقص من المعنى ، وزيادة فيه ، واختلاف وتمحيص ، وقد فهمه عرب الجاهلية الذين لم يكن لهم إلا الفطرة ، وفهمه كذلك من جاء بعدهم من الفلاسفة ،وأهل العلوم ، وفهمه زعماء الفرق المختلفة على ضروب من التأويل ، وأثبتت العلوم الحديثة كثيراً من حقائقه التي كانت مغيبة وفي علم الله ما يكون من بعد " [٢].

وقد تتطور النظرية دون أن تتغير خاصة في العصر الحديث نظراً لتطور الأجهزة والآلات الدقيقة ، وهذا لا يلغي القديم ما دام يقوم على أسسٍ علمية صحيحة . يقول الدكتور منصور حسب النبي [٣] :

" وإني لأتعجب من المهاجمين للتفسير العلمي حالياً بدعوى أن العلم يتغير ، وهذه مغالطة لأن العلم الصحيح لا يتغير لأنه نتيجة ثابتة ثبوتاً قطعياً .

ويمكن القول بأن العلم الآن في نهاية القرن العشرين يتطور دون أن يتغير في حقائقه الأساسية الثابتة "[٤].

---

(١) مقدمة بقلم مجلة الأنصار لكتاب (النظريات العلمية في القرآن) الدكتور حسين الهراوي / ص٦ .

(٢) إعجاز القرآن والبلاغة النبوية / مصطفي صادق الرافعي / ص ٢٠٦ –٢٠٧ .

(٣) أستاذ ورئيس قسم الطبيعة بكلية البنات بجامعة عين شمس .

(٤) (الكون والإعجاز العلمي القرآن) ص ٨.

وبهذا فإن القرآن لا يتقلب بتقلب النظريات ،وإنما هو ثـــابت ثبــوت الجبــال راسيات ، ولكن طبيعة ألفاظه وآياته تحتمل كل العصور ما لم تشذَّ عن الصواب إلى خرافة .

فيجد فيه أهل كل عصر ما يصلح أن يكون دليلاً على إعجازه ، ولو وقف عند من لا يتجاوزه إلى غيره لكن ذلك طعناً في القرآن من حيث صلاحية اســـتمراريته ى قيام الساعة .

وقد يستغرب البعض أني جعلت النظرية كالحقيقة في الاستئناس بهما وأقـــول بس غريباً ذلك ، فكم من حقيقة عليمة قد طرأ عليها تغير وتطور وقد تعرضنا لذلــك ي مبحث الحقيقة العلمية في بداية هذا الفصل (١) .

فعلى سبيل المثال القول بكروية الأرض مرت عليها فترة من الزمن على أنــها نقيقة علمية ، إلا أن القول بذلك قد طرأ عليه شيء من التطور حيث أثبتــت العلــوم حديثة أنها بيضاوية أو كمثرية في شكلها وهكذا قد تتغير الحقائق وتتطـــور بتقــدم علوم على مر الزمان.

أما النظريات العلمية فما الذي يدرينا أنها ستصبح حقيقة علمية يوماً ما ، أم أن علم سيثبت خلافها ، أو يأتي من النظريات ما يعممها .وعلى هذا الأساس فالحقيقـــة النظرية في الاستئناس سواء ، فهو فهم لكتاب الله حسب مدركات العصر ، قد يصــل ى حد الجزم في عصور أخرى وقد يثبت خلافه ويستأنس بسواه . وهكـــذا كـــانت سلاحية القرآن لكل الأزمان .

---

١) انظر ص ١١١ .

الدليل السادس :

إن القرآن فوق كل علم ، ولم يكن قد أنزله الله ليتحدث فيه إلى النـــاس عــن نظريات العلوم ودقائق الفنون وأنواع المعارف ومن الخطأ أن يتخذ ذريعة لاستنباط أو إثبات هذه النظريات العلمية لأن ذلك لا يتصل برسالته ولا بدعوته[1] .

وللرد على هذا الدليل أقول :

صحيح أن القرآن فوق كل علم ، لكن ليس معنى ذلك أنه خال مـــن العلـــم وصحيح أن الله لم ينزله ليتحدث فيه إلى الناس عن نظريات العلوم وأنواع المعارف ، ولم يقل أحد بذلك ، إلا أنه من المسلم به عند أغلب من يعتد برأيهم أن فـــي القـــرآن إشارات وحقائق علمية لا يجوز أن نغمض أعيننا أمامها ، وإن كـــان هنـــاك خـــلاف سنعرض له متسائلين هل تعتبر هذه الإشارات إعجازا علميا يكشـــفه العلـــم الحديـــث عصرا بعد عصر وجيلا بعد جيل ، أم أن هذه الإشارات والحقائق هي دليل فقط علـــى صدق الوحي والنبوة ، سيظهر لنا أن هذا الخلاف لفظي شكلي فقط . وصحيح أنه من الخطأ أن يتخذ القرآن ذريعة لإثبات واســـتنباط النظريـــات العلميـــة إلا أن القـــائلين بالإعجاز العلمي لا يفعلون ذلك ولا يقرون هذا الأسلوب .

وهكذا فإن الشبه في غير مكانها ، و المواجهة مع غير معتد .

الدليل السابع :

إن النظرة العلمية للقرآن تحمل أصحابها والمغرمين بها على تـــأويل القـــرآن تأويلا متكلفا يتنافى مع الإعجاز ، والقرآن غني عن الاعتزاز بمثل هذا التكلف الـــذي قد يوشك أن يخرج به عن هدفه الإنساني الاجتماعي في إصلاح الحياة ورياضة النفس والرجوع بها إلى الله .[2].

---

(١) انظر (تفسير القرآن الكريم – الأجزاء العشرة الأولى) الشيخ محمـــود شـــلتوت / ص١٣ . (سورة الرحمن وسور قصار) عرض ودراسة الدكتور شوقي ضيف / ص ١٠.

(٢) انظر (تفسير القرآن الكريم – الأجزاء العشرة الأولى) الشيخ محمود شـــلتوت / ص ١٣. و التفسير والمفسرون) الدكتور محمد حسين الذهبي / ج ٢، ٤٩٣.

وللرد على هذا الدليل أقول :

إن قصد بالتكلف لي عنق الآية أو الحقيقة العلمية ليتم التوفيق بينهما فلا خلاف في رفض هذا المنهج ، فهو أمر مشين لا نقبله ولا نأخذ به ، إذ إن فيه تحميلا لآيات القرآن ما لا تحتمل .

وإن أريد أن الاستئناس بالعلم الحديث في فهم الآيات القرآنية وبيان الإعجاز العلمي للقرآن بما فيه من إشارات وحقائق علمية أثبتها العلم الحديث هو التكلف الغني عنه القرآن والذي يخرجه عن هدفه ، فهنا الخلاف ، ذلك أنه " إذا كانت الحقيقة العلمية تتفق تماما مع نص الآية القرآنية ، فما الذي يمنع عقلا وشرعا من تفسير الآية طبقا لتلك الحقيقة العلمية القاطعة ، ولا سيما أن العصر الذي نعيش فيه الآن عصر مادي لا يؤمن بغير لغة العلم وسيلة للتخاطب فضلا عن الإقناع ، ولا سيما أيضا أن هذه اللغة العلمية من اللغات التي يخاطب بها غير المسلمين إذا أردنا أن نصدع بما أمرنا من نشر الدعوة الإسلامية وتبليغها إلى البشر أجمعين ، كما أن الإعجاز العلمي للقرآن لا يجرؤ أي مكابر أو ملحد أن يجد موضعا للتشكيك فيه ، ولذلك فإن علينا نحن – المشتغلين – بالعلم أن تبرز الإعجاز العلمي للقرآن تيسيرا للدعوة إلى الإسلام في هذا العصر " (١) .

أضف إلى ذلك أن هدف الإعجاز أيا كان هذا الإعجاز هو الإيمان المؤدي لصلاح الحياة ورياضة النفس والرجوع بها إلى الله تعالى ، ذلك أن القرآن هو كتاب هداية وإعجاز معا ، وكل منهما يتصل بالآخر اتصالا وثيقا ، ولذلك لا نعتبر هذا تكلفا ولا خروجا عن هدف القرآن ، لأن من أهدافه إثبات إعجازه ، أيا كان هذا الإعجاز ، بما فيه الإعجاز العلمي .

وهكذا فقد استعرضت هذه المجموعة من أدلة المفرطين في إنكار الإعجاز العلمي ، وقد اجتهدت في مناقشتها والرد عليها ، فإن أصبت فبفضل الله وتوفيقه ،

---

(١) الكون والإعجاز العلمي للقرآن / الدكتور منصور محمد حسب النبي / ص٨.

وإن كان الآخر فمن نفسي ومن الشيطان والله ورسوله منه براء . واعتقادي أنه مهما تنوعت الأدلة فهي لا تخرج عما عرضته ، وتعتبر مناقشتي لهذه الأدلة هي مناقشة لغيرها مما قاربها وسار على نهجها .

مغالطة وردها :

تبين لي أن كلا من الشيخ أبي حيان الأندلسي وشيخ لأزهر محمد مصطفى المراغي والسيد محمد رشيد رضا ، قد غالط بعض العلماء في نسبة القول لهم بأنهم من منكري التفسير العلمي وإعجازه القرآني .

والواقع أنه بعد النظر والتحقيق تبين لي أن أكثرهم يذهب إلى اعتبار التفسير العلمي وإعجازه القرآني .

وبهذه المناسبة أود إماطة اللثام عن الشبهة التي طرأت على آرائهم وأحاول مناقشتها والرد عليها للوقوف على وجه الحق فيها ، وانتصارا لمن غبنوا فيما أثر عنهم من القول :

١. **أبو حيان الأندلسي** (١) :

لقد اعتبره البعض ممن ينكرون التفسير العلمي ، وأنه يلوم على من سار في هذا الاتجاه، ولذلك نجد الدكتور عبد المجيد المحتسب يعنون في كتابه (اتجاهات التفسير في العصر الراهن) بقوله : " إنكار أبي حيان الأندلسي للتفسير العلمي " ويقول فيه :

" نجد أبا حيان الأندلسي في تضاعيف تفسيره يحمل على الفخر الرازي لنزعته العلمية في تفسيره ، ويرفع عقيرته في وجه من ينحو هذا الاتجاه الذي

---

(١) هو محمد بن يوسف بن علي الغرناطي الأندلسي أبو حيان ، من كبار العلماء بالعربية والتفسير والحديث والتراجم واللغات ، ولد في إحدى جهات غرناطة سنة ٦٥٤هـ وتوفي سنة ٧٤٥هـ ، له عدة تصانيف / الأعلام – للزركلي / ج٧ ، ص ١٥٢.

يسميه فضولاً وتخليطاً وتخبيطاً على شاكلة قوله في تفسير قول الله تعالى : ﴿مَا نَنسَخْ مِنْ آيَةٍ أَوْ نُنسِهَا نَأْتِ بِخَيْرٍ مِنْهَا أَوْ مِثْلِهَا﴾ [1]"[2] .

و بالرجوع إلى ما ذكره أبو حيان عند تفسيره هذه الآية[3] نجد الأمر خلاف ما عنون به الدكتور المحتسب .

فأبو حيان لا ينكر التفسير العلمي ذاته وإنما ينكر أن تذكر مسائل العلوم مفصلةً في علم التفسير إذ الأصل أن تؤخذ مسلمةً وهذا صحيح فقواعد العلوم تؤخذ في علم التفسير مسلمة ، لأنه ليس هذا هو مكان التفصيل فيها والخوض في مسائلها ، ونحن مع الشيخ في هذا ، مع العلم بأن هذا القول لا يعنى ألا نشير إلى ما يتضمنه كتاب الله من الإشارات والقواعد العلمية مسلمة دون تفصيل في مسائلها ، فمن فهم خلاف ذلك فليعد النظر فيما ذكره الشيخ، وعليه ألا يحمل الكلام أكثر مما يحتمل .

ولم ينكر على الفخر الرازى أنه أخذ بالتفسير العلمي ، وإنما ينكر عليه ذلك الاستطراد الطويل الكثير ، ونحن معه أيضاً في عدم جواز الاستطراد من موضوع إلى موضوع ، ومن علم إلى علم ، ومن فن إلى فن ، بحيث يكون ما ينتهي إليه المفسر في نهاية المطاف لا يمت بصلةٍ للآية التي انطلق منها ، وقد ضرب مثالاً على هذا الاستطراد بذلك النحوي الذي أراد أن يؤلف كتاباً في النحو ، فبدأ كلامه في الألف المنقلبة ، ثم استطرد في ذلك من موضوع إلى موضوع ، ومن علم إلى علم ، إلى أن انتهى به المطاف إلى الجنة والنار ، وهل للجنة والنار علاقة من قريب أو بعيد بالألف المنقلبة !

إن مثل هذا الاستطراد هو ما نهى عنه الشيخ واعتبره من التخليط والتخبيط ونحن مع الشيخ نلوم من فعل ذلك الاستطراد .

---

(١) سورة البقرة ، الآية (١٠٦) .

(٢) (اتجاهات التفسير في العصر الراهن) / ص ٢٩٥.

(٣) انظر (تفسير البحر المحيط) / ج١/ ص ٣٤١ – ٣٤٢ .

وإنكار الشيخ لهذا الاستطراد لا يفهم منه أيضا عدم الوقوف مع الآيات وما تشير إليه من حقائق علمية يكشف عنها العلم الحديث عصرا بعد عصر ، بما يحقق الإعجاز في كل عصر ، ويعتبر دليلا صادقا قاطعا على النبوة والوحي ، ومن فهم غير ذلك فليرجع البصر كرتين ليتبين مقصود الشيخ وما أراد .

وأقل ما يقال بهذه المناسبة : أن ما ذكره أبو حيان في هذا المقام ليس فيه ما ينفي التفسير العلمي ، وليس فيه ما يثبته ، إذ إن حديثه كان منصبا على لوم الذين أسرفوا واستطردوا في ذكر المباحث الجزئية وجعلها في كتب التفسير دون التعرض لإثبات التفسير العلمي أو نفيه .

٢. شيخ الأزهر محمد مصطفي المراغي :

يعد الشيخ المراغي معتدلا في موقفه من الإعجاز العلمي ، وإن حرص بعض العلماء على اعتباره من المنكرين اعتمادا على ما ذكره في مقدمة كتاب (الإسلام والطب الحديث) لعبد العزيز إسماعيل.

يقول الدكتور محمد حسين الذهبي : " فهذا شيخنا العلامة الأستاذ الأكبر الشيخ محمد مصطفي المراغي – رحمه الله رحمة واسعة – نجده في تقريظه لكتاب (الإسلام والطب الحديث) لا يرضى عن هذا المسلك في التفسير ، رغم أنه امتدح الكتاب ، وأشاد بمجهود مؤلفه ، وذلك حيث يقول : (لست أريد من هذا – يعني ثناءه على الكتاب ومؤلفه – أن أقول إن الكتاب الكريم قد اشتمل على جميع العلوم جملة وتفصيلا بالأسلوب التعليمي المعروف ،وإنما أريد أن أقول إنه أتى بأصول عامة لكل ما يهم الإنسان معرفته به[١] ، وليبلغ به درجة الكمال جسدا وروحا ، وترك المجال مفتوحا لأهل الذكر من المشتغلين بالعلوم المختلفة ، ليبينوا [٢] للناس جزئياتها بقدر ما أوتوا

---

(١) بعد مراجعة ذلك التقريظ ، وجدت أن كلمة قد سقطت من كتاب الدكتور الذهبي ، وذلك في قوله (لكل ما يهم الإنسان معرفته والعمل به) وبهذا يتضح المعنى وتستقيم العبارة .

(٢) وجدتها عند الذهبي " لبينوا " والصحيح ما أثبته ، وهو خطأ مطبعي بلا شك .

منها في الزمان الذي هم عائشون فيه) ، وفي موضع آخر يقول : (يجب أن لا نجـو الآية إلى العلوم كي نفسرها ، ولا العلوم إلى الآية ،ولكن إن اتفق ظاهر الآيـــة مـع حقيقة علمية ثابتة فسرناها بها ") [1]

وللرد عليه أقول :

ترى لم لم يذكر الدكتور الذهبي ما ذكره المراغي كاملا فـــي تقريظــه ! إن الحكم الدقيق يقتضي ألا نسقط شيئا مما يتعلق بصلب الموضوع ، ولقد سبق ما ذكـره الذهبي كلام للشيخ المراغي ، وذلك حيث يقول في بداية تقريظه :

" فأعجبني منه ما توخاه من التوفيق بين معاني بعض الآيات القرآنية الكريمـة وبين مقررات الطب الحديث ،وحمدت له هذه النزعة العلمية التي لو تحلى بـــها كـل مبرر في فرع من فروع العلم لاجتمع لدينا ذخر عظيم من هذه التطبيقــات الثمينــة ، تستفيد منها النابتة الحديثة زيادة معرفة بإعجاز القرآن وإيقان بأن الله ما فرط في كتابه من شيء"[2].

ثم ذكر بعد لك ما أثبته عنه الدكتور الذهبي .

وأقول : أليس هذا الكلام من شيخ الأزهر دليلا على رضاه بالتفسير العلمــي بل بالإعجاز العلمي ، وتشجيعا منه لهذا اللون من ألوان التفسير ، ألا تراه يتمنــى أن يسلك هذا السبيل كل مبرز في فرع من فروع العلم ، ويعد ذلك مما تستفيد منه النابتــة الحديثة زيادة معرفة بإعجاز القرآن ،وإيقان بأن الله ما فرط في كتابه من شيء .

لماذا ترى نغمض أعيننا عن هذا الكلام ، لأنه صريح بالموافقة علــى القــول بالتفسير العلمي وما يترتب عليه من إعجاز علمي ؟ إن أخذ الجزء الذي يشم منه شـبه

---

(١) (التفسير والمفسرون) ج٢/ ص ٥١٩. وانظر قريبا من ذلك (اتجاهات التفسير فــي العصـر الراهن) الدكتور عبد المجيد المحتسب / ص ٣٠٧-٣٠٨ . و(عقيدة المسلم وما يتصل بها) الشـيخ عبد الحميد السائح / ص ٢٩٥.

(٢) (الإسلام والطب الحديث) الدكتور عبد العزيز إسماعيل / ص جـ .

رائحة للتمشي مع رأي ما ، وترك الجزء الذي يخالف ذلك الرأي ، هو إجحاف بحق صاحب المقال ، وتصنيف له بما لو كان حيا لا يقبله ولا يرضاه لنفسه .

ثم لو نظرنا في المقطع الذي أثبته الدكتور الذهبي من كلام المراغي لما وجدنا في ما يوحي برفضه للتفسير العلمي ، وقد أصاب بما نفاه عن القرآن الكريم من حيث اشتماله على جميع العلوم جملة وتفصيلا بالأسلوب التعليمي المعروف ، وأنه قد أتى بأصول عامة لكلِ ما يهم الإنسان معرفته والعمل به ، وترك المجال مفتوحا لأهل الذكر من المشتغلين بالعلوم المختلفة ليبينوا للناس جزئياتها بقدر ما أوتوا منها في الزمان الذي هم عائشون فيه ، وهذا هو رأي المعتدلين في القول بالتفسير العلمي ، وما يتبعه من إعجاز ، ويرى المعتدلون ما يرى المراغي كذلك من عدم جر الآية إلى العلوم كي نفسرها ، ولا العلوم إلى الآية ، ولكن إن اتفق ظاهر الآية مع حقيقة علمية ثابتة فسرناها بها .

وعلى ذلك فإننا نستطيع أن نعد شيخ الأزهر (المراغي) من المعتدلين في القول بالتفسير العلمي وإعجازه القرآني خلافا لمن اعتبره من المنكرين .

٣. السيد محمد رشيد رضا :

لقد عد بعض العلماء السيد محمد رشيد من المنكرين للتفسير العلمي وفي ذلك يقول الدكتور محمد حسين الذهبي : " وهذا هو المرحوم السيد محمد رشيد رضا نجده في مقدمة تفسيره ينعي على من تأثروا في تفسيرهم بنزعاتهم العلمية " (١) .

وقد عنون الدكتور عبد المجيد المحتسب في كتابه (اتجاهات التفسير في العصر الراهن) بقوله :" إنكار محمد رضا للتفسير العلمي " يقول فيه : " على الرغم من وجود اتجاه علمي في تفسير القرآن عند الشيخ محمد عبده ،فإن محمد رشيد رضا تلميذه ينعى في مقدمة تفسيره على من اتجهوا في تفسيرهم الاتجاه العلمي " (٢) .

---

(١) (التفسير والمفسرون) ج ١ / ص ٥١٨.

(٢) (اتجاهات التفسير في العصر الراهن) ص ٣٠٢.

وقد أشار لمثل ذلك الدكتور مصطفي محمد الطير في كتابه : (اتجاه التفسير في العصر الحديث) [1] .

والشيخ عبد الحميد السائح في كتابه (عقيدة المسلم وما يتصل بها) [2] .

وللرد عليهم أقول :

لا يزعجك قارئي الكريم كثرة من ذهبوا لذلك فكأنهم قد نقلوا عن بعضهم نقل تسلم وانقياد ، إذ بالرجوع إلى ما ذكره السيد محمد رشيد رضا في مقدمة [3] تفسيره المشهور بالمنار نجد أنه لا ينكر التفسير العلمي ذاته كما أشاروا لذلك ولكنه ينعى على أولئك الذين يستطردون في تفاسيرهم إلى المباحث الجانبية التي يجب أن تؤخذ مسلمة، والتي قد تشغل قارئ التفسير عن مقاصد القرآن وهدايته السامية ، وقد ضرب أمثلة متعددة لهذه الصوارف منها مباحث الإعراب وقواعد النحو ونكت المعاني ، ومصطلحات البيان ، وجدل المتكلمين ، وتخريجات الأصوليين وكثرة الروايات وخرافات الاسرائيليات ، إلى غير ذلك من الصوارف المتنوعة ، ونحن معه في كل ذلك ، إذ يجب على المفسر ألا يشتت ذهن القارئ عما هو بشأنه ، وإلا ما عاد هذا تفسيرا للقرآن ، بل هو معارف متنوعة ، وشطحات متعددة منها القريب ومنها البعيد.

وقد لام السيد رشيد في كلمته أيضا على الفخر الرازي ومن قلده من المعاصرين ، ولعله يقصد الشيخ طنطاوي جوهري في تفسيره الجواهر ، ولعل الحق مع الشيخ رشيد في ذلك ، وقد صنفت في بحثي هذا الشيخ طنطاوي جوهري وكذلك الفخر الرازي من قبله من المسرفين في التفسير العلمي الذين خرجوا بالتفسير عن كونه تفسيرا إلى دائرة معارف تشمل القاصي والداني.

---

(١) انظر ص ٧٩ ، ٢٦١ – ٢٦٢ .

(٢) انظر ص ٢٦٠.

(٣) (تفسير القرآن الحكيم – المشهور بتفسير المنار) ج ١ ، ص٧.

وبهذا ندرك أن الشيخ رشيد لم يقصد بكلمته أن ينفي التفسير العلمي مطلقا ، فلا نقف مع إشارات القرآن العلمية ، وما تتضمنه آياته من حقائق ، كشف عنها العلم الحديث فأصبحت معروفة بعد أن لم تكن ، وفي هذا من الإعجاز العلمي ما يثبت صدق الرسالة ودليل الوحي .

ومما يؤكد أن الشيخ لم يقصد أن ينفي ذلك أننا نجد في تفسيره الشيء الكثير من الوقفات مع الإشارات والحقائق العلمية التي كشف عنها العلم الحديث وسبق القرآن إلى ذكرها [١] ، وسواء كان ذلك منه أو من شيخه محمد عبده ، فهو قد أقرها ،وأثبتها في التفسير .

وكذلك نجده في كتابه (الوحي المحمدي) يتحدث عن معجزات القرآن الفلكية والطبيعية [٢] .

وعلى ذلك لا نستطيع تصنيف الشيخ مع المنكرين للتفسير العلمي وإعجازه القرآني ، بل إن الإشارات تدل على أنه من القائلين به بلا تطرف وبهذا تنكشف الشبهة وتبين لنا مجانبة الصواب لمن صنفوه من المنكرين رغم كثرتهم .

ثانيا : رأي المعتدلين في المعارضة وأدلتهم :

وأقصد بالمعتدلين أولئك الذين رأوا وجود إشارات وحقائق علمية في القرآن إلا أنهم أنكروا تسميتها إعجازا علميا ،واعتبروا وجودها دليلا على صدق الوحي والنبوة ، وقد ذهب لهذا الرأي الشيخ محمود شاكر والشيخ أمين الخولي ، والشيخ محمد عزة دروزة ، وسنحاول الوقوف من جملة آرائهم على أدلتهم مع مناقشتها .

---

(١) انظر (تفسير القرآن الحكيم – المشهود بالمنار)ج١ / ص ٢١٠ – ٢١٢.

(٢) انظر (الوحي المحمدي) / ص ٣١٠ –٣١١.

فمن أدلتهم ما يلي :

الدليل الأول :

ما ذهب إليه الشيخ محمود محمد شاكر معتمدا في ذلك على **حقيقتين ونتيجة .**
فالحقيقة الأولى : قوله : إن إعجاز القرآن متمثل في البيان والنظم وهو البرهان على صحة النبوة ودليل الوحي .

وقد استدل على هذه الحقيقة بدليلين :

أ – إن النبي صلى الله عليه وسلم كان يعرف إعجاز القرآن من الوجه الذي عرفه منه سائر من آمن به من قومه العرب .

ب – إن التحدي الذي تضمنته آيات التحدي إنما هو تحد بلفظ القرآن ونظمه وبيانه لا بشيء خارج عن ذلك .

وأما الحقيقة الثانية فهي قوله : إن إثبات دليل النبوة ،وتصديق دليل الوحي ، وأن القرآن تنزيل من عند الله ، ليست دليلا على أن القرآن معجز .

وقد استدل على هذه الحقيقة أيضا بدليلين :

أ – لا يستطيع أحد القول بأن التوراة والإنجيل والزبور كتب معجزة لأجل أنها منزلة من عند الله .

ب – أن العرب قد طولبوا بأن يعرفوا دليل نبوة الرسول صلى الله عليه وسلم ودليل صدق الوحي بمجرد سماع القرآن نفسه لا بما جادلهم به حتى تلزمهم الحجة ولا بمعجزة كمعجزات إخوانه من الأنبياء .

ورتب على هاتين الحقيقتين قوله : " فالقرآن المعجز هو البرهان على صحة النبوة ، وأما صحة النبوة فليست برهانا على إعجاز القرآن ،وهذا يقتضي أن جملة ما في القرآن من حقائق الأخبار عن الأمم السالفة من أنباء الغيب ومن دقائق التشريع

ومن عجائب الدلالات مما لم يعرفه البشر من أسرار الكون إلا بعد القرون المتطاولة من تنزيله كل ذلك بمعزل عن الإعجاز المتمثل في النظم والبيان [١] .

وللرد على هذا الدليل أقول :

بالنسبة للحقيقة الأولى : فإن دليلها الأول لا يقتضيها ، ذلك أن عدم تكلم النبي صلى الله عليه وسلم في الإعجاز العلمي ودقائقه لا يعني عدم معرفته به ، وإن سلمنا بعدم المعرفة جدلاً فهذا لا يعني عدم وجودها في القرآن ، خاصة وأن العلم الحديث قد أثبت بعضاً من نواحي الإعجاز العلمي لتوفر الأجهزة والأدوات اللازمة لإدراك هذه الحقائق العلمية الدقيقة .

فمثلا قوله تعالى : ﴿ **سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الآفَاقِ وَفِي أَنفُسِهِمْ حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقّ** ﴾[٢] .

هذه الآية فيها وعد من الله بأن يكشف عن آياته في الآفاق وفي الأنفس ليدركوا هذه الناحية العلمية من نواحي الإعجاز القرآني ،وهذا لم يكشف للعرب زمن نزول القرآن ، فهل يحرم المتأخرون من هذا الخير لأنه لم يعرف في ذلك الوقت ؟

أما دليلها الثاني فهو غير مسلَّم به ، ذلك لأن قصر التحدي في آيات التحدي على النظم والبيان دون سواه يحتاج إلى دليل ، وقد سبق أن بحثت في الفصل التمهيدي هذه القضية ، وتوصلت إلى أن التحدي قد خرج من النظم والبيان إلى أن أصبح إعجازاً عاماً يشمل البيان وغيره وذلك بنزول آية سورة البقرة [٣] .

وأما بالنسبة للحقيقة الثانية : فإن دليلها الأول لا يقتضي بأن عدم القول عن التوراة والإنجيل والزبور بأنها معجزة ، راجع لكونها منزلة من عند الله أو غير منزلة، ولكن لكون هذه الكتب لا تتضمن في حد ذاتها إعجازاً ، حيث كانت معجزة الأنبياء المرسلين بها منفصلة عن هذه الكتب ، فمعجزة موسى عليه السلام قلب العصا

---

(١) انظر (مقدمة لكتاب الظاهر ة القرآنية) ص ١٦ – ٢١ .

(٢) سورة فصلت ، الآية (٥٣) .

(٣) انظر (الفصل التمهيدي) ص٤٦–٤٨ .

حية ، وأن تخرج يده من جيبه بيضاء من غير سوء آية أخرى ،وكانت معجزة عيسى عليه السلام إحياء الموتى بإذن الله ،وهكذا كانت كتبهم خالية من الإعجاز ولم يتحد بها أصلا ، وكونها غير معجزة لا ينفي أنها من عند الله ، إذن فإثبات صحتها أو عدم الإثبات لا يمت إلى الإعجاز بصلة ،وهذا بخلاف القرآن ، فهو كتاب هداية وإعجاز ، يحمل دليل مصدره بما فيه من إعجاز . فقياس القرآن على غيره من الكتب المنزلة هو قياس مع الفارق ، فلا يصح .

أما دليلها الثاني فصحيح أن سماعهم للقرآن قد أثبت لهم عجزهم المتواصل مما دعاهم إلى معرفة دليل النبوة وصدق الوحي ، ولكن هذا القول لا يحصر الإعجاز فيما أدركوه من النظم والبيان وينفي غيره من الوجوه ، فقد يكون أهل العصور التي تلي عصر نزول القرآن يتبادر إليهم من سماع القرآن معجزات أخرى إضافة إلى المعجزة التي تبادرت لعقول العرب في زمن نزول القرآن .

ومما يؤكد هذا القول أن القرآن لم ينزل للعرب في ذلك العصر فحسب ، بل نزل للعالم أجمع إلى قيام الساعة ، بما فيهم العجم الذين لا يتكلمون العربية ولا يدركون ما في القرآن من إعجاز بياني ، وإنما يتحقق لهم إعجازه بما فيه من حقائق وإشارات علمية لم تكن معروفة في زمن نزول القرآن ،وإنما كشف عنها العلم الحديث والتقدم التكنولوجي ، هذا يؤكد حجية القرآن القائمة في كل العصور والأزمان بما فيها من علوم ومعارف .

وأما بالنسبة للنتيجة التي رتبها على هاتين الحقيقتين فأقول :

ما دمت مقرا بوجود الإشارات والحقائق العلمية في القرآن فلماذا لا نسميها إعجازا ؟ تقول : إنها دليل على النبوة وصدق الوحي وأن القرآن من عند الله لا غير.

وأقول : إن الإعجاز إنما نثبته ليكون دليلا على النبوة وصدق الوحي وأن القرآن من عند الله .

إذن ما الذي يمنع من أن نسمي ذلك إعجازا علميا كشف عنه العلم الحديث ما دام الهدف والنتيجة واحدة وهي أن القرآن من عند الله .

فالخلاف إذن هو خلاف لفظي فحسب .

وعلى ذلك فلا داعي لأن نفرق بين الحقيقتين اللتين ذكرتهما ، لأن ما اعتبرته دليلا على صدق الوحي والنبوة يصح أن يكون دليلا على الإعجاز .

وهكذا فإن كتاب الله نبع فياض ، لا ينتهي خيره ، ولا يجف عطاؤه ، ولا يبخل بمعجزاته.

الدليل الثاني : إن عدم وجود أي مصادمة بين نص صريح القرآن الكريم وبين حقيقة علمية يكفي ويغني عن القول بالإعجاز العلمي[1].

وللرد على هذا الدليل أقول :

ما دمت مقرا بعدم المصادمة بين أي نص صريح في القرآن وبين أي حقيقة علمية فهذا هو معنى الإعجاز العلمي ، وأي ضرر في إثبات أن القرآن قد جاء بحقائق علمية منذ أربعة عشر قرنا لم تكن معروفة في ذلك العصر ، وقد اثبت التقدم العلمي والتكنولوجي في العصر الحديث صحة هذه الحقائق ، خاصة وأن الذي بعث بهذا القرآن نبي أمي لا عهد له بالقراءة والكتابة ، أليس في هذا إثبات لصدق الوحي والنبوة؟ أليس هذا ما تعجز البشرية عن الإتيان بمثله .

هذا هو هدف البحث في هذا المجال ، وليس فقط إثبات عدم مناقضة الدين للعلم .

الدليل الثالث :

إن ما ورد في القرآن من مشاهد الكون ونواميسه قد استهدف لفت نظر السامعين إلى عظمة الله الدالة على وجوده كما قد استهدف رياضة وجدانات الناس ولا سيما وأن القرآن قد خاطب الناس جميعا عالمهم وجاهلهم ،والهدى هو القدر المشترك

(١) انظر (مناهج تجديد في النحو البلاغة والتفسير والأدب) أمين الخولي / ص ٢٩٤ –٢٩٥ .

بينهم جميعا ، والذهاب لغير ذلك هو تكلف وتزيد قد يخرج القرآن عن نطاق قدسيته إلى الجدل والنقاش والتعارض والأخذ والرد [1] .

وللرد على هذا الدليل أقول :

إن الحكم على ما جاء في القرآن من مشاهد الكون ونواميسه بأنه قد استهدف لفت نظر السامعين إلى عظمة الله واستثارة وجدانات الناس مستبعدين أ ن يكون لذلك علاقة بالإعجاز العلمي للقرآن الكريم — هو قول يحتاج إلى دليل على هذه الدعوى ، وكأن القرآن دمية نوجهه كيف نشاء بما يتلاءم مع فكرنا وتصورنا .

صحيح أن القرآن موجه للعامة والخاصة والعلماء والجهلاء ،وهذا يقتضي أن يفهم كل حسب وسعه وطاقته ، وحسب علمه وثقافته ،وكل محاسب بهذا المعيار . بل هذه خاصية من خواص الأسلوب القرآني فإنه يخاطب العامة والخاصة بكلام واحد ، وكل يجد فيه بغيته .

يقول الدكتور محمد عبد الله دراز :" فأما أن جملة واحدة تلقى إلى العلماء والجهلاء ، وإلى الجهلاء ، وإلى الأذكياء والأغبياء ، وإلى السوقة والملوك فيراها كل منهم مقدرة على مقياس عقله وعلى وفق حاجته فذلك ما لا تجده على أتمه إلا في القرآن الكريم ، فهو قرآن واحد يراه البلغاء أوفى كلام بلطائف التعبير ، ويراه العامة أحسن كلام وأقربه إلى عقولهم لا يلتوي على أفهامهم ولا يحتاجون فيه إلى ترجمان وراء وضع اللغة ، فهو متعة العامة والخاصة على السواء ميسر لكل من أراد " [2] .

كما أن أسلوب القرآن لست مهمته فقط أن يقوم برياضة الوجدانات دون قيامه بما يقنع العقل ويشبعه ، فهو يقنع العقل ويمتع العاطفة في آن واحد كما أشار لذلك الدكتور محمد عبد الله دراز [3] .

---

1) انظر (القرآن المجيد) محمد غزة دروزة ، ص ١٩٠ – ١٩٢. و(مناهج تجديد في النحو والبلاغة والتفسير والأدب) أمين الخولي ، ص ٢٩٥.

2) النبأ العظيم ، ص ١١٣.

3) انظر (النبأ العظيم) ، ص ١١٥-١١٦.

والعقل مجاله أن يدرك دقائق قوانين الله في الكون ، وما فيه من أسرار وحك
وأن يدرك ذلك فيما أوحاه الله إليه في كتابه ، ليوقن أن خالق الكون هو منزل القرآن
وذلك للتطابق ، والتوافق بين الإشارات القرآنية والحقائق الكونية العلمية ، بما يحقـ
إعجازا علميا للقرآن .

كما أن قصر القرآن على هدف من أهدافه دون سواه هو التكلف والتمحل وهـ
ما ينقص من قدسية القرآن ومكانته ومهمته ، فمهلا ، لا نقزم القرآن ولا نقصـره و
نحصره ولا نقيده بقيود ضيقة ، فما أرسله الله إلا ليكون كتاب هداية وإعجاز للنـاس
جميعا بدويهم وحضريهم ، عربيهم وأعجميهم ، عامتهم وخاصتهم ، وكل يأخذ بما هو
أهله ، دون لوم من أحد على أحد ، ودون إرهاق للعامة أو تضييق على الخاصة .

وعلى ذلك يمكن أن نعد إشاراته وحقائقه العلمية الثابتة نوعـا مـن إعجـاز
العلمي يدركه الخاصة دون العامة .

الدليل الرابع :

قد يبدو في بعض الأحيان أن هناك تعارضا وإن كـان فـي الظـاهر بيـ
الإشارات القرآنية والمقررات العلمية ، مما قد يطعن في إعجاز القرآن العلمـي ، إ
استشكل دفع هذا التعارض [1].

وللرد على هذا الدليل أقول :

إن هذه الظاهرة لا تكون إلا إذا أخطأ العلم طريقه ، أو أخطأ المفسرون فـهـ
كتاب الله ، وكلا الأمرين نقص لابد من تداركه ، وأي شيء في أن يـدرك خطـأ أ
الأمرين ، فإن كان العلم فيه عن الصواب ، وفي ذلك دفع لعجلة العلم إلى الأما
وقضاء على الجهل والغفلة ، وإن كان الخطأ في فهم المفسرين لكتاب الله أعادوا النظ
مرات ومرات ليقفوا على صواب التفسير ، ويتجنبوا خطأه ،وذلك مثـل : (فهمـه

(١) انظر (مناهج تجديد في النحو البلاغة والتفسير والأدب) أمين الخولي / ص ٢٩٥.

لانبساط الأرض) في قوله تعالى : ﴿ وَالأَرْضَ مَدَدْنَاهَا ﴾[1] فقد أخطأوا فهم المراد من المد ، وظنوا أنه البسط وما عرفوا أن المراد بالمد هو التكوير ، لأن البسط لابد له من حافة تنتهي إليها ، ولا حافة للأرض ومع التقدم العلمي أدرك المفسرون خطأهم في فهم مراد الله من المد ، وعادوا إلى صواب أمرهم ، وفي هذا خير وبركة، ودفع للجهل والغفلة"[2] .

وعلى ذلك يمكن عد هذه الإشارات القرآنية إعجازاً علمياً إن توافقت مع المقررات العلمية دون أي أثر لهذا الإشكال . أما قوله تعالى : ﴿ وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُمْ الأَرْضَ بِسَاطًا ﴾ [3] أي بسطها ومهدها وقررها وثبتها بالجبال الراسيات [4] وهذا لا يتنافى مع كونها كروية .

---

(١) سورة الحجر ، الآية (١٩) .

(٢) انظر (المنتخب في تفسير القرآن الكريم) محمد متولي شعراوي / ص ٤٨.

(٣) سورة نوح ، الآية (١٩) .

(٤) تفسير ابن كثير ج ٤ / ص ٤٢٦.

المبحث الثاني

رأي المؤيدين للإعجاز العلمي

إن الحديث عن المؤيدين ينقسم إلى قسمين هما :

المتوسعون في التأييد ، والمعتدلون في ذلك ، وسنعرض لكل قسم من هؤلاء مبينين رأيهم وأدلتهم ، وسنرد على ما لا نرتضيه ولا نقبله من ذلك ، وسنعرض في نهاية هذا المبحث نماذج من الكتب التي سارت في تصنيفها على الجمع بين الآيات القرآنية والعلم الحديث.

أولاً : رأي المتوسعين وأدلتهم :

وأقصد برأي المتوسعين ذلك الرأي الذي فتح الباب على مصراعيه حيث أضاف أصحابه للقرآن كل علم بما فيه من جزئيات ومباحث ، فما من صغيرة ولا كبيرة إلا جعلوها في القرآن وأضافوها إليه ، إضافة إلى رأي الذين توسعوا واستطردوا في علم التفسير ، حيث مزجوه بمباحث العلوم وجزئياتها ، ولم يأخذوا هذه المباحث مسلمة في علم التفسير ، ومن هؤلاء الإمام الغزالي ، والفخر الرازي ، وأبو بكر بن العربي ، والسيوطي ، وابن أبي الفضل المرسي ، وهؤلاء من القدامى ، أما المحدثون فعلى رأسهم الشيخ طنطاوي جوهري ، وسنناقش رأي هؤلاء وما ذكروه من أدلة .

فمن الأدلة التي ذهبوا إليها :

الدليل الأول : ما اعتمدوه من الأدلة النقلية من القرآن والسنة والأثر :

فمن قوله تعالى : ﴿ **مَا فَرَّطْنَا فِي الْكِتَابِ مِنْ شَيْءٍ** ﴾ [١] ، وقوله : ﴿ **وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تِبْيَانًا لِكُلِّ شَيْءٍ** ﴾[٢].

---

(١) سورة الأنعام ، الآية (٣٨).

(٢) سورة النحل ، الآية (٨٩) .

ومن السنة : قول النبي صلى الله عليه وسلم : (ستكون فتنٌ : قيل وما المخرج منها ؟ قال : كتاب الله ، فيه نبأ ما قبلكم ، وخبر ما بعدكم ، وحكم ما بينكم)[1].

ومن الأثر : قول علي كرم الله وجهه : (لو شئت لأوقرت سبعين بعيراً من تفسير سورة فاتحة الكتاب) .

فما معناه وتفسير ظاهرها في غاية الاختصار .

وقول ابن مسعود : (من أراد علم الأولين والآخرين فليتدبر القرآن) ، وذلك لا يحصل بمجرد تفسير الظاهر ، وقول ابن عباس : " لو ضاع لي عقال بعير لوجدته في كتاب الله " . وقول آخرين : (القرآن يحوي سبعة وسبعين ألف علم ومائتي علم ، إذ لكل كلمة علم ، ثم يتضاعف ذلك أربعة أضعاف ، إذ لكل كلمة ظاهر وباطن وحد ومطلع) " [2] .

الدليل الثاني :

جواز التفسير بالرأي ، وهو الذي فتح المجال لكل واحد أن يستنبط من القرآن بقدر فهمه وحد عقله [3] .

وهذا يدل على جواز فهم القرآن حسب كل عصر بما يمتاز به من علوم ومعارف .

) سنن الترمذي – كتاب فضائل القرآن – باب (١٤) مجلد رقم (٥) / ص ١٧٢. وقد حكم عليه رمذي بأنه حديث غريب لا نعرفه إلا من حديث حمزة الزيات وإسناده مجهول . وفي حديث ارث مقال .، وسنن الدارمي –كتاب فضائل القرآن – باب (١) / ص٨٣١.

) انظر (إحياء علوم الدين) الإمام أبو حامد الغزالي / ج١، ص ٢٥٥. و (الإتقان في علوم رآن) الأمام السيوطي / ج٢/ ص١٢٥-١٢٦.

نفس المرجع) للسيوطي – نقلا عن ابن أبي الفضل المرسي / ج٢، ص ١٢٦– ١٢٨.

) انظر (إحياء علوم الدين) الإمام الغزالي / ج ١ ، ص٢٥٦ .

الدليل الثالث :

اشتمال القرآن على عجائب المخلوقات وتحدثه عن ملكوت السموات والأرض ولفته الأنظار إلى الأفق الأعلى وما تحت الثرى ، مما يشير إلى اشتماله على سائر أنواع العلوم [١] .

وقد ظن هؤلاء أن هذه الأدلة التي جاءوا بها قد فتحت له الباب على مصراعيه فأسرفوا وتوسعوا بدون حدٍّ.

ومما يؤكد توسعهم في التطبيق العملي : ما عنون به الإمام الغزالي في الفصل الخامس من كتابه (جواهر القرآن) بقوله : "كيفية انشعاب سائر العلوم مطلقاً من القرآن " [٢] .

وما ذكره السيوطي عن ابن أبي الفضل المرسي حيث يقول :" وفيه من أسماء الآلات ، وضروب المأكولات والمشروبات والنكوحات وجميع ما وقع ويقع في الكائنات " [٣] .

وما ذكره السيوطي أيضاً عن القاضي أبي بكر بن العربي حيث يقول : " علوم القرآن خمسون علماً وأربعمائة علم وسبعة آلاف علمٍ وسبعون ألف علم على عدد كَلِمِ القرآن مضروبة في أربعة ، إذ لكل كلمة ظهرٌ وبطنٌ وحدٌّ ومطلعٌ دون اعتبار تركيب وما بينهما من روابط وهذا ما لا يحصى ولا يعلمه إلا الله "[٤] .

---

(١) انظر (الإتقان في علوم القرآن) السيوطي / ج ٢ / ص ١٢٩ – ١٣٠. و (نفس المرجع) للسيوطي – نقلاً عن ابن أبي الفضل المرسي ج٢/ ص ١٢٧.

(٢) انظر (جواهر القرآن) ص ٢٥.

(٣) الإتقان في علوم القرآن / للسيوطي /ج ٢ ،ص ١٢٨.

(٤) نفس المرجع ، ج٢/ص ١٢٨ .

وما ذكره السيوطي نفسه حيث يقول : " وأنا أقول قد اشتمل كتاب الله العزيز على كل شيء ، أما أنواع العلوم فليس منها باب ولا مسألة هي أصل إلا وفي القـرآن ما يدل عليها" (١) .

وما سار عليه الإمام الفخر الرازي في أغلب تفسيره (٢) ، حتى قال عنه بعض العلماء فيه كل شيء إلا التفسير (٣) .

وللرد على هؤلاء وأدلتهم أقول :

إن الغزالي ومن سار على نهجه قد بالغوا في استنباط العلوم من القرآن ، وقد تجاوزوا الأدلة التي اعتمدوا عليها في تطبيقهم واستنباطهم لهذه العلوم من القرآن على الرغم من أن أدلتهم لا تقوى على ما ذهبوا إليه من إسرافٍ وتوسعٍ .

فنجد السيوطي وابن أبي الفضل المرسي يستدلان بآية الأنعام وهي قوله تعالى : ﴿ مَا فَرَّطْنَا فِي الْكِتَابِ مِنْ شَيْءٍ ﴾ على أن كل شيء ، ما وقـع ومـا يقـع فـي الكائنات نجده في القرآن ، وهذا خلاف ما ذهب إليه المفسرون في معنى الآية .

فمثلاً يقول الزمخشري في تفسير هذه الآية :" أي ما تركنا وما أغفلنـا فـي اللوح المحفوظ من شيء من ذلك لم تكتبه ولم نثبت ما وجب أن يثبت ممـا يختـص به"(٤) .

وهكذا نرى الزمخشري قد فَسَّرَ الكتاب باللوح لا بالقرآن ، والفـرق بينـهما كبير. ويستدل السيوطي أيضاً بآية النحل وهي قوله تعالى : ﴿ وَنَزَّلْنَا عَلَيْـكَ الْكِتَـابَ

---

(١) نفس المرجع / ج٢ ، ص ١٢٩ .

(٢) انظر مثالاً من تفسيره (مفاتيح الغيب) عند قوله تعالى : ﴿ وَأَوْحَى رَبُّكَ إِلَى النَّحْلِ أَنْ اتَّخِذِي﴾ (النحل ٦٨-٦٩).

(٣) انظر (تفسير البحر المتوسط) / أبو حيان الأندلسي / ج١ / ص ٣٤١. و(مجلة الأزهـر) – شهر جمادي الأولى سنة ١٣٨٠هـ – مجلد رقم (٣٢) / ص ٤٦٤.

(٤) الكشاف ج ٤ ، ص ١٧.

﴿ تِبْيَانًا لِكُلِّ شَيْءٍ ﴾ على أن كل العلوم مبينة في القرآن ، وهذا خلاف ما ذهب إليه الزمخشري أيضاً في تفسير الآية ، وذلك حيث يقول : " فإن قلت : كيف كان القرآن تبياناً لكل شيءٍ؟ قلت المعنى أنه بين كل شيء من أمور الدين حيث كان نصاً على بعضها وإحالة على السنة حيث أمر فيه باتباع رسول الله صلى الله عليه وسلم وطاعته ، وحثاً على الإجماع ...

فكانت السنة والإجماع والقياس والاجتهاد مستندةً إلى بيان الكتاب "[١] .

وهكذا فقد قَيَّدَ الزمخشري التبيين وجعله خاصاً بأمور الدين . وعلى ذلك فلا بد من الاستدلال بالآيات في مكانها ، وألا نحملها أكثر من معناها الذي جعلت له ، لا أقصد بذلك أن أنفي ما ذهب إليه السيوطي وغيره من التفسير العلمي وإعجازه القرآني، وإنما قصدت عدم الإسراف في ذلك ، فلا بُدَّ من الوقوف عند حد تضبطه ضوابط ،وتحكمه قيود.

أما بالنسبة لدليل السنة وهو الحديث الذي استدل به السيوطي ، فقد أخرجه الترمذي وحكم عليه بالغرابة وجهالة الإسناد ، وأن أحد رجال السند فيه مقال [٢] ، وهذا يؤدي إلى ضعف الحديث وعدم صلاحيته للاستدلال به مما يسقط حجيته في هذا المجال .

وأما الآثار التي اعتمد عليها واستدل بها كلٌ من الإمام الغزالي وابن أبي الفضل المرسي فيجب ألا تؤخذ على ظاهرها وبإطلاق ، فهي وإن دلت على سعة القرآن وأن عجائبه لا تنقضي وأنه يصلح للأولين والآخرين ، إلا أن ذلك يحتاج إلى حد تقف عنده . أضف إلى ذلك إمكانية تأويل بعضها ، فقول ابن عباس مثلاً : (لو ضاع لي عقال بعير لوجدته في كتابِ الله) هل يعقل أنه سيجد العقال نفسه موجودا بين صفحات كتاب الله ؟ قطعاً لا ، ولكنه يجد مثلاً حكم سارقه في كتاب الله .

---

(١) الكشاف / ج٢ ، ص ٤٢٤.

(٢) انظر تخريجه ص ١٤٥ .

ومع ذلك فقد ورد في بعض هذه الآثار إبهام وذلك فيما استدل به الغزالي حيث يقول : " وقال آخرون " ترى من هم هؤلاء الآخرون ؟ وهذا يؤدي إلى الطعن في الأثر مما يسقط حجيته . ثم لو تدبرنا المتن الذي رواه هؤلاء المبهمون لرأينا العجب ، ذلك أن سبعة وسبعين ألفا ومائتي علم إذا ضربت في أربعة يكن الناتج ثلاثمائة ألف وثمانية آلاف وثمانمائة علم ، وهل يعقل أن هناك علوما بمثل هذا العدد الضخم ، وإن بلغت فإننا لا نستطيع تحديدها والوقوف عليها ، وإثبات الصلة بينها جميعا وبين القرآن.

ولعل مما يهون الأمر ، أنهم أرادوا بذلك المعاني ، فالكلمة قد تشمل أكثر من معنى بحسب الظاهر والباطن والحد والمطلع ، والفرق كبير بين المراد بالمعنى والمراد بالعلم ، فاعنى هو مرادف الكلمة ، أو هو ما يفهم منها ، أما العلم فله أصول وقواعد ، له غاية يخدمها ويسعى إليها .

وبذلك لا نستطيع أن نطلق كلمة العلم على المعنى ، ولا المعنى على العلم ، إذ إن لكل مجاله . وصحيح أن العلوم كثيرة لا يعلمها إلا الله كما أشار لذلك ابن العربي ، ولكن هذا شيء ، وتحديدنا ذلك بأرقام وأعداد بعينها شيء آخر ، إن الجزم بأن علوم القرآن المستنبطة منه عددها كذا وكذا يعد تجاوزا في الدعوى سواء بلغت ذلك العدد أم لم تبلغه ، لأن علومها لا يعلمها إلا الله وحده ، إذن نفوض الأمر لله ، ونترفع عن الخوض فيه بتحديد العدد . وهكذا " نلاحظ أنهم قد حملوا الآيات ما لا تتحمله من المعاني واعتبروا علمية القرآن في مجرد إشارته بالكلمة العادية يبنون عليها علما كاملا في كلياته وجزئياته "(١) .

ولعل هذا التوسع كان سببا لردة فعل عند البعض ، فقالوا بإنكار هذا اللون من التفسير والإعجاز العلمي ، وهذا ما أشار إليه الدكتور عماد الدين خليل حيث يقول :

---

(١) (التفسير العلمي للقرآن الكريم بين النظرية والتطبيق) الدكتورة هند شلبي / ص ٤٨.

"وصحيح أن إلحاح بعض المفكرين المعاصرين على تحميل آيات الله معان [1] وتفاسير (علمية) لم تقض إليها البتة ، قد دفع بعضهم الآخر ، وبرد فعل يتميز بالإلحاح نفسه إلى نفي أن تكون للقرآن أية صلة بأيما حقيقة علمية .. إن الفعل الخاطئ — كما هو معروف — يولد رد فعل خاطئ يساويه في القوة ويخالفه في الاتجاه " [2] .

أما دليلهم الثاني وهو جواز التفسير بالرأي فهو وإن كان جائزاً من حيث المبد إلا أنه لا يؤخذ بلا قيودٍ ولا حدودٍ ، فلا بد من الموضوعية والتطابق بين الآيات القرآنية وتفسيرها العلمي .

أما دليلهم الثالث فصحيحٌ أن القرآن يشتمل على عجائب المخلوقات ويتحدث عن ملكوت السموات والأرض إلى غير ذلك من الموضوعات العلمية وهذا يقتضي التحقيق والتدقيق لإدراك ذلك التوافق والتطابق بين الآيات القرآنية والحقائق العلمية بم يثبت إعجازاً علمياً للقرآن الكريم وهذا خلاف ما ذهب إليه المتوسعون من تحميل الآيات كل شيء حتى إنه لا تتبين العلاقة في كثير من الأحيان بين الآية والمعنى الذي ذكر في شرحها .

وهذا ما حذر عنه أبو حيان الأندلسي والسيد محمد رشيد رضا في تفسيريهما[3] .

وهذه وقفة مع الشيخ طنطاوي جوهري بصفة خاصة :

لقد صنف الشيخ طنطاوي جوهري تفسيراً أسماه (الجواهر في تفسير القرآن الكريم ، المشتمل على عجائب المكنونات وغرائب الآيات الباهرات) وقد جمع فيه من العلوم والمعارف ما أخرجه عن كونه كتاب تفسير ، فقد استطرد فيه مع كل علم

---

(١) هذا اسم منقوص نكرة ،وهو منصوب على أنه مفعول به ، فالأصل ثبوت يائه وظهور الفتحة عليها ، فتصبح (معانيَ)

(٢) (مدخل إلى موقف القرآن الكريم من العلم) / ص ١٨-١٩.

(٣) انظر (تفسير البحر المحيط) أبو حيان الأندلسي / ج ١ ، ص ٣٤١- ٣٤٢. و (تفسير القرآن الحكيم – المشهور بتفسير المنار) محمد رشيد رضا / ج١ ، ص ٧ .

جمع فيه كل غريب ، ورسم فيه مناظر وصوراً متنوعة عن النباتـــات والأعشـــاب الحيوانات والطيور إلى غير ذلك من الكائنات.

ونجده يقول في مقدمة هذا التفسير وصفاً له : " وليكونن هذا الكتـــاب داعيـــاً حثيثاً إلى درس العوالم العلوية والسفلية ،وليقومن من هذه الأمة من يفوقون الفرنجـــة ي الزراعة والطب ، والمعادن ، والحساب ، والفلك وغيرها من العلوم والصناعات ، كيف لا ؟ وفي القرآن من آيات العلوم ما يربو على سبعمائةٍ وخمسين آيةٍ ، فأما علـــم الفقه فلا تزيد آياته الصريحة على مائةٍ وخمسين آيةٍ .

ولقد وضعت في هذا التفسير ما يحتاجه المسلم : مـــــن الأحكـــام والأخـــلاق وعجائب الكون ، وأثبت فيه غرائب العلوم وعجائب الخلق ، مما يشـــوق المســـلمين والمسلمات إلى الوقوف على حقائق معاني الآيات البينـــات فـــي الحيـــوان والنبـــات والأرض والسموات " [1] .

وتلمس رأيه هذا في أكثر ما كتبه من مصنفات [2] .

وإليك مثالاً من تفسيره يبين مدى إسرافه وتوسعه واستطراده : يقـــول عنـــد تفسير آية الكرسي : " لقد استبان لك أن صفات الله ظهر بعضها في آيـــة الكرســـي ، وترى الآيات الأخرى كذلك ، فقوله ﴿ ألم . اللَّهُ لا إِلَهَ إِلا هُوَ الْحَـــيُّ الْقَيُّـــومُ ﴾[3] وصفٌ لله ، ولكن أعقب هذه الصفات بذكر الأفعال فقال : ﴿هُوَ الَّذِي يُصَوِّرُكُـــمْ فِـــي الأَرْحَامِ كَيْفَ يَشَاءُ ﴾[4] بعد قوله ﴿ إِنَّ اللَّهَ لا يَخْفَى عَلَيْهِ شَيْءٌ فِي الأَرْضِ وَلا فِـــي

(1) (الجواهر في تفسير القرآن الكريم) ج ١ / ص ٣ .

(2) فمن كتبه : (جواهر العلوم ، القرآن والعلوم العصرية ، التاج المرصع بجواهر القرآن والعلوم، ميزان الجواهر في عجائب هذا الكون الباهر ، نظام العالم والأمم ، نهضة الأمم وحياتـــها ، النظـــام والإسلام ، جواهر الأمم ، النظام الإسلامي)

(3) سورة آل عمران ، الآيتان (١، ٢) .

(4) سورة آل عمران ، الآية (٦) .

السَّمَاءِ ﴾[1] أوليس ذلك يدعو إلى علم التشريح ، وعلم الكيمياء ، كيف لا يدعو لذلك وهو يقول : ﴿ يُصَوِّرُكُمْ فِي الأَرْحَامِ كَيْفَ يَشَاءُ ﴾ ، أليس هذا يدعو إلى علم الحياة المخترع حديثاً الذي يبحث في حياة الإنسان والحيوان والنبات ، أو ليس الجنين في الرحم من الدم الناجم من خلاصة الغذاء ؟ وبالتفاعل الكيماوي كونت هذه الأعضاء ، أو ليس هذا العلم يشمل الحيوان والنبات ؟ ننظر نظرة أخرى في قوله : ﴿ شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لا إِلَهَ إلا هُوَ وَالْمَلائِكَةُ وَأُولُوا الْعِلْمِ قَائِمًا بِالْقِسْطِ لا إِلَهَ إلا هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴾[2] أو ليس قوله ﴿ شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لا إِلَهَ إلا هُوَ وَالْمَلائِكَةُ وَأُولُوا الْعِلْمِ قَائِمًا بِالْقِسْطِ ﴾ يدعو إلى سائر العلوم ، فإن القيام بالقسط هو نفس النظام : أي نظام الفلك ونظام الطبيعة .

وقال علماؤنا لا يعرف معنى القيام بالقسط إلا من درس سائر العلوم كما قالوا في قوله تعالى : ﴿ وَوَضَعَ الْمِيزَانَ ﴾[3]. في سورة الرحمن . إن هذا الميزان لا يعقله إلا الذي درس كل علم كالطبيعة والفلك والكيمياء ، فإن الذرات في التفاعل الكيماوي لها حساب دقيق لا خطأ فيه ، ولا خلل ، كما ترى في تركيب الماء من الأكسجين والأيدروجين ، وإن نسبة وزن الأكسجين إلى الأيدروجين معلومة لا تتغير ، وهكذا نسبة حجم الأول إلى الثاني ثابتة ،وهذا أمر لا يستثنى منه شيء في العالم " [4] .

وأقول :

وهكذا نرى الشيخ يستطرد من آية إلى آية ، ومن موضوع إلى موضوع ، ومن علم إلى علم ، فإذا أراد أن يدلي بدلوه في علم معين من العلوم تجده يهيئ له المجال رغماً عن الآيات ثم نراه يحملها ما لا تحتمل من هذه الاستطرادات الكثيرة ،

---

(١) سورة آل عمران ، الآية (٥) .

(٢) سورة آل عمران ، الآية (١٨) .

(٣) سورة الرحمن ، الآية (٧) .

(٤) (الجواهر في تفسير القرآن الكريم) ج ١ / ص ٢٣٧ – ٢٣٨ .

فمثلا ما علاقة الأكسجين والأيدروجين بأية الكرسي كما رأيت في المثال الذي عرضناه ، إذن فقد انتهي من حديثه بما لا علاقة له بما ابتدأ به من تفسير الآية ، فليس هناك صلة لا من قريب ولا من بعيد بين صفات الله في تفسير آية الكرسي وبين الأكسجين والأيدروجين ونسبة أحدهما إلى الآخر.

ترى أيكون مثل هذا تفسيرا للقرآن الكريم ؟ أم هو دائرة معارف علمية ؟ إنه كتاب علمي أقرب منه كتاب تفسير للقرآن ، فيه من العلوم والمعارف والاختراعات ، والأشكال والرسومات ، وجداول الرياضيات ، وما إلى ذلك الشيء الكثير . ويعد هذا نوعا من الإسراف في التفسير العلمي ، ويخرج بالتفسير عن طبيعته ويحمل الآيات ما لا تحتمله ، وكأن القرآن ما أنزل إلا لهذا ، فأين حكم التشريع ؟ وأين بيان الأحكام ؟ وأين الإعجاز البياني ؟ الذي اشتهر به كتاب الله ، وهو أول شيء تحدى الله به العرب، وما زال باقيا ميزة للقرآن إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها ، أين حق هذه الأمور وكثير غيرها ؟

إنا لا ننكر أن يكون في القرآن من الإشارات والحقائق العلمية الشيء الكثير بما يكشف عنه العلم تباعا عصرا بعد عصر ، وجيلا بعد جيل ، ولكن ليس إلى هذا الحد من الإسراف بحيث تطغي على غيرها من أهداف القرآن ومراميه . وإننا لا ننكر هدف الشيخ الإصلاحي ،وحرصه على رقي الأمة الإسلامية وأنه يدعو المسلمين جميعا لتعلم العلوم لرفع مستواها الحضاري ،ولكن ليس هكذا تسلك السبل .

ولعل إسرافه هذا قد دعا العلماء إلى نقده وبيان تجاوزه ، وذلك حيث يقول الأستاذ محمد رجب البيومي في مجلة الأزهر : " كما نجد أن المسألة قد كررت في صورة مكبرة مجوفة حين جاء الأستاذ طنطاوي جوهري — رحمه الله — فملأ تفسيره الضخم بمئات الصحائف العلمية التي تتحدث عن مظاهر الكون حديث الكيميائي والطبيعي والفلكي والجغرافي والنباتي ، فهو ينتهز كلمة عابرة كالرعد أو الأرض أو

النحل أو النمل ليفيض في دقائق علمية تعرض خواص هذه الأشياء دون أن تدعو إليها حاجة التفسير المعقول للكتاب الكريم " (١) .

وبهذا ندرك أن الشيخ طنطاوي جوهري من أشد علماء العصر الحديث تشيعا للنزعة التفسيرية العلمية وما يتبعها من إعجاز ، وأكثرهم إنتاجا لهذا اللون من التفسير ، متمثلا ذلك في تفسيره الذي يقع في خمسة وعشرين جزءا كبارا ، وفي كتبه الأخرى التي مزج فيها بين الآيات القرآنية وبين العجائب الكونية .

وقد سار على منواله جمع من المثقفين المعاصرين كالأستاذ عبد الرزاق نوفل في كتبه الكثيرة المشهورة (٢) ، وكذلك الأستاذ مصطفى محمود في عدة كتب له .

وهكذا نقف على نماذج ممن أسرفوا القول في ذلك ،سواء كان ذلك بفتح الباب على مصراعيه ، أو بالاستطراد البعيد مما دعا البعض إلى محاولة إغلاق الباب ، أو إيقاف الموج الهائج المسترسل .

وعلى ذلك فإن خير الأمور الوسط ، فلا إفراط ولا تفريط ، وهذا ما سنعرض له في رأي المعتدلين إن شاء الله تعالى .

ثانيا : رأي المعتدلين وأدلتهم :

وأقصد برأي المعتدلين ذلك الرأي الذي وقف أصحابه موقفا وسطا من القول بالتفسير العلمي وإعجازه القرآني ،فلم يميلوا إلى الإفراط ولا إلى التفريط وكانت لهم ضوابط تحكم هذا اللون من الإعجاز العلمي ، وأصحاب هذا الرأي كثير غالبيتهم من المعاصرين الذين تأثروا بأستاذهم الإمام محمد عبده ، صاحب المدرسة العقلية في التفسير ، سواء كان التأثر مباشرا أم غير مباشر ، وهذا لا يعني عدم الإشارة والميل لهذا اللون من التفسير في الماضي فقد مر معنا رأي الغزالي والفخر الرازي والسيوطي في رأي المتوسعين ، إلا أن نضوج الفكرة ووضوح الصورة لدى

---

(١) مجلة الازهر – لشهر جمادي الأولى سنة ١٣٨٠هـ – مجلد رقم (٣٢) / ص ٤٦٥.

(٢) سنعرض لبعضها ضمن نماذج الكتب التي جمعت بين الآيات القرآنية والعلم الحديث .

المعاصرين يرجع سببه إلى التقدم العلمي الحديث ، ووضع النقاط على الحروف فيما توصل إليه العلم بدقة أدواته وأجهزته المتطورة ، وقد ذهب إلى هذا الرأي جمع من العلماء منهم الإمام محمد عبده[١]، ومحمد جمال الدين القاسمي[٢] ، وأحمد مصطفى المراغي[٣] ، ومحمد فريد وجدي[٤] ،وعبد الرحمن الكواكبي[٥] ، ومصطفى صادق الرافعي[٦]، ومحمد عبد العظيم الزرقاني[٧]، والشهيد حسن البنا[٨] ، والشهيد سيد قطب[٩]، ومحمد الطاهر بن عاشور[١٠]، ومحمد أحمد الغمراوي[١١]، ومحمد متولي شعراوي[١٢]، وعفيف عبد الفتاح طبارة [١٣]، والدكتور منصور محمد حسب النبي[١٤]،

---

(١) انظر (تفسير جزء عم) ص ٧٣/ عند تفسير قوله تعال : ﴿ والسماء وما بناها ﴾

(٢) انظر (محاسن التأويل) / ج ١ ص ٣٣٢-٣٣٨.

(٣) انظر (تفسير المراغي) ج ١ / ص ٤ .

(٤)انظر (تقريظه لكتاب (الإسلام والطب الحديث) لعبد العزيز إسماعيل) ص ٢٢، وتقريظه لكتاب (القرآن ينبوع العلوم والعرفان) لعلي فكري) / ص ١١.

(٥) انظر (طبائع الاستبداد ومصارع الاستعباد) ص ٢٥.

(٦) انظر (إعجاز القرآن والبلاغة والنبوية) ص ١٢٨.

(٧) انظر (مناهل العرفان في علوم القرآن) ج ١ / ص ١٨-١٩ .

(٨) انظر (مقدمة في التفسير مع تفسير سورة الفاتحة وأوائل سورة البقرة) ص ٧.

(٩) انظر (في ظلال القرآن) ج٦/ ص ٣٤٥١.

(١٠) انظر (تفسير التحرير والتنوير) ج ١/ ص ١٢٧.

(١١) انظر (مجلة الرسالة – عدد (٧٥٠) ص ٣٦، و(الإسلام في عصر العلم) ص ٢٢١، ١٢٢.

(١٢) انظر المنتخب في تفسير القرآن الكريم) ص ١٦ ، ٤٣.

(١٣) انظر (روح الدين الإسلامي) ص ٤٨.

(١٤) انظر (الكون والإعجاز العلمي للقرآن) ص ٦،٨،١٠٧.

والدكتور محمد جمال الفندي[1] ، والدكتور فضل حسن عباس[2] ، وغيرهم، وسأحاول استخلاص أدلتهم والوقوف عليها من جملة آرائهم كما هو الحال فيما سبق .

فمن أدلتهم ما يلي :

الدليل الأول :

إن القرآن الكريم قد أتى بمسائل علمية دقيقة لم تكن معروفة في زمن النبي صلى الله عليه وسلم ،وما زال العلم الحديث يكشف عن حقائقها عصراً بعد عصر ، مما يدعو إلى القول بوجود معجزات علمية للقرآن الكريم [3] .

الدليل الثاني :

قال تعالى : ﴿ **سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الآفَاقِ وَفِي أَنفُسِهِمْ حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ** ﴾[4]. ولو جمعت أنواع العلوم الإنسانية كلها ما خرجت في معانيها عن قوله تعالى ﴿ **فِي الآفَاقِ وَفِي أَنفُسِهِمْ** ﴾ فإن لم يكن هذا من الإعجاز الظاهر بداهة فليس يصح في الأفهام شيء [5] .

الدليل الثالث :

إن القرآن الكريم في طريقة عرضه للهداية والإعجاز على الخلق قد حاكم الناس إلى عقولهم ، وفتح عيونهم إلى الكون بما فيه من سماءٍ وأرضٍ وبحرٍ وحيوانٍ

([1]) انظر (الله يتجلى في عصر العلم) لنخبة من العلماء الامريكيين ، ص ١٦٣-١٦٤.و(الله والكون) ص٣٠١.

([2]) انظر (المفردات القرآنية مظهر من مظاهر الإعجاز) بحث نشر في مجلة دراسات (العلوم الإنسانية والتراث) الجامعة الأردنية – م١١/ ع ٤ –سنة ١٤٠٥هـ – ١٩٨٤م / ص ١٠٤- ١٠٥.

([3]) انظر (محاسن التأويل) محمد جمال الدين القاسمي / ج١ / ص ٣٣٢.
و (طبائع الاستبداد ومصارع الاستعباد) عبد الرحمن الكواكبي / ص ٢٥. و (مقدمة في التفسير مع تفسير سورة الفاتحة وأوئل سورة البقرة) للشهيد حسن البنا / ص ٧ .

([4]) سورة فصلت ، الآية (٥٣) .

([5]) انظر (إعجاز القرآن والبلاغة النبوية) مصطفى صادق الرافعي / ص ١٢٨.

في أمة أمية لا صلة لها بتلك العلوم وتدوينها بل إن بعض تلك العلوم لم ينشأ إلا بعد عهد النبوة بقرونٍ وأجيالٍ .

وقد جاء العلم في هذا العصر يميط اللثام عن نواح كثيرة من أسراره وإعجازه[1]

الدليل الرابع :

ينبغي ألا يكون إدراك إعجازه موقوفاً على فصحاء العرب ومن لَفٌ لفهم ذلك أن الإنسانية كلها مخاطبة به ،ومطالبة بالتسليم له أنه كلام الله ، والإنسانية أعجميها أكثر من عربيها ،ومع ذلك فلا بد أن يتضح إعجازه لكل إنسان ولو كان أعجمي اللسان لتلزمه الحجة ،مما يؤكد وجود إعجاز لا يعتمد على اللغة ، وهو الإعجاز العلمي للقرآن [2] .

الدليل الخامس :

إن كون الإسلام هو آخر الأديان إلى قيام الساعة يقتضي أن يكون القرآن معجزة متجددة ، يتبين للناس منه على مر الدهور وجه لم يكن تبين ، وناحية لم يكن أحد يعرفها ، فكأن هذا التجدد في الإعجاز العلمي هو تجديد للرسالة الإسلامية كأنما رسول الإسلام قائم في كل عصر يدعو الناس إلى دين الله ويريهم دليلاً على صدقه آية جديدة من آيات تطابق ما بين الفطرة وبين القرآن ، مصداقاً لقوله تعالى :

﴿سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الآفَاقِ وَفِي أَنْفُسِهِمْ حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ ﴾ [3].

---

(١) انظر (مناهل العرفان في علوم القرآن) محمد عبد العظيم الزرقاني / ج١، ص ١٨- ١٩.

(٢) انظر (الإسلام في عصر العلم) الدكتور محمد أحمد الغمراوي /ص ٢٢١.، (المنتخب في تفسير القرآن الكريم) محمد متولي شعراوي / ص ١٦.

(٣) انظر (الإسلام في عصر العلم) الدكتور محمد أحمد الغمراوي / ص ٢٢٢.

الدليل السادس :

إذا كانت الحقيقة العلمية تتفق تماما مع نص الآية القرآنية ،فما الذي يمنع عقلا وشرعا من تفسير الآية طبقا لتلك الحقيقة العلمية القاطعة ولا سيما أن العصر الذي نعيش فيه الآن عصر مادي لا يؤمن بغير لغة العلم وسيلة للتخاطب فضلا عن الإقناع،ولا سيما أيضا أن هذه اللغة العلمية هي اللغة الدولية التي لا لغة غيرها لمخاطبة غير المسلمين إذا أردنا أن نبلغ الدعوة إلى البشر أجمعين ، خاصة وأن الإعجاز العلمي للقرآن لا يجرؤ أي مكابر أو ملحد أن يجد موضعا للتشكيك فيه[١].

الدليل السابع :

إن القرآن الكريم يصف بعض حقائق الوجود المادية ، بل ويتنبأ بما سيجيء منها في المستقبل بدقة علمية وسلامة لفظية بما يثبت له إعجازا علميا ينكشف عصرا بعد عصر بتقدم العلوم والمعارف [٢] .

الدليل الثامن :

ما ذكره أستاذنا الدكتور فضل حسن عباس في بحثه (المفردات القرآنية مظهر من مظاهر الإعجاز) حيث استعرض الخلاف في وجه الإعجاز : هل هو بياني فقط ؟ أم هو إعجاز عام يشمل البيان وغيره ؟ وقد استعان بآيات التحدي الأربع، آية الطور وآية يونس وآية هود وآية البقرة ، وقارن بينها للوصول إلى قول حاسم في هذا الموضوع ، وانتهي به التحقيق إلى أن إعجاز القرآن هو إعجاز عام يشمل المعجزة البيانية والعلمية والتشريعية إلى غير ذلك من وجوه الإعجاز . وقد أثبت هذا التحقيق بنصه في مبحث (تدرج الإعجاز مع مراحل التحدي) [٣].

---

(١) (الكون والإعجاز العلمي في القرآن) الدكتور منصور محمد حسب النبي / ص ٨

(٢) انظر (تعليق الدكتور محمد جمال الدين الفندي على كتاب (الله يتجلى في عصر العلم) لنخبة من العلماء الأمريكيين / ص ١٦٤.

(٣) انظر (الفصل التمهيدي) ص ٤٦ ـ ٤٨

الدليل التاسع :

نحن في عصر ينبني الإقناع فيه على الرؤية والمشاهدة فالتجربة فالنتيجة فالنظرية فالتطبيق ، وهي كلها وسائل ديناميكية للإقناع ، والقرآن بين النظرية والتطبيق بين هذه وتلك قائم مستمر بما يثبت إعجازاً علمياً متجدداً [1] .

ولما أثبتنا للمتوسعين أمثلة دالة على توسعهم فلا بد أن نثبت للمعتدلين أيضاً أمثلة تدل على اعتدالهم في الأخذ بالتفسير العلمي وإعجازه القرآني ، وذلك ليتبين الفرق بين المتوسعين والمعتدلين خاصة وأن كليهما قد ذهب إلى القول بالتفسير العلمي وإعجازه القرآني

فمن أمثلة الاعتدال :

ما عقب به سيد قطب بعد تفسيره لقوله تعالى : ﴿ **خَلَقَ الإِنسَانَ مِنْ صَلْصَالٍ كَالْفَخَّارِ** ﴾[2]. تفسيراً عليما ، وذلك بقوله : " إلا أن هذا الذي أثبته العلم لا يجوز أن يؤخذ على أنه التفسير الحتمي للنص القرآني ، فقد تكون الحقيقة القرآنية تعني هذا الذي أثبته العلم أو تعني شيئاً آخر سواه ، وتقصد إلى صورة أخرى من الصور الكثيرة التي يتحقق بها معنى خلق الإنسان من تراب أو طين ،أو صلصال "[3].

ومن ذلك ما ذكره الإمام محمد الطاهر بن عاشور في قوله : " وهذه الجهة من الإعجاز إنما تثبت للقرآن بمجموعه أي مجموع هذا الكتاب إذ ليس كل آيةٍ من آياته ولا كل سورة من سوره بمشتملة على هذا النوع من الإعجاز ، ولذلك فهو إعجاز

---

(١) انظر (الإعجاز الطبي في القرآن) الدكتور السيد الجميلي / ص ١٨.

(٢) سورة الرحمن ، الآية (١٤) .

(٣) (في ظلال القرآن) ج٦ / ص ٣٤٥١.

حاصل من القرآن ، وغير حاصل به التحدي إلا إشارة نحو قوله تعالى : ﴿ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا ﴾ [(١)] " [(٢)] .

ومن ذلك ما ذكره الدكتور عبد الرحمن حامد في قوله : " ولا ضرورة أبدا نراها مبررة لمحاولات التوفيق بين الحقائق العلمية ، وبين الآيات القرآنية ذات الإشارات العلمية ، والتي لا تشير لتلك الحقائق المعنية ، رجماً بالغيب ، وجهلاً بالمضمون ، مع حسن القصد والغرض ، أو كنتيجة للذهول والانبهار بنتائج البحث العلمي ، والحضارة الغربية المادية الفانية" [(٣)] .

ونختم الأمثلة بما ذكره جمال الدين عياد في قوله : " إن من المفسرين من يجعل ين القرآن والعلم حجاباً ، فيقف بمسائل العلم في القرآن عند المفهوم البدائي الذي يشوه المعنى ويطمس الحقائق .

ومنهم من يقحم القرآن ففي مسائل العلوم إقحاماً ، ويلتمس لكل مسألة علمية آية من كتاب الله يزعم أنها سبقت إليها ، كأن القرآن كتاب علم لا كتاب دين ، لا يترك صغيرة ولا كبيرة من مسائل العلم إلا أحصاها .

ونحن لن نذهب لا إلى هؤلاء ولا إلى هؤلاء ، فلن نتجاهل المسائل العلمية في القرآن ، ولن نلتمس لكلٍ مسألةٍ علميةٍ آيةً من كتاب الله ، وإنما نذهب المذهب الوسط الذي لا تفريط ولا إفراط "[(٤)] .

وهكذا يظهر لنا رأي هؤلاء الذين اتخذوا موقفاً وسطاً بين الإفراط والتفريط وذلك بوضع ضوابط وأسسٍ بنوا عليها رأيهم في القول بالإعجاز العلمي .

---

(١) سورة النساء ، الآية ٨٢.

(٢) (تفسير التحرير والتنوير) ج١/ ص ١٢٩.

(٣) القرآن وعالم الحيوان / ص ٢٧ .

(٤) بحوث في تفسير القرآن – المقدمة / ص ف.

أما الآن فإليك بعض النماذج من الكتب التي قامت على الجمع بين الآيات القرآنية والعلم الحديث :

فمنها : مصنفات الأستاذ عبد الرزاق نوفل في كتبه : (الإسلام والعلم الحديث) ، (الله والعلم الحديث) ، (بين الدين والعلم) ، (القرآن والعلم الحديث) .

ومنها مصنفات الدكتور محمد جمال الدين الفندي في كتبه : (الله والكون) (قصة السموات والأرض) ، (الكون بين العلم والدين)

ومنها : (الإسلام والطب) للدكتور الحاج محمد وصفي .

و (الإسلام والطب الحديث) : للدكتور عبد العزيز إسماعيل .

و (الإعجاز الطبي في القرآن) : للدكتور السيد الجميلي .

و (التفسير العلمي للآيات الكونية في القرآن) :لحنفي أحمد .

و (من دروس سنن الكائنات) : للدكتور محمد توفيق صدقي .

و (القرآن ينبوع العلوم والعرفان) : للسيد على فكري .

و (إعجاز القرآن في علم طبقات الأرض) : لمحمد محمود إبراهيم .

و (ما دل عليه القرآن مما يعضد الهيئة الجديدة القويمة البرهان) : للسيد محمود شكري الآلوسي .

و (القرآن وإعجازه العلمي) :لمحمد إسماعيل إبراهيم .

و (القرآن وعالم الحيوان) للدكتور عبد الرحمن محمد حامد .

و (كشف الأسرار النورانية القرآنية فيما يتعلق بالأجرام السماوية والأرضية والحيوانات والنباتات والجواهر المعدنية) : لمحمد بن أحمد الإسكندراني .

و (التوراة والإنجيل والقرآن والعلم) : للكاتب الفرنسي موريس بوكاي .

المبحث الثالث

الخلاصة

بالنظر المتفحص في الآراء السابقة فيما يتعلق بالتفسير العلمي وإعجازه القرآني ندرك أن المفرطين في المعارضة قد تجاوزوا الحد في الإنكار ، واستدلوا بأدلة رأوها في نظرهم قوية ودالة على ما ذهبوا إليه من إنكار الإعجاز العلمي في القرآن ، ولكنها عند المناقشة والتمحيص لم يثبت لها قرار ، وبان ضعفها ، وما عادت أدلة تقوى على ما ذهبوا إليه من المعارضة لهذا اللون من الإعجاز القرآني .

وفي هذا الرأي قصر للقرآن على ما تعهده الأمة الأمية التي عاصرت التنزيل، وعاشت في ذلك العصر الذي لم يدرك من مخترعات العصر الحديث شيئا ، ولم يدرك ما كشفه العلم وأثبته من حقائق لا مجال للتردد فيها .

وكأن القرآن ما أنزل إلا لذلك العصر فقط دون العصور المتوالية المتتالية إلى قيام الساعة ،وهذا خلاف الحقيقة والواقع .

أما المعتدلون في المعارضة فرأينا كيف أن الخلاف معهم إنما هو خلاف لفظي فحسب ، فما اعتبره دليلا على صدق الوحي والنبوة ، وأن القرآن من عند الله ، هو دليل أيضا على إعجاز القرآن العلمي ، إذ أن الغاية من الإعجاز هي إثبات صدق الوحي والنبوة وأن القرآن من عند الله تعالى .

أما المؤيدون للإعجاز العلمي فلم نسلم لآرائهم بإطلاق دون نظر وتمحيص ولذلك جعلتهم قسمين هما: المتوسعون ، والمعتدلون .

أما المتوسعون فقد توجسنا من متابعتهم والسير على طريقتهم ، وذلك يرجع إلى أمرين :

الأول : توسعهم في التفسير العلمي ، فما من صغيرة ولا كبيرة ، وما جد وما يجد إلا جعلوه في القرآن، وجعلوا القرآن يتسع له ، رغما عن الآيات.

الثاني : ذلك الاستطراد الممل في تفصيل مسائل العلوم والمعارف ، وجعلها من التفسير ، دون أخذ هذه المسائل مسلمة في هذا العلم ، إذ ليس هذا هو مجال التفصيل فيها .

أما المعتدلون ، فهم الذين سلكوا مسلكا وسطا ، لا إفراط فيه ، ولا تفريط ، حيث اثبتوا للقرآن إعجازا علميا يتناسب مع كل عصر بما فيه من علوم ومعارف ، ويتناسب مع كل جيل بما تطيقه قدراتهم ، وجهودهم ، وضبطوا ذلك بقواعد وأسس بنوا عليها رأيهم .

وقد استدل كل فريق من هؤلاء بأدلة كانت مندمجة في آرائهم بكلام إنشائي طويل ، وقد بذلت وسعي وطاقتي في الوقوف على أدلتهم وإبرازها واضحة مرقمة ، مشيرا إلى مراجعها والقائلين بها في الحاشية ،وقد اجتهدت في الرد على ما لا أرتضيه منها فما أصبت من ذلك فمن الله وبتوفيقه وما أخطأت فيه فمن نفسي ومن الشيطان ، وقد لاحظت قارئي الكريم أني لم أناقش أدلة المؤيدين المعتدلين ، ذلك لأن رأيهم هو الرأي المختار عندي ، وقد ارتضيت ما ذهبوا إليه من أدلة ،وما اختطوا من نهج .

ولا بأس أن أضع النقاط على الحروف في القول بالإعجاز العلمي ، لتتبلور الصورة ويتضح المراد ، وذلك فيما يلي :

أولا : إن إعجاز القرآن عام غير مقصور على الناحية البيانية فقط .

ثانيا : إن القرآن معجزة خالدة ، يظهر في كل عصر ما يثبت إعجازه ، وهذا دليل على صلاحية القرآن لكل العصور والأزمان إلى قيام الساعة .

ثالثا : إن النظريات والحقائق العلمية يمكن الاستئناس بها في فهم آيات الله ، دون الجزم بأن هذا هو مراد الله بها ، فقد تعني الآية ذلك ، وقد تعني سواه .

رابعا : إذا توافقت حقيقة علمية ثابتة مع حقيقة قرآنية يمكن اعتبار ذلك إعجازا علميا للقرآن كشف عنه العلم الحديث .

خامسا : إذا تطورت هذه الحقائق مع توافقها أيضا مع حقائق قرآنية فهذا دليل على أن للقرآن في كل عصر آية تدل على إعجازه المتجدد في كل عصر وزمن بما يتناسب مع علوم ذلك العصر وثقافته .

سادسا : لا يجوز لي عنق الآية وإرغامها لتوافق حقيقة علمية ، وإلا فقد حملنا القرآن ما لا تحتمل آياته من المعاني ، مما قد يسبب ردة فعل معاكسة للإعجاز العلمي .

سابعا : إذا أثبت العلم بطلان نظرية علمية سبق أن استأنسنا بها في فهم آية قرآنية ، فذلك لا يضير القرآن في شيء ، ولا يقلل من قيمة حقائقه ، فهو أصل ثابت، وكل العلوم توابع .

ثامنا : ليس شرطا أن يكون لكل حقيقة عليمة ما يوافقها من آيات القرآن ، ومع ذلك فليس في القرآن ما يتناقض مع ما ثبت من العلوم ثبوتا قطعيا .

تاسعا : إذا ما حدث تعارض في الظاهر بين القرآن والعلم ، فلابد أننا قد أخطأنا في فهم مراد الله ، أو أخطأ العلم طريقه ، وهذا مدعاة لأن نعيد النظر في فهم مراد الله بكلامه ، أو نتحقق فيما ثبت لدينا من علم .

عاشرا : إن القرآن لا تنقضي عجائبه ، ولا يخلق على كثرة الرد ، ولا يبخل بمعجزاته ، فلا يحوز الوقوف به عند حد لا يتجاوزه إلى سواه .

الحادي عشر : إن القرآن نزل لكافة الخلق ، عربيهم وأعجميهم ، عالمهم وجاهلهم ، فلا بد أن يجد فيه كل ما يتناسب مع حاله ، وما يصلح دليلا على إعجازه، لتلزمه الحجة ،ويقوم عليه الدليل .

الثاني عشر : لا يجوز لنا أن نستطرد في علم التفسير بحث مسائل العلوم وتفصيلاتها، إذ ليس هذا هو مجال البحث فيها ، وإنما تؤخذ مسلمة في هذا العلم .

الثالث عشر : نؤكد أن القرآن كتاب هداية وإعجاز معا ، فلا يجوز قياسه على الكتب السماوية السابقة ولا يجوز قصره على هدف من أهدافه دون سواه .

الرابع عشر : الإعجاز العلمي يثبت للقرآن بمجموعه ، إذ ليس في كل آية أو في كل سورة هذا النوع من الإعجاز .

الخامس عشر : ليس القرآن كتاب طب أو هندسة أو فلسفة ، أو فلك أو كيمياء أو غير ذلك من العلوم ، فهو وإن كان يشير إلى أصل هذه العلوم، إلا أنه لم يتطرق إلى التفصيل في مسائلها والخوض في جزئياتها ، وإنما ترك ذلك لجهود البشر ، وهذا لا ينفي إشارة القرآن إلى حقائق علمية تؤكد إعجازه العلمي على مر العصور.

السادس عشر : إن لغة العلم هي اللغة المتداولة والمتعارف عليها في هذا العصر ، وعلى ذلك يكون الإعجاز العلمي هو لغة التخاطب وسبيل الدعوة خاصة مع الذين لا يتكلمون العربية ، ولا يدركون الإعجاز البياني في القرآن ، مع أنه لا يجرؤ أي مكابر أو ملحد أن يجد موضعاً للتشكيك في هذا النوع من الإعجاز .

السابع عشر : يقوم الإعجاز العلمي بمثابة تجديد للرسالة الإسلامية ، فكأنما رسول الله صلى الله عليه وسلم قائم في كل عصر يدعو الناس إلى دين الله ، ويريهم دليلاً على صدقه آية (جديدة) تطابق ما بين العلم الحديث والقرآن الكريم مصداقا لقوله تعالى : ﴿سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الآفَاقِ وَفِي أَنفُسِهِمْ حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ﴾ فصلت (٥٣) .

وبهذه القواعد والأسس والضوابط يشرق الإعجاز العلمي ، ويصبح حقيقة مسلمة لا ينكرها إلا مكابر جاحد .

الفصل الثالث

نماذج من الإعجاز العلمي في القرآن

بين يدي الفصل :

المبحـــث الأول : عالم الكون

المبحث الثـــاني : عالم الإنسان

المبحث الثـــالث : عالم الحيوان والحشرات

المبحث الرابـــع : عالم النبات

المبحث الخامس : عالم البحار والمحيطات

المبحث السادس : عالم الطب والصحة العامة

بين يدي الفصل :

انطوى القرآن الكريم على آيات بينات كثيرة فيها حقائق علمية غاية في الأصالة والموضوعية فيما يتعلق بالكون بما فيه من سماوات وأرض ونجوم وكواكب وتعاقب لليل والنهار ، ثم جاء عن خلق الإنسان وتطوره جسماً وعقلاً وروحاً ، ثم ما ذكره عن الحيوانات والحشرات والنباتات والبحار والمحيطات وغير ذلك من الكائنات والمخلوقات ، وما فيه من آيات بينات تحفظ على الإنسان صحته وتديم له نشاطه ، وكل ذلك لم يكن الإنسان قبل نزول الآيات ولا بعد نزولها بزمن طويل يعلم عن حقائقه شيئاً ، بل ظل ذلك سراً مطوياً عن العقل لبشري ، ليكشف عن أسرارها ونواميسها شيئاً فشيئاً حسب ما لديه من علوم ومعارف وحسب ما يتوصل إليه من حقائق علمية ثابتة ، فيدرك بذلك أن القرآن إنما هو وحي من عند الله ، وما كان لنبي أُمّيٍّ أن يأتي بمثل هذه الحقائق القرآنية العلمية الثابتة من عند نفسه ، وهذا تحقيق لوعد الله : ﴿ سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الآفَاقِ وَفِي أَنْفُسِهِمْ حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ ﴾ (١) .

ويطيب لي أن أستعرض في هذا الفصل نماذج متنوعة للإعجاز العلمي في القرآن ، والحديث في ذلك يصعب حصره ،ويطول بحثه ، ولا يتسع له هذا المقام ، لذلك فقد جعلت هذا الفصل في ستة مباحث ، وكل مبحث منها يحتوي على عدة نماذج من هذا الإعجاز العلمي .

---

(١) سورة فصلت ، الآية (٥٣) .

المبحث الأول

عالم الكون

شاء الله أن يجعل هذا الكون العجيب كتاباً مفتوحاً يقرؤه كل من يتأمله بعين العقل والفكر والوجدان ، ليتضح أمام بصيرته ما فيه من روعة وجمال وبهاء ، وما أودعه الله في نظامه الدقيق من قوانين ونواميس تحكمه وتنظمه ، وقد جاءت آيات قرآنية فيها إشارات إلى هذه العلوم الكونية ،وقد استطاع أولو الألباب من العلماء أن يلمسوا الصلة الوثيقة بين ما أوحى الله به وما كشف عنه العلم الحديث بعد عدة قرون من نزول القرآن ، وسنتناول في مبحثنا هذا عدة نماذج من آيات قرآنية كونية تتعلق بنشأة هذا الكون من سماء وأرض وما فيها من نواميس علمية ، يكشف عنها العلم الحديث ، يثبت مصداقيتها كحقائق علمية ثابتة ، وإليك مجموعة من هذه النماذج مرقمة:

١- من ذلك قول الله تعالى : ﴿ أَوَلَمْ يَرَى الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ كَانَتَا رَتْقًا فَفَتَقْنَاهُمَا وَجَعَلْنَا مِنْ الْمَاءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ أَفَلا يُؤْمِنُونَ ﴾ (١) .

اشتملت هذه الآية على حقيقتين علميتين أثبتهما العلم الحديث :

الأولى : ما أثبته علم الفلك الحديث بعد ألف سنة وأكثر من نزول القرآن بأن السموات والأرض كانتا متصلتين ، كتلة واحدة ، ثم وقع الانفصال بينهما ، فتكونت السموات التي تظلنا ، والأرض التي تقلنا ، وهذه الكتلة قبل انفصالها كانت غازية ذات ذرات أو جزيئات ، وهي المبينة في قوله تعالى : ﴿ ثُمَّ اسْتَوَى إِلَى السَّمَاءِ وَهِيَ دُخَانٌ فَقَالَ لَهَا وَلِلأَرْضِ ائْتِيَا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا قَالَتَا أَتَيْنَا طَائِعِينَ ﴾(٢) .

---

(١) سورة الأنبياء ، الآية (٣٠) .

(٢) سورة فصلت ، الآية (١١) .

فالدخان عموماً يتكون من قوام غازي تعلق به جزيئاتٌ دقيقةٌ ، وقد أثبت العلمـــاء أن مادة الكون الأولى هي الأيدروجين ، خلقت ، وما تزال تخلق في الوجود مـــن عــدم مطلق ، وبطريقة لا يمكن للعلم أن يعرف عنها شيئاً ، أو يدري بظروفها ، أو يعلـــم بمكانها ، وهذا يدعونا إلى الاعتراف بفكرة الخلق .

ولذلك نجد الكون في توسع مستمر ، وهي حقيقة علمية ثابتة ، وقد قُدِّرَ هـــذا التمدد بنحو خمسة أميال ومائة ميل في الثانية ، لكل بُعْدٍ قدره مليون ســنة ضوئيــة ، وإن حجم الفضاء العالمي الآن يبلغ عشرة أمثال حجمه منذ بدأ تمدده ، ويشبِّه العلمــاء هذا التمدد بالبالون الذي يزداد حجماً كلما ازداد هواء .

وهذا ما أشار إليه قوله تعالى : ﴿ وَالسَّمَاءَ بَنَيْنَاهَا بِأَيْيدٍ وَإِنَّا لَمُوسِعُونَ ﴾[1].

وهكذا فقد أشار القرآن إلي هذه البداية الكونية في ثلاث آيات غاية في الدقـــة والإتقان والإيجاز .

أيكون في مقدور أميٍّ — منذ أربعة عشر قرناً — أن يدرك هذا في وقت كان النـاس لا يعرفون شيئا عن هذا الكون وخفاياه إلا أن يكون ذلك بوحي الله .

حقاً إنه الإعجاز العلمي الذي يثبت صدق الوحي ودليل النبوة [2] .

---

(١) سورة الذاريات ، الآية (٤٧) .

(٢) انظر في ذلك (الكون والإعجاز العلمي للقرآن) الدكتور منصور محمد حسب النبي / ص٣٢٥
و(التوراة والإنجيل والقرآن والعلم) للكاتب الفرنسي موريس بوكاي / ص ١٢٩. ص ١٣٦، ١٥١.
و(الإسلام والكون) للدكتور عبد الغني عبود / ص ٢١.
و(الله والكون) صلاح الدين أبو العنينن / ص ١٣٥ .
و(القرآن والعلم) أحمد محمود سليمان / ص ٤٢ -٤٣.
و (تفسير القرآن الحكيم) للسيد محمد رشيد رضا / ج١/ ص ٢١٠.
و (القرآن يَنبوع العلوم والعرفان) للسيد على فكري / ج١/ ص ٢٠٧.
و(مجلة الرسالة) عدد(٧٠٦) : مقال للدكتور محمد أحمد الغمراوي / ص ٥٤-٥٥.

الثانية : أشارت الآية إلى حقيقة علمية أخرى ، وهي أن الماء هو المكون الهام في تركيب مادة الخلية ، وهي وحدة البناء في كل كائن حي ، نباتاً كان أو حيواناً، وهو لازم لحدوث جميع التفاعلات والتحولات التي تتم داخل أجسام الأحياء ، وهو ضروري لقيام كل عضو بوظائفه ، وبدون هذا الماء لا تتوفر مظاهر الحياة ولا مقوماتها (١) .

٢- ومنها قوله تعالى : ﴿ **اللَّهُ الَّذِي رَفَعَ السَّمَوَاتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ كُلٌّ يَجْرِي لأَجَلٍ مُسَمًّى** ﴾ (٢) .

" النظرية العلمية لهذه الآية : أنه كلما نظر الإنسان إلى نجوم السماء وكواكبها يراها متماسكة وثابتة في موضعها ،وهي سابحة في أفلاكها طبقاً لنظام بديع لا يحيد عنه أبداً ، وقد فسر العلم هذه القوة الكونية التي تحفظ السماء والأرض والكون من التفكك وتصونه من الاضطراب والخلل بأنها قوة الجاذبية التي اكتشفها عالم رياضيات إنجليزي هو " نيوتن" ففي أوائل القرن السابع عشر عندما لاحظ يوما أن تفاحة سقطت عن شجرتها على الأرض ، فأخذ يفكر في أسباب سقوطها ، هي وغيرها من الأجسام التي تقع تلقائياً على الأرض ، وهداه تفكيره العميق إلى الوصول إلى إستنباط نظرية الجاذبية ، واستطاع أن يضع بها قوانين دقيقة أثبتت صحتها بالتجارب العلمية ، ووضع بما لا يقبل الشك أن هناك علاقة بين كتل الأجسام المتجاذبة وبين المسافات التي بينها ، وقد ساعد قانون الجاذبية علماء الفلك في فهم الكثير من الحقائق الكونية التي كانت مجهولة تماماً من قبل " (٣) .

ويؤخذ من الآية حقيقة علمية أخرى وهي أن الشمس والقمر غير مستقرين فهما يجريان لأجل مقدر لهما ، ويؤكد هذه الحقيقة قوله تعالى : ﴿ **وَالشَّمْسُ تَجْرِي**

---

(١) انظر (عقيدة المسلم وما يتصل بها) للشيخ عبد الحميد السائح / ص ٢٧٢.

(٢) سورة الرعد ، الآية (٢) .

(٣) انظر (القرآن وإعجازه العلمي) لمحمد إسماعيل إبراهيم / ص ١٤٧.

لِمُسْتَقَرٍّ لَهَا ذَلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ . وَالْقَمَرَ قَدَّرْنَاهُ مَنَازِلَ حَتَّى عَادَ كَالْعُرْجُونِ الْقَدِيمِ . لا الشَّمْسُ يَنْبَغِي لَهَا أَنْ تُدْرِكَ الْقَمَرَ وَلا اللَّيْلُ سَابِقُ النَّهَارِ وَكُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ﴾(١) .

" كان المعتقد قديماً أن الشمس ثابتة ، فجاء بعض علماء المسيحيين وقالوا إن الشمس تتحرك ، وحكمت عليهم الكنيسة بالإعدام لاعتبار أن كلامهم كفر في نظرهم ، وتقدمت الأجيال ، وأخر ما توصل إليه العلم الحديث أن الشمس تجري بحركة دورية لولبية نحو نجمة تدعى بالنجم الواقع " (٢) .

يقول الدكتور منصور محمد حسب النبي عن آية يس في جريان الشمس : "هذه الآية الكريمة تمثل إعجازاً علمياً رائعاً للقرآن ، فالفعل (تجري) ينطبق في أعين الناس والمفسرين الذين لم يعيشوا عصر العلم على حركة الشمس الظاهرية اليومية من المشرق إلى المغرب ، ولكن الحقيقة أن الفعل (تجري) يعبر عن حركة واقعية أثبتها العلم الحديث للشمس التي اتضح أنها تنتقل في الفضاء وتجر معها بالجاذبية كواكبها التي تدور حولها ،والفعل يدل ليس فقط على حركة انتقالية ذاتية للشمس ولكن يدل أيضاً على عظم تلك الحركة لأن الجري طبعاً يدل على السرعة في المشي أو السير .

ولقد تمكن العلماء من تحديد سرعة هذه الحركة للشمس ومعها النظام الشمسي بحوالي تسعة عشر كيلومتراً في الثانية في الفضاء الكوني ، نحو نقطة في كوكبة هرقل مجاورة لنجم يدعى (فيجا) في الإفرنجية (والنسر الواقع) في العربية . وهذه النقطة تدعى علمياً مستقر الشمس ، وهكذا يثبت علمياً باستخدام أحدث آلات الرصد ومقاييس الطيف بأن للشمس جرياً حقيقياً في الفضاء محدد المقدار والاتجاه مما يثبت بالدليل القاطع أن القرآن الكريم من عند الله وأن محمداً رسول الله ، إذ كيف يتسنى لمحمد النبي الأمي أن يأتي بكل هذه الحقائق ، وهو مجرد من كل وسائل العلم ومنذ

---

(١) سورة يس ، الآية (٣٨ ـ ٤٠) .

(٢) القرآن والعلوم / سعيد ناصر الدهان / ص ٩٢.

أربعة عشر قرناً من الزمان إلا إذا كان القرآن وحياً من الله سبحانه وتعال خالق الشمس" [1]

ومما ينفي مقصود الآية بجريان الشمس تلك الحركة الظاهرية التي نراها قوله تعالى : ﴿ وَالشَّمْسِ وَضُحَاهَا . وَالْقَمَرِ إِذَا تَلاهَا . وَالنَّهَارِ إِذَا جَلاهَا . وَاللَّيْلِ إِذَا يَغْشَاهَا ﴾ [2] .

" ويتلخص معنى الآيات في أن النهار هو الذي يظهر الشمس ، وأن الليل هو الذي يخفيها ، فأي دقة في التعبير أكثر إحكاماً من هذه ؟ فما هو ثابتٌ أن حركة الشمس اليومية من الشرق إلى الغرب إنما هي حركة ظاهرية سببها دوران الأرض لا تحرك الشمس ، فالشمس بالنسبة لنا ثابتة لا تتحرك ، إذ هي لا تدور حول الأرض وبذلك فإن الليل والنهار لا ينتجان من دورانها حولنا حسب ما كان القدماء يعتقدون وإنما دوران الأرض حول نفسها هو الذي ينتج عنه أن يتعرض إحدى نصفيها لضوء الشمس فيصير نهاراً ، ويبتعد النصف الآخر عن مدى الضوء فيصير ليلاً ، فدوران الأرض إذن هو الذي يظهر الشمس فيكون النهار ، وهو الذي يخفيها فيكون الليل وهذا هو نص القرآن ، فلو كان من عند بشر كما يدعون لقال إن الشمس هي التي تسبب النهار بظهورها لا أن النهار هو الذي يظهرها ، ولقال إنها تختفي فتسبب الليل لا أن الليل هو الذي يخفيها " [3] .

ويؤخذ من آيات سورة (يس) حقيقة علمية أخرى وهي أن القمر غير ثابت حيث ينزل منازل مختلفة يتغير فيها مظهره.

---

(١) (الكون والإعجاز العلمي للقرآن)ص١١٩. وانظر (عقيدة المسلم وما يتصل بها) للشيخ عبد الحميد السائح / ص ٢٧٤-٢٧٥. و(تفسير القرآن الحكيم) للسيد محمد رشيد رضا / ج١ ص٢١١.

(٢) سورة الشمس ، الآية (١ -٤) .

(٣) القرآن والعلم : أحمد محمود سليمان / ص ٣٤.

" فهو خلال دورته حـول الأرض ، ودورة الأرض حـول الشـمس ، يمـر بمجموعات من النجوم تسمى بمنازل القمر ، وفي الربع الأول والأخير مـن الشـهر يظهر القمر شكله كالعرجون القديم أي كسباطة إذا قدمت ويبست " [1] .

" ولا بد لأن ينزل القمر منازل مختلفة من أن ينتقل من مكان لآخـر وبذلـك فالقرآن يعلل أوجه القمر بأن سببها هو انتقال القمر في أمكنة مختلفة بالنسبة للأرض ، وهو في انتقاله يتغير مظهره ، فيزيد حتى يصير بدراً ، ثم يعود فيتنـاقص تدريجيـاً حتى إذا كان في آخر منازله دق واستقوس وصار هلالاً . وهذا يطابق ما وصل إليـه العلم أخيراً ، وهو أن سبب ظهور القمر بأوجه مختلفة هو دورانه حول الأرض مـع مواجهته لها بوجه واحد"[2].

وهناك حقيقة ثالثة من الآيات نفسها ، وهي : " أنه لا يمكن أن تدرك الشـمس القمر ، لأن كلا منهما تجري في أفلاك متوازية ، فيستحيل أن تتقابلا ، كما يستحيل أن يسبق الليل النهار " [3] .

ومعلوم أن عدم سبق الليل للنهار راجع " لدوران الأرض حول محورها بمـا يعادل مرة كل أربع وعشرين ساعة ، ولو قل معدل دورانها عن ذلك لطال النهار بمـا قد يؤثر في النبات والأحياء صيفاً ، ولطال الليل بما قد تتجمد بسببه السوائل ، وبذلـك تقل مسببات الحياة ، والتي لو زادت لانعدمت شيئاً فشيئاً " [4] .

٣- ومنها قوله تعالى : ﴿ **فَمَنْ يُرِدْ اللَّهُ أَنْ يَهدِيَهُ يَشْرَحْ صَدْرَهُ لِلإِسْلامِ وَمَنْ يُرِدْ أَنْ يُضِلَّهُ يَجْعَلْ صَدْرَهُ ضَيِّقًا حَرَجًا كَأَنَّمَا يَصَّعَّدُ فِي السَّمَاءِ** ﴾ [5].

---

(١) عقيدة المسلم وما يتصل بها / الشيخ عبد الحميد السائح / ص ٢٧٤.

(٢) القرآن والعلم / أحمد محمود سليمان / ص ٣٠ .

(٣) عقيدة المسلم وما يتصل بها / الشيخ السائح / ص ٢٧٤.

(٤) الله والعلم الحديث / عبد الرازق نوفل .

(٥) سورة الأنعام ، الآية (١٢٥) .

يقول الدكتور محمد جمال الدين الفندي : "والحقيقة العلميــة الثابتــة هــي أن الهواء تتناقص كثافته سريعاً بالارتفاع فوق سطح الأرض ، وأن اكثر من نصف وزن الغلاف كله يتركز في الستة كيلو مترات الأولى ، وأكثر من ثلاثة أربــاع كتلتــه أو وزنه توجد في الاثنتي عشرة كيلومتراً الأولى ، وتبلغ كثافة الهواء على ارتفاع (٨٠) كيلو مترا فوق السطح نحو جزء واحد من مائة جزء من كثافته عند الســطح ، أي أن ٩٩% من كتلة هواء الأرض توجد في الطبقة الأولـــى الممتــدة علــى نحــو (٢٠) كيلومتراً، وهذا هو سر تناقص الأكسجين الجوي سريعاً مع الارتفاع حتى إن الإنســان يشعر بضيق الصدر مع الارتفاع ، ويختنق على علو نحو (١٢) كيلو متراً فقط " [1] .

أما عن الأرض فمن الآيات الدالة على إعجاز علمي ما كــان منــها متعلقــاً بكرويتها وحركتها والجبال المثبتة لها ، والرياح الملقحة للسحب في فنائها الجــوي ، والسحب المتراكمة لإنزال المطر عليها ...

٤- فمن ذلك قوله تعالى : ﴿ وَالأَرْضَ بَعْدَ ذَلِكَ دَحَاهَا ﴾ [2] .

" هذه الآية دليل ليس بعده دليل على معجزة القرآن العلمية ، فالدحيـــة هــي البيضة وما زالت معظم الأقطار العربية لا تعرف البيضة إلا باسم الدحية ، فكــأن الله سبحانه وتعالى يحدد شكل الأرض بالبيضة ، وقد كان أصدق وصف علمـــي لشــكل الأرض ما قيل من أنها كروية منبعجة من الوسط [3].

---

(١) الله والكون / ص ١١ [illegible] ر ص ٤٢٢-٤٣٢- وانظر (بين الطب والإسلام) للدكتور حامد الغوابي / ص ٨٤، (ظواهر جغرافية في ضوء القرآن الكريم) إبراهيم حسن النصيرات / ص١٤٠، و(الإنسان بين العلم والدين) شوقي أبو خليل / ص ١٠٨-١٠٩، وتعليق الدكتور محمد جمال الدين الفندي على كتاب (الله يتجلى في عصر العلم) لنخبة من العلماء الأمريكيين / ص١٦٤.

(٢) سورة النازعات ، الآية (٣٠).

(٣) الله والعلم الحديث / عبد الرزاق نوفل / ص ١٧٧ ، وانظر (الإنسان بين العلم والدين) شــوقي أبو خليل ص ١٠١-١٠٢ ، و (تفسير القرآن الحكيم) محمد رشيد رضا /ج١/ ص٢١١.

وقد صرح سبحانه بهذا التكوير في آية أخرى حيث يقول تعالى : ﴿ يُكَوِّرُ اللَّيْلَ عَلَى النَّهَارِ وَيُكَوِّرُ النَّهَارَ عَلَى اللَّيْلِ ﴾ (١) .

يقول الدكتور أحمد عبد السلام الكرداني : " والتكوير اللف واللي كما يقول الزمخشري في تفسيره (٢) ، إلا أنه جعل يلتمس لذلك معنى مجازياً لما غاب عنه ما ظل مجهولاً للناس أجمعين لعدة قرون بعده (من أن الله سبحانه يلف الليل على النهار بلي حقيقي لأشعة ضوء الشمس في غلاف الأرض الهوائي الذي تملؤه الظلمة وهي تدور " (٣) .

والآية تفيد استدارة الليل على ما كان نهاراً واستدارة النهار على ما كان ليلاً ، وهذا دليل على كروية الأرض ودورانها (٤) .

وقد جاء العلم الحديث بأجهزته وأقماره وسفنه الفضائية ورواده ليقول إن محيط الأرض عند القطبين (٢٤٢٢٠) ميلاً ، بينما محيطها عند خط الاستواء (٢٤٩٠٠) ميل ، أي بزيادة تقارب (٧٠٠) ميل ، أما قطراها فالمار بالقطبين (٧٩٠٠) ميل ، والاستوائي (٧٩٢٧) ميلاً ، أي بزيادة قطرية تبلغ (٢٧) ميلاً .

كيف عرف محمد بن عبد الله قبل ألف سنة أن شكل الأرض يماثل شكل الدحية ؟ إلا بوحي من الله " (٥) .

أضف إلى آية الزمر السابقة آيات كثيرة تتحدث عن حركة الأرض ودورانها.

---

(١) سورة الزمر ، الآية (٥) .

(٢) انظر (الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل) ج٣/ ص٣٨٧.

(٣) الإعجاز العلمي للقرآن / ص٣٤.

(٤) انظر (الكون والإعجاز العلمي للقرآن) للدكتور منصور محمد حسب النبي / ص ١٥٨، ص١٦٤، و(الوحي المحمدي) للسيد محمد رشيد رضا / ص٣١١.

(٥) انظر (مقدمة دلائل النبوة للبيهقي) بقلم عبد الرحمن محمد عثمان ، ج١/ص...

٥- منها قوله تعالى : ﴿ وَتَرَى الْجِبَالَ تَحْسَبُهَا جَامِدَةً وَهِيَ تَمُرُّ مَرَّ السَّحَابِ صُنْعَ اللَّهِ الَّذِي أَتْقَنَ كُلَّ شَيْءٍ إِنَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَفْعَلُونَ ﴾ (١).

" هذه الآية تقرر حركة انتقالية للأرض قبل أن يعرفها العالم ، بقرون ويلحقها قدامى المفسرين بآيات الجبال ،إذ لم يخطر ببالهم ، أن للأرض حركة ، وينكر بعض المحدثين أن تكون الآية عن الجبال في الدنيا ، وذلك صوناً للآيات القرآنية أن نقحم عليها النظريات العلمية ، بل أن نقحم عليها الحقائق العلمية ، ناسين أن الطريق الصحيح لصون القرآن عن مثل هذا ليس هو إيصاد الباب دون إثبات الإعجاز العلمي للقرآن ،ولكن هو النقد الدقيق لدليل ذلك الإعجاز ، وإن حركة الجبال هذه لا بذاتها " لأنها في مرآى العين جامدة " ولكن بواسطة الأرض التي تحملها ، أي أن الآية تثبت حركة انتقالية عن طريق إثبات حركة للجبال تشبه حركة السحاب وهي معجزة علمية قرآنية لا شك فيها (٢) .

وهذا الدوران يتمثل في نوعين من الحركة ، حركة حول نفسها ، وهي المسماة (بالحركة اليومية) ، وحركة حول الشمس ، وهي المسماة (بالحركة السنوية)، " فالحركة اليومية هي عبارة عن دوران الأرض حول نفسها من المغرب إلى المشرق في مدة أربع وعشرين ساعة مرة واحدة ، وإن مشاهدتنا لتحرك الشمس والكواكب حول أرضنا ما هي إلا في الظاهر فقط ، وإنما هو ناشئ من حركة الأرض، ومن هذه الحركة يتولد تعاقب الليل والنهار ، لأن الشمس لا تضيء إلا النصف المقابل لها من الأرض فقط فيكون عند أهل هذا النصف نهار ، وعند النصف الآخر ليل .

---

(١) سورة النمل ، الآية (٨٨) .

(٢) انظر (الإسلام في عصر العلم) الدكتور أحمد محمد الغمراوي / ص٢٧٣-٢٧٤.

أما الحركة السنوية ، وهي المسماة عند علماء الهيئة (بالحركة الانتقالية) فهي عبارة عن دوران الأرض حول الشمس من المغرب إلى المشرق أيضاً في مدة سنة كاملة ، وهي عبارةٌ عن ٣٦٥ يوماً وربع يومٍ تقريباً.

وهذه المدة هي المُعَبَرُ عنها (الشمسية الشمسية) ، وتقطع الأرض في اليوم الواحد أثناء هذه الحركة السنوية ما يزيد على نصف مليون من الفراسخ . ومن هذه الحركة يتولد تعاقب الفصول الأربعة ، وهي الربيع والصيف والخريف والشتاء " (١).

ومما يؤكد هذه الحركة للشمس قوله تعالى : ﴿ يُغْشِي اللَّيْلَ النَّهَارَ يَطْلُبُهُ حَثِيثًا ﴾(٢).

إنها ظاهرة زحف النهار إثر الليل حالاً محله من طرف ، وزحف الليل إثر النهار حالاً محله من الطرف الآخر ، في كل بقعة من بقاع الأرض أثناءِ دورتها اليومية حول نفسها أو حول محورها أمام الشمس نتيجة لذلك الدوران إنه تتابع مستمر باستمرار هذه الحركة اليومية للأرض أمام الشمس(٣).

ومن الآيات الدالة على الحركة أيضا قوله تعالى : ﴿ وَآيَةٌ لَهُمْ اللَّيْلُ نَسْلَخُ مِنْهُ النَّهَارَ فَإِذَا هُمْ مُظْلِمُونَ ﴾ (٤) ، " فكل جزءٍ يسلخُ منه نور الشمس يكون مغرباً ، وكل جزء يغطي نور الشمس ظلامه يكون مشرقا ، ولذلك تتعدد المشارق والمغارب قال تعالى : ﴿ فَلا أُقْسِمُ بِرَبِّ الْمَشَارِقِ وَالْمَغَارِبِ إِنَّا لَقَادِرُونَ ﴾ (٥).

---

(١) انظر (القرآن ينبوع العلوم والعرفان) للسيد على فكري / ج٢/ ص١٢٤-١٢٦. و(ظواهر جغرافية في ضوء القرآن الكريم) إبراهيم حسن النصيرات / ص ٥١.

(٢) سورة الأعراف ، الآية (٥٤).

(٣) انظر (الإعجاز العلمي للقرآن) للدكتور أحمد عبد السلام الكرداني / ص٣٣. و(الكون بين العلم والدين) للدكتور محمد جمال الدين الفندي / ص١٤٣. و(التوراة والانجيل والقرآن والعلم) للكاتب الفرنسي موريس بوكاي / ص١٤٨-١٤٩.

(٤) سورة يس ، الآية (٣٧).

(٥) سورة المعارج ، الآية (٤٠) .

والسبب في كل ذلك راجعٌ إلى حركة الأرض اليومية حول محورها "[1] .

وقد سبق ، مر معنا قوله تعالى : ﴿ وَلا اللَّيْلُ سَابِقُ النَّهَارِ وَكُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ﴾[2]، والآية دليل أيضاً على حركة الأرض ودورانها [3].

٦- أما عن الجبال ودورها في تثبيت الأرض ، فيقول تعالى : ﴿ وَالْجِبَالَ أَوْتَادًا﴾[4] فهذه الآية هي إحدى المعجزات العلمية للقرآن الكريم والتي كشف عنها علم الجيولوجيا في العصر الحديث :

يقول عفيف عبد الفتاح طبارة " إن القشرة الأرضية مكونة من طبقتين "السيال" : وهي عبارة عن مادة غرانيتية تتكون منها كتل القارات ، وأغلب مركباتها السيليكا الألمنيوم ، ونظراً لقلة كثافة هذه المادة فهي تطفو فوق مادة أخرى أكثر منها كثافة ، وهي " السيما " المادة الثانية التي تتكون منها قشرة الأرض ، وهي مادة بازلتية ، يتكون منها قاع المحيطات ، وترتكز عليها كتل القارات ، وهذه المادة أكثر كثافة من الأولى ، وتتألف من عناصر تغلب عليها السيليكا والمغنسيوم .

ولاحظ الجيولوجيون أن " السيال " تضغط دائماً على السيما " التي تصبح بذلك لزجةً إلى حدٍ ما .

والقارات وما عليها من الجبال المكونة من مادة " السيال " تطفو على سطح مادة السيما " كما تطفو السفن فوق سطح الماء .

ومن الملاحظ أن الجبال المرتفعة فوق ظهور القارات تتجمع تحتها كتل "السيال" فيغطس ويغور جزء كبير من الجبال بين صخور "السيما" إلى أعماق تفوق كثيراً ارتفاعات هذه الجبال فوق الأرض ، وتلك هي الجذور ،ويتناسب غور هذه الجذور تحت سطح الأرض تناسباً طردياً مع ارتفاع الجبال فوقها ، فكلما استطال

(١) انظر (معجزات قلب القرآن) هاشم محمد سعيد /ص٣١٨.

(٢) سورة يس ، الآية (٤٠) .

(٣) انظر هذا الفصل ، ص ١٧٥ .

(٤) سورة النبأ ، الآية (٧) .

الجبل ارتفاعاً في الهواء ، غاص جذره في باطن الأرض ، ولقد تبين أن طول الجذر يفوق ارتفاع الجبل أربع مرات ونصف مرة ،وعلى ذلك فإن الجبال بارتفاعها الشاهق وبجذورها العميقة تشبه الأوتاد التي يكون جزؤها الغالب في باطن الأرض أكبر من جزئها الظاهر " [1].

ويؤكد هذا التفسير العلمي الذي أورده طبّارة قوله تعالى : ﴿ **وَالْجِبَالَ أَرْسَاهَا** ﴾ [2].

وكأن الآية تشبه الجبال في رسوها بالسفن حينما ترسو على سطح الماء ، بما يوحي أن الجبال راسية على مادة سائلة .

وقد أحسن الغمراوي حيث قال :

" إن هناك سائلاً ترسو فيه الجبال كما ترسو السفينة في ماء البحر ، وينقل عن العالم الجيولوجي القس أ . فيشر قوله " إن البحث من ناحيته الرياضة والجيولوجية يدل على أن تحت القشرة الأرضية طبقة سائلة تحوي غازات مذابة ، وأن الجبال لها جذور غير منصهرة ذاهبة في منصهر سائل مادته أثقل من مادتها "[3].

ومثل الآية السابقة قوله تعالى: ﴿ **وَجَعَلْنَا فِيهَا رَوَاسِيَ شَامِخَاتٍ وَأَسْقَيْنَاكُمْ مَاءً فُرَاتًا** ﴾[4]. وقوله تعالى : ﴿ **وَهُوَ الَّذِي مَدَّ الْأَرْضَ وَجَعَلَ فِيهَا رَوَاسِيَ وَأَنْهَارًا..** ﴾[5]. وقوله تعالى: ﴿ **وَالْأَرْضَ مَدَدْنَاهَا وَأَلْقَيْنَا فِيهَا رَوَاسِيَ وَأَنْبَتْنَا فِيهَا مِنْ كُلِّ زَوْجٍ بَهِيجٍ** ﴾[6].

---

(١) روح القرآن ، تفسير جزء عم /ص١٨-١٩.

(٢) سورة النازعات ، الآية (٣٢) .

(٣) (الإسلام في عصر العلم) / ص٢٩٢-٢٩٣ بتصرف .

(٤) سورة المرسلات ، الآية (٢٧).

(٥) سورة الرعد ، الآية (٣) .

(٦) سورة ق ، الآية (٧) .

فما الذي أدرى محمداً صلى الله عليه وسلم بكل هذه الحقائق العلمية الثابتة لو لم يكن القرآن من عند العليم الخبير .

٧- ونلاحظ علاقة بين الجبال الشاهقة وإنشاء السحاب ونزول الماء العذب منه ، قال تعالى : ﴿ وَجَعَلْنَا فِيهَا رَوَاسِيَ شَامِخَاتٍ وَأَسْقَيْنَاكُمْ مَاءً فُرَاتًا ﴾ (١)." لقد أثبت العلم أن أهم العوامل الطبيعية لتبريد الهواء الجوي هي الرياح والجبال وأن الجبال العالية في تعرضها للرياح الأفقية المنخفضة تجبرها على الصعود إلى أعالي الجو حيث تبرد ويتكاثف بخار الماء فيها إلى سحاب ، كما أن قممها العالية التي تكون دائماً مكسوة بطبقة من الجليد تبرد السحاب الذي يمر بها وتعمل على تكثيفه وإنزال الماء منه .

وهكذا فقد فصل العلم تلك العلاقة بين الجبال الشاهقة وتبريد الرياح وإظهار السحاب وإنزال الماء ، في حين أن القرآن قد اكتفى بالإشارة إلى ذلك الاقتران "(٢) .

٨- وللرياح دور في تلقيح السحب ، قال تعالى : ﴿ وَأَرْسَلْنَا الرِّيَاحَ لَوَاقِحَ فَأَنْزَلْنَا مِنْ السَّمَاءِ مَاءً فَأَسْقَيْنَاكُمُوهُ وَمَا أَنْتُمْ لَهُ بِخَازِنِينَ ﴾ (٣). وهذه تتضمن العديد من حقائق علم الرصد الجوي بعيداً عن فكرة تلقيح الرياح للنباتات التي نادى بها الأقدمون، والتي لا نرى الوقوف عند حدها في عصرنا (٤) ، إذ لم يرد فيها ذكر للنبات أو للأرض ، أو ما يدل على قصر هذه الآية على تلقيح النباتات ، فانظر إلى نور القرآن عندما قرر العلم الحديث أن الرياح إنما هي لواقح للسحب التي يتم بها نزول الماء من السماء (٥) .

ولم يعرف إلا في أوائل القرن الحالي أن الرياح تلقح السحاب بما ينزل بسببه المطر ، إذ إن نويات التكاثف أو النويات التي تتجمع عليها جزيئات بخار الماء لتكون

---

(١) سورة المرسلات ، الآية (٢٧).

(٢) انظر (معجزة القرآن في وصف الكائنات) حنفي أحمد / ص ٣٣٩-٣٤٠.

(٣) سورة الحجر ، الآية (٢٢) .

(٤) (الكون بين العلم والدين) للدكتور محمد جمال الدين الفندي / ص٤٦.

(٥) (الله والعلم والحديث) عبد الرازق نوفل / ص١٨٥.

نقطاً من الماء نامية داخل السحب ، هي المكونات الأولى من المطر ، تحملها الريــاح إلى مناطق إثارة السحاب ،وقوام هذه النويات أملاح البحار وما تذروه الريـــاح مــن سطح الأرض والأكاسيد والأتربة ونحوها ، وكلها لازمة للمطر ، وهناك معنى آخــر في الآية وهو أن الرياح تسوق السحب إيجابية التكهرب وتلقي بها في أحضان السحب سالبة التكهرب فيحدث البرق والرعد والمطر ، وهي بهذا المعنى لواقح أيضاً [1].

وقد جاءت آيات أخرى تؤكد هذا التلازم بين الســحب والمطــر والريــاح ، – منها قوله تعالى : ﴿وَهُوَ الَّذِي يُرْسِلُ الرِّيَاحَ بُشْرًا بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِهِ حَتَّى إِذَا أَقَلَّتْ سَحَابًا ثِقَالًا سُقْنَاهُ لِبَلَدٍ مَيِّتٍ فَأَنزَلْنَا بِهِ الْمَاءَ فَأَخْرَجْنَا بِهِ مِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ ﴾[2].

– ومنها قوله تعالى : ﴿اللَّهُ الَّذِي يُرْسِلُ الرِّيَاحَ فَتُثِيرُ سَحَابًا فَيَبْسُطُهُ فِي السَّمَاءِ كَيْفَ يَشَاءُ وَيَجْعَلُهُ كِسَفًا فَتَرَى الْوَدْقَ يَخْرُجُ مِنْ خِلَالِهِ ﴾ [3].

– ومنها قوله تعالى : ﴿ وَاللَّهُ الَّذِي أَرْسَلَ الرِّيَاحَ فَتُثِيرُ سَحَابًا فَسُقْنَاهُ إِلَى بَلَدٍ مَيِّـتٍ فَأَحْيَيْنَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا كَذَلِكَ النُّشُورُ ﴾ [4].

– ومنها قوله تعالى : ﴿ وَهُوَ الَّذِي أَرْسَلَ الرِّيَاحَ بُشْرًا بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِهِ وَأَنزَلْنَا مِــنْ السَّمَاءِ مَاءً طَهُورًا ﴾[5].

– ومنها قوله تعالى : ﴿ وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ يُرْسِلَ الرِّيَاحَ مُبَشِّرَاتٍ وَلِيُذِيقَكُمْ مِنْ رَحْمَتِــهِ وَلِتَجْرِيَ الْفُلْكُ بِأَمْرِهِ ﴾[6].

---

(١) (عقيدة المسلم وما يتصل بها) الشيخ عبد الحميد السائح / ص٢٧١.

(٢) سورة الأعراف ، الآية (٥٧) .

(٣) سورة الروم ، الآية (٤٨).

(٤) سورة فاطر ، الآية (٩) .

(٥) سورة الفرقان ، الآية (٤٨) .

(٦) سورة الروم ، الآية (٤٦).

وهكذا نرى أن الأصل في تلقيح السحاب وإثارته وحمله من مكان لآخر ونزول المطر منه هو إرسال الرياح ، وهذه حقيقةٌ علميةٌ لا جدال فيها .

والمقام لا يتسع لاستقصاء هذه المعجزات المتعددة الممتدة امتداد الزمن وكلها تثبت بالدليل العلمي القاطع صدق محمد صلى الله عليه وسلم فيما يبلغ عن ربه .

٩- أما عن كيفية تكون السحب والتأليف بينها ونزول الماء منها ، وما يتبع ذلك من رعد وبرق ، فيقول تعالى: ﴿ أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يُزْجِي سَحَابًا ثُمَّ يُؤَلِّفُ بَيْنَهُ ثُمَّ يَجْعَلُهُ رُكَامًا فَتَرَى الْوَدْقَ يَخْرُجُ مِنْ خِلَالِهِ وَيُنَزِّلُ مِنَ السَّمَاءِ مِنْ جِبَالٍ فِيهَا مِنْ بَرَدٍ فَيُصِيبُ بِهِ مَنْ يَشَاءُ وَيَصْرِفُهُ عَنْ مَنْ يَشَاءُ يَكَادُ سَنَا بَرْقِهِ يَذْهَبُ بِالْأَبْصَارِ ﴾[١].

يقول الدكتور محمد جمال الدين الفندي :

" تثير هذه الآية الكريمة ست قضايا علميةٍ هامةٍ لا يعرف أحدٌ عنها شيئاً سوى المتخصصين في دراسات طبيعة السحب ، وإني لأتحدى من يدعي غير ذلك .

والآية إذاً كلها إعجازٌ علميٌ أخَّاذٌ ، يبرهن على أنها كلام الخالق العليم وليس من عند الرسول الكريم "[٢] .

١٠- أما عن باطن الأرض وما فيها من مياه فقد ذكر القرآن تلك المياه المستترة ، قال تعالى : ﴿ أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَسَلَكَهُ يَنَابِيعَ فِي الْأَرْضِ ثُمَّ يُخْرِجُ بِهِ زَرْعًا مُخْتَلِفًا أَلْوَانُهُ ﴾[٣].

فهذه الآية تفسر لنا بأجلى المعاني المياه الأرضية التي تغور في القشرة ، فهي تجري في مسالك تحت غطاء من القشرة الأرضية وتزداد عليها الضغوط حتى تتمكن

---

(١) سورة النور ، الآية (٤٣).

(٢) الإسلام وقوانين الوجود / ص٧٥ . وانظر (عسل النخل شفاء نزل به الوحي) عبد الكريم نجيب الخطيب /ص٢٢. و(ظواهر جغرافية في ضوء القرآن الكريم) إبراهيم حسن النصيرات/ص١٦٦ . و(وجوه من الإعجاز القرآني)مصطفى الدباغ / ص١٦٣-١٦٦.

(٣) سورة الزمر ، الآية (٢١)

من الخروج على هيئة ينابيع دافقة بين الصخور ،قال تعالى : ﴿ وَإِنَّ مِنَ الْحِجَارَةِ لَمَا يَتَفَجَّرُ مِنْهُ الأَنْهَارُ وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَشَّقَّقُ فَيَخْرُجُ مِنْهُ الْمَاءُ ﴾ (١).

ولو تفهمنا مسالك المياه الأرضية ، وعرفنا كنهها ، لأصبحت موارد لا يستهان بها لمياه الشرب والري ، لتنتج لنا زرعا مختلفاً ألوانه ، يسقي بماء واحد وتختلف في الأُكل ، فسبحان ربي رب العزة وسع كل شيء علماً " (٢) .

وهكذا فالآيات الكونية المعجزة إعجازاً علمياً أكثر من أن تحصى في هذا المقام ، وما هذا إلا قليل من كثير .

---

(١) سورة البقرة، الآية (٧٤) .

(٢) (إعجاز القرآن في علم طبقات الأرض) محمد محمود إبراهيم / ص١٨ - ١٩.

المبحث الثاني

عالم الإنسان

لقد ورد في القرآن الكريم آيات كثيرة متعلقة بخلق الإنسان ومراحل تكونه وهو في بطن أمه ، وكيف قد أحسن الله خلقه ، وأبدع بناءه إلى غير ذلك من الآيات التي تصف الإنسان منذ أن كان جنيناً إلى أن أصبح رجلاً كبيراً ، وما في ذلك كله من إعجاز علمي يكشف عنه التقدم العلمي عصراً بعد عصر ، وإليك بعضاً من هذه النماذج :

١- فمن آيات الخلق المعجزة قوله تعالى : ﴿ فَلْيَنظُرْ الإِنسَانُ مِمَّ خُلِقَ . خُلِقَ مِن مَاءٍ دَافِقٍ . يَخْرُجُ مِن بَيْنِ الصُّلْبِ والتَّرَائِبِ ﴾ (١).

إن هذه الآية لمن معجزات القرآن العلمية ، إذ لم يعرف إلا في الخمسين سنة الماضية فقط أن مني الرجل إنما يتكون من صلبه ، أي ظهره ، وإن بويضات النساء تتكون من عظام صدرها ، أي ترائبها ، وهكذا أوضح القرآن قبل العلم بأربعة عشر قرناً مكان إفراز المني والبويضات في الإنسان .

ثم يستطرد القرآن ليقص الحقائق الطبية والنظريات العلمية في كيفية خلق الإنسان ، فيقول تعالى : : ﴿ إِنَّا خَلَقْنَا الإِنسَانَ مِنْ نُطْفَةٍ أَمْشَاجٍ نَبْتَلِيهِ فَجَعَلْنَاهُ سَمِيعًا بَصِيرًا ﴾ (٢).

---

(١) سورة الطارق ، الآيات (٥، ٧) .

(٢) سورة الإنسان ، الآية (٢) .

فيقرر في الآية أن خلق الإنسان لا يتم من نطفة واحدة بل من أمشاج أي أخلاط ، هي نطفة الرجل ، وهو الحيوان المنوي ، ونطفة المرأة ، وهي البويضة ، وقد قررت الآية السابقة مكان إفرازها [١] .

٢- ومنها قوله تعالى : ﴿ خَلَقَ الإِنسَانَ مِنْ عَلَقٍ﴾ [٢].

وهنا نتساءل لماذا قال تعالى : ﴿ خَلَقَ الإِنسَانَ مِنْ عَلَقٍ﴾ ولم يقل (من نطف أو مضغ) كما بين ذلك في آيات أخرى ؟

ذلك لأن النطفة قد تكون خالية من العلق فلا تسبب حملاً ، ولأن المضغة لا تنشأ ولا تتكون إلا من العلق إذا ما اندمجت علقة منه في البويضة ، ولذلك خص الله العلق بأصل خلق الإنسان قال تعالى : ﴿ فَلْيَنظُرْ الإِنسَانُ مِمَّ خُلِقَ . خُلِقَ مِنْ مَاءٍ دَافِقٍ ﴾ [٣]. وهذا الماء الدافق وهو المني يسبح فيه ملايين من العلق ، ولولاه ما كان حمل ولا جنين .

وآية خلق الإنسان من علق قد تضمنت معجزة علمية خالدة مر الناس عليها مرور الكرام حتى آذن الله بظهورها حين كشف العلم عنها ، وتتلخص هذه المعجزة في أن الله سبحانه وتعالى خلق الإنسان من حيوان يشبه العلقة ، وهي دودة تسبح في الماء من خواصها أنها تمتص دم إنسان أو الحيوان حينما تعلق بأحدهما ، وأوجه الشبه أن العلقة تسبح في الماء وهو سائل ، وكذلك الحيوان المنوي الذي يسبح في السائل المنوي ، وتمتص العلقة دم الإنسان أو الحيوان الذي تعلق به ، وكذلك الحيوان المنوي إذا اتحد مع البويضة امتص غذاءه .

---

(١) (الله والعلم الحديث) عبد الرزاق نوفل ، ص ١٩٨ .
(٢) سورة العلق ، الآية (٢) .
(٣) سورة الطارق ، الآيات (٥، ٦) .

وقد يُراد بالعلقة معنى آخر ، وهو ما وقع من تحول وتغير بعد التلقيح واندماج واحدة من العلق في البويضة ، فأصبحت علقة عالقة بجدار الرحم تمتص غذاءها وتنمو وتتخلق خلقاً من بعد خلق حتى صارت إنسانا كاملاً سوياً "[1] .

والميكروسكوب هو الذي استطاع به العلماء أن يكتشفوا وجود العلق في نطفة الرجل ، ولم يكن هذا إلا في العصر الحديث ، إن دل ذلك فإنما يدل على إعجاز علمي لهذه الآيات التي تنزلت منذ أربعة عشر قرناً خلت.

٣- ويتابع القرآن إعجازه العلمي ، فيذكر الأدوار التي يمر بها الجنين وهو في عالم الغيب قبل أن تتمكن علوم التشريح والطب من تصوير هذا الجنين ، قال تعالى: ﴿**وَلَقَدْ خَلَقْنَا الإِنسَانَ مِنْ سُلالَةٍ مِنْ طِينٍ . ثُمَّ جَعَلْنَاهُ نُطْفَةً فِي قَرَارٍ مَكِينٍ . ثُمَّ خَلَقْنَا النُّطْفَةَ عَلَقَةً فَخَلَقْنَا الْعَلَقَةَ مُضْغَةً فَخَلَقْنَا الْمُضْغَةَ عِظَامًا فَكَسَوْنَا الْعِظَامَ لَحْمًا ثُمَّ أَنشَأْنَاهُ خَلْقًا آخَرَ فَتَبَارَكَ اللَّهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ**﴾[2].

" تذكر هذه الآيات مراحل خلق الإنسان ، وتطوره ، فتبن أن أصله من الطين، فالعناصر التي يتكون منها الجسم الإنساني هي العناصر التي تحتويها التربة الأرضية، إذ الطين من تراب وماء ، وهذا ما برهنت عليه التحاليل العلمية وصرح به العلماء المختصون " [3] .

يقول الكاتب الفرنسي موريس بوكاي : " إن وصف مراحل تطور الجنين كما هو في القرآن يتجاوب مع كل ما نعرفه اليوم عن ذلك ، وهو لا يحتوي أية عبارة ينقدها العلم الحديث " [4] .

" إن مراحل الخلق في هذه الآيات معجزة من المعجزات في تناسقها وتتابع أجزائها ، لا يستطيع أن يراها غير الطبيب الذي درس علم الأجنة وتفقه فيه وإن

---

(١) انظر (معجزة القرآن) نعمت صدقي / ص ١٣١-١٣٣.
(٢) سورة المؤمنون ، الآيات من (١٢-١٤) .
(٣) (بينات المعجزة الخالدة) الدكتور حسن ضياء الدين عتر / ص ٣٧٨.
(٤) التوراة والإنجيل والقرآن والعلم : ص١٧٧.

الطب الذي صرف جهده ، وبذل مكنته وعمل أبحاثه ،واستنفذ وسعه جيلاً بعد جيل ، ما عاد بعد ذلك كله إلا ليسير خلف القرآن الكريم " [١] .

" إن هذه الحقيقة العلمية لم تعرفها البشرية إلا بعد نزول القرآن الكريم بثلاثة عشر قرناً ، فكيف عرف الرسول صلى الله عليه وسلم هذه التفاصيل الدقيقة المحكمة ، هل كان يشرح بطون الحوامل ، وهل كان يفحص هذه التطورات التي لا ترى إلا بالمجهر ، وكيف يرى كل هذه الأسرار التي تتم في الظلام بلا مجهر ، ولا تشريح؟ إنه الله سبحانه الذي أوحى إليه بهذه الحقائق الغامضة " [٢] .

٤- أما القرار المكين الذي ذكرته الآيات ، وهو الحصن الذي يتركز فيه الجنين ، آمناً فيه من أي اعتداء خارجي ، فقد جاء ذكره في آية أخرى وهي قوله تعالى : ﴿أَلَمْ نَخْلُقْكُمْ مِنْ مَاءٍ مَهِينٍ . فَجَعَلْنَاهُ فِي قَرَارٍ مَكِينٍ﴾ [٣].

إن قصة هذا القرار المكين شيقة وممتعة لا يملك من يطالعها إلا أن يسبح الخالق العظيم ، وهو يرى تعاضد الآيات المختلفة : التشريحية والهرمونية ، والميكانيكية ، وتبادلها في كل مرحلة من مراحل تطور الجنين لتجعل من الرحم دائماً قراراً مكيناً .

فتشريحياً : تقع الرحم في الحوض بين المثانة من الأمام والمستقيم من الخلف، ويتألف من ثلاثة أقسام تشريحية هي : الجسم ، والعنق ، والمنطقة الواصلة بينهما وتسمى المضيق ، ويحيط بالرحم جدار عظمي قوي جداً يسمى الحوض ، وهناك أربطة للرحم تمتد من أجزاء الرحم المختلفة لترتبط بعظام الحوض أو جدار البطن .

---

(١) انظر (بين الطب والإسلام) الدكتور حامد الغوابي / ص١٢. وانظر (ما ذكره الدكتور محمد علي البار في الندوة العلمية في أبو ظبي) - جريدة المسلمون العدد الثاني والعشرون - السبت ٣ شعبان ١٤٠٦هـ/ص٢.

(٢) معجزة القرآن / نعمت صدقي / ص١٤٤-١٤٥.

(٣) سورة المرسلات ، الآيتان (٢٠ ،٢١) .

تسمى الأربطة الرحمية ، تقوم بحمل الرحم ، وتحافظ على وضعيته الخاصة الملائمة للحمل والوضع .

وأما هرمونيا : فيكون الجنين في حماية من تقلصات الرحم القوية التي يمكن أن تؤدي لموته أو لفظه خارجا ، وذلك لارتفاع عتبة التقلص لألياف العضلة الرحمية بسبب ارتفاع نسبة هرمون البروجسترون الذي هو أحد أعضاء لجنة التوازن الهرموني أثناء الحمل .

وأما ميكانيكيا : فبعد الشهر الثالث يبدأ الرحم بالارتفاع بشكل واضح إلى البطن ، وفي هذه الحالة يصبح خارج الحماية العظمية الحوضية ، فمن يحمي الجنين عندها من الصدمات الخارجية ، إن العناية الإلهية فاقت كل تصور ، فمن الأشهر الأولى للحمل يكون هناك ما يسمى بالسائل الأمينوسي الذي يفرزه الغشاء الأمينوسي ، هذا السائل يحيط بالجنين من كل الجهات ، وتزداد كميته بشكل واضح حتى تصبح حوالي (١٠٠٠) سم^{٣} في الشهر السادس ، ثم تميل إلى النقصان تدريجيا في نهاية الحمل ، وهذا السائل يقوم إضافة لوظائفه الكثيرة بوظيفة هامة ، هي حماية الجنين من الصدمات حيث يمتص قوة الصدمات بتوزيعها على سطح أوسع ، كما يشارك في الحماية جدار البطن والأغشية الثلاثة وجدار الرحم ذاته ، إضافة إلى أن الجنين بعد الشهر الثالث يكون قد تجاوز المرحلة الدقيقة والخطرة ، ويصبح أكثر تحملا للطوارئ والرضوض ، بل كثيرا ما يباشر هو ببعض المناورات من الداخل بحركاته الفاعلة التي تثبت وجوده ومهارته " [١] .

---

(١) (مع الطب في القرآن الكريم) للدكتورين عبد الحميد ذياب ، وأحمد قرقوز / ص٨٨-٩١. بتصرف . وانظر (بين الطب والإسلام) للدكتور حامد الغوابي / ص٢١-٢٢. و (وجوه من الإعجاز القرآني) مصطفى الدباغ / ١٢٦-١٢٧.

٥- وقد وصف الله هذا القرار حالة وجود الجنين فيه بثلاث ظلمات وذلك في قوله تعالى : ﴿ يَخْلُقُكُمْ فِي بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ خَلْقًا مِنْ بَعْدِ خَلْقٍ فِي ظُلُمَاتٍ ثَلَاثٍ ذَلِكُمُ اللَّهُ رَبُّكُمْ لَهُ الْمُلْكُ لا إِلَهَ إلا هُوَ فَأَنَّى تُصْرَفُونَ ﴾ (١).

قوله ﴿ خَلْقًا مِنْ بَعْدِ خَلْقٍ ﴾ فقد مرت معنا ، وهي مراحل تكوين الجنين في الرحم ، أما الظلمات الثلاث فهذا ما نحن بصدده في هذه الآية .

يقول الدكتور محمد علي البار : " قال بعض المفسرين رحمهم الله : إن الظلمات الثلاث هي ظلمة البطن وظلمة الرحم وظلمة المشيمة ، والمعنى صحيحٌ في ذاته فلجدار البطن ظلمةٌ ثم تليها ظلمة جدار الرحم ، ثم تليها ظلمة الأغشية المحيطة بالجنين ، ومع هذا فالآية قد حددت أن الظلمات الثلاث هي في مكان الخلق من بطون الأمهات وذلك لا يكون إلا في الرحم ذاته ، وإذا دققنا النظر في الأغشية المحيطة بالجنين وجدناها ثلاثة هي :

غشاء السلي أو الأمنيون ، ويحيط بالجنين مباشرة من كل جوانبه وفي مائه يتحرك الجنين ، ثم يليه غشاء الكوريون (الغشاء المشيمي) ، ثم يليه الغشاء الساقط وهو غشاء الرحم الذي يسقط بعد الولادة أو الإجهاض ، وسمي بالساقط لأن الرحم يسقطه مع الأغشية " (٢) .

ولعل لهذه الأغشية الثلاثة أسماء أخرى غير التي استعملها الدكتور البار ، نجد ذلك فيما ذكره سعيد ناصر الدهان حيث يقول : " تقول التقارير المتأخرة إن الجنين في بطن أمه محاطٌ بثلاثة أغشيةٍ صماء لا ينفذ منها الماء ولا الضوء ولا الحرارة ، وهذه الأغشية تعرف المنباري ، والأمنيوني ، والخرربوني ،والغشاء الذي لا ينفذ منه الضوء والحرارة والماء يدعى باللغة العربية ظلمة " (٣) .

---

(١) سورة ، مر ، الآية (٦) .

(٢) خلق الإنسان بين الطب والقرآن / ص٢٠١-٢٠٣/ بتصرف .

(٣) القرآن والعلوم / ص ٢١-٢٢.

وأظن أن الخلاف هو في التسمية فقط لا في ذات الأغشية ، خاصة وأن الأستاذ سعيد الدهان قد نفى في كلامٍ سابقٍ لما ذكرته أن تكون الظلمات هي ظلمة البطن والرحم والمشيمة كما ذهب لذلك الدكتور البار نفسه .

تُرى هل كان محمد صلى الله عليه وسلم طبيباً يشرح بطون الأمهات الحوامل حتى علم بهذه الحقائق العلمية الدقيقة ؟ أم أن ذلك هو الإعجاز العلمي الذي ينكشف عصراً بعد عصرٍ ، وجيلاً بعد جيل ليثبت دليل الوحي وصدق النبوة ؟

لا شك أن ذلك هو الإعجاز العلمي .

٦- من الآيات الدالة على بديع الصنع ، ودقة الخلق قوله تعالى :﴿ **أَيَحْسَبُ الإِنسَانُ أَلَّنْ نَجْمَعَ عِظَامَهُ . بَلَى قَادِرِينَ عَلَى أَنْ نُسَوِّيَ بَنَانَهُ** ﴾ (١) .

" أرجو أن نقف قليلاً عند تخصيصه (البنان) بالتسوية في هذا المقام ثم نسمع بعد ذلك إلى هذا العلم الوليد (علم تحقيق الشخصية) في عصرنا الأخير وهو يقرر أن أدق شيءٍ وأبدعه في بناء جسم الإنسان هو تسوية البنان ، حتى أنه لا يمكن أن نجد بناناً لأحدٍ يشبه بنان آخر بحال من الأحوال ، وقد انتهوا من هذا القرار إلى أن حكَّموا البنان في كثيرٍ من القضايا والحوادث ﴿ ... **تَبَارَكَ اللَّهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ** ﴾(٢)"(٣).

يقول المهندس رائف نجم :

" لأوّل وهلة لا يظهر شيء من الإعجاز في هذه الآية ، ولكن عند التعمق قليلاً نرى أن الله عز وجل ركز على ذكر البنان ،وهذا الجسم الصغير من جسم الإنسان يؤكد عليه الخالق المبدع ، ماذا في هذا الأصبع حتى يخصص الله له آية

(١) سورة القيامة ، الآيتان (٣، ٤) .
(٢) سورة المؤمنون ، الآية (١٤) .
(٣) مناهل العرفان في علوم القرآن / الأستاذ محمد عبد العظيم الزرقاني / ج١/ ص١٩.

كريمة في القرآن الكريم ، هناك أعضاء في جسم الإنسان أهم من الأصبع ، لماذا لم تقل الآية مثلاً (بلى قادرين على أن نسوي عقله أو قلبه أو سمعه وبصره ؟) .

إذاً هناك في الإصبع شيء هام ، إن المقصود هنا هو خطوط البصمة الموجودة على الإبهام وعلى جميع أطراف الأصابع والمنظمة تنظيماً هندسياً رائعا ، يختلف من إنسان لآخر من يوم الخليقة إلى يوم القيامة ، ولكن هذا الاختلاف لم يأت عشوائياً بل حسب نظام معين اكتشفه علماء الغرب قبل المسلمين كعلم من العلوم .

إن الاكتشاف العلمي للبصمة كان في سنة ١٨٢٣م حيث نشر البروفيسور " Rurkinji " المختص بعلم التشريح مذكرة تشير إلى أقسام خطوط البصمة ، وفي سنة ١٨٨٠م نشرت أول لوحة لبصمات المجرمين في مجلة إنجليزية تدعى "Nature" وكان الناشر الدكتور " Henry " الذي كان يعمل لحساب إحدى مستشفيات طوكيو الذي أكد أن بصمة الإنسان لا تتغير مدى الحياة "(١) وبذلك ندرك أن علم البصمة هو علمٌ حديث اعتمد في القرن العشرين ، حقاً إنه الإعجاز العلمي هي هذه الآية ، نزلت على النبي الأمي قبل أربعة عشر قرناً من الزمان ، ولم يكتشف أحد إعجاز هذه الآية في العصور القديمة وهي الآن للناس عبرة .

ويؤكد هذه الحقيقة العلمية ما نشرته جريدة الدستور الأردنية تحت عنوان (الشرطة تجمع مليوني بصمة للأطفال خوفاً من الاختطاف) .

تقول فيه : " جمع آلاف المتطوعين من رجال الشرطة والأمهات والمواطنين الأمريكيين بصمات أكثر من مليوني طفل في أكبر حملة من نوعها في تاريخ الولايات المتحدة لجمع بصمات الأطفال من أجل تسجيلها واستخدامها في حالة اختطافهم أو ضياعهم أو غيابهم عن أسرهم .

---

(١) الإعجاز العلمي في القرآن برهان النبوة / ص٢٤-٢٥.

وقد نظمت هذه الحملة الشاملة التي بدأت منذ يومين من أجل الحد من مشكلة الأطفال المفقودين والذين وصل عددهم إلى حوالي مليون وخمسمائة ألف طفل في الولايات المتحدة .

ومن المقرر جمع بصمات حوالي عشرة ملايين طفل مع نهاية الأسبوع الحالي " [١].

وبهذا ندرك أن البصمات أدلُّ على الإنسان من وجهه وأدلُّ من صورته ، وهو من أخص خصائصه ، ولو احترق جلد الإصبع ، وتكوَّن مكانه جلدٌ جديدٌ ، ظهر الجلد الجديد وبه نفس الأشكال التي كانت في جلده القديم ، وإن الخطأ في معرفة الرجال بالبصمات محالٌ .

فهذه الآية دليل قاطع على أن القرآن من عند الله ، إذ من المحال أن يعرف الرسول صلى الله عليه وسلم الذي نشأ في جبال مكة وصحاريها أن لكل بنان من البشر رسوماً تختلف عن الآخرين ، وكيف يعرف هذا السر والمجهر لم يكن موجوداً في ذلك الوقت ، فهذه حقيقة لم يكشف عنها العلماء إلا في العصر الحديث ، وبعد بحث دقيق وجهد طويل ، وموازنة بين أصابع الملايين من الناس وفحصها بالمجهر [٢].

٧- وأما عن حاسة الجلد وأنه مكان الألم ، فيقول تعالى : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِنَا سَوْفَ نُصْلِيهِمْ نَارًا كُلَّمَا نَضِجَتْ جُلُودُهُمْ بَدَّلْنَاهُمْ جُلُودًا غَيْرَهَا لِيَذُوقُوا الْعَذَابَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَزِيزًا حَكِيمًا ﴾[٣].

---

(١) جريدة الدستور – يوم الجمعة – ١٩٨٦/٤/١١م ، ص١٥.

(٢) (معجزة القرآن) / نعمت صدقي / ص١٨١-١٨٣/ بتصرف . وانظر (الكون بين العلم والدين) للدكتور محمد جمال الدين الفندي ص١٣٧-١٣٨. و (النظريات العلمية في القرآن الدكتور حسين الهراوي /ص١٧-١٨. و(بين الطب والإسلام) الدكتور حامد الغوابي ص٥٢،٥٣.

(٣) سورة النساء ، الآية (٥٦) .

لقد خصت الآية جلود الكفار بالعذاب ، فكلما نضحت جلودهم بدلهم الله جلوداً غيرها ، لماذا لم يخص اللحم والدم والعظام بهذا العذاب ؟

" لقد كشف علم الطب عن الإعجاز في هذه الآية الكريمة بعد نزولها بقرون عديدة ، وهو أن أعصاب الألم تنتشر في الطبقة الجلدية ،وأن الطبقة الجلدية حساسة تشعر شعوراً مرهفاً دقيقاً بأي لمسة وأي صدمة ، أما الأنسجة والعضلات والأعضاء الداخلية فالإحساس فيها ضعيف ، ولذلك يعلم الطبيب أن الحرق البسيط الذي لا يتجاوز الجلد يحدث ألماً شديداً بخلاف الحرق الشديد الذي يتجاوز الجلد بعدما تأكله النار إلى الأنسجة ، فإنه بالرغم من شدته وخطره لا يحدث ألماً كثيراً " [١] .

ولذلك فإن التخدير الذي يجرى للإنسان أثناء العمليات الجراحية إنما يقصد به الجلد ، فلو عمدت إلى تقطيع أمعاء إنسان وهو ينظر لما شعر بشيء بينما وخزةُ دبوس في جلده تؤلمه .

وهكذا فقد كشف العلم الحديث أن مراكز الإحساس بالألم موجودة بالجلد بما يثبت إعجازاً علمياً لهذه الآية الكريمة التي نزلت في عصر لا علم لهم بهذه الحقيقة العلمية الحديثة [٢].

٨- ونختم هذا المبحث بما وصف به القرآن وجه الإنسان حال غضبه ، قال تعالى : ﴿ وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُمْ بِالأُنْثَى ظَلَّ وَجْهُهُ مُسْوَدًّا وَهُوَ كَظِيمٌ ﴾[٣].

لقد قررت الأبحاث الطبية والنفسية ما يُعَدُّ إعجازاً علمياً للآية ذلك أن شكل الوجه يتوقف على الحالة التي تكون عليها العضلات التي تتحرك داخل الدهن تحت الجلد ، وتتوقف حركتها على حالة أفكارنا وانفعالاتنا ، فالغيظ المكظوم يظهر على

---

(١) معجزة القرآن / نعمت صدقي /ص١٨٠. و(المنتخب من تفسير القرآن الكريم) للشيخ محمد متولي شعراوي ، ص ٣٩ ، و(الكون بين العلم والدين) الدكتور محمد جمال الدين الفندي ، ص ١٣٩ .

(٢) انظر (وجوه من الإعجاز القرآني) / مصطفى الدباغ / ص١٣٠.

(٣) سورة النحل ، الآية (٥٨) .

الوجه ، حيث يحتقن الدم في الوجه ، فيبدو محمرا ، فإذا اشتد الغيــظ ، وطـــال أمــد احتقان الوجه يبدو مسودا نظرا لعدم تأكسد الدم المحتقن في هذا المكان ، وهـــذا مــا يشاهد فعلا بوجه من اشتد غيظه وطال [١].

---

(١) انظر القرآن وإعجازه العلمي / محمد إسماعيل إبراهيم / ص١٦٧.

المبحث الثالث

عالم الحيوان والحشرات

يُعَدُّ عالم الحيوان كتاباً مفتوحاً لكل من أراد دراسة عجائب الحياة في الأحياء، الحيوانات والطيور والحشرات هي أمم أمثالنا ، وقد زودها الله بما يتلائم مع بيئتها الظروف التي تواجهها ، وقد جاء في القرآن ذكر حيوانات وحشرات كثيرة منها: العنكبوت والنمل ، والكلب ، والحمار ، والنحل ، والهدهد ، والغراب ، والضأن ، النعجة ، والحوت وغيرها .

١- قال تعالى : ﴿ وَمَا مِنْ دَابَّةٍ فِي الأَرْضِ وَلا طَائِرٍ يَطِيرُ بِجَنَاحَيْهِ إِلا أُمَمٌ أَمْثَالُكُمْ مَا فَرَّطْنَا فِي الْكِتَابِ مِنْ شَيْءٍ ثُمَّ إِلَى رَبِّهِمْ يُحْشَرُونَ ﴾(١).

ترى ما الذي أخبر محمداً صلى الله عليه وسلم بأن كلَّ صنف من هذه الحيوانات بكافة أشكالها وأنواعها وهذه الطيور أيضاً والحشرات ، كلُّ صنفٍ منها يمثل أمة مستقلة لها لغاتها وعاداتها ، ونمط حياة يختص بها لو لم يكن ذلك بوحي من عند الله وبعلم الله ، قال تعالى : ﴿ لَكِنْ اللَّهُ يَشْهَدُ بِمَا أَنزَلَ إِلَيْكَ أَنزَلَهُ بِعِلْمِهِ وَالْمَلائِكَةُ يَشْهَدُونَ وَكَفَى بِاللَّهِ شَهِيدًا ﴾(٢).

" ولقد أثبتت الأبحاث العلمية الحديثة التي قام بها علماء التاريخ الطبيعي أن الحيوان قد زُوِّدَ بحواس تلائم بيئاته ، وصدقَ الله حيث يقول : ﴿ قَالَ رَبُّنَا الَّذِي أَعْطَى كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُ ثُمَّ هَدَى ﴾(٣).

إن جانباً كبيراً من علم الحيوان يهتم فيه العلماء الباحثون بدراسة أجهزة الحيوان المختلفة ، سواءٌ كان الحيوان خليةً واحدةً كما في الحيوانات الأولية أو كان

---

(١) سورة الأنعام ، الآية (٣٨).

(٢) سورة النساء ، الآية (١٦٦).

(٣) سورة طه ، الآية (٥٠) .

جسمه مكوناً من ملايين الخلايا ، ويركزون اهتمامهم بدراسة تكيف هذا الحيوان بأجهزته المختلفة مع البيئة التي يعيش فيها ، وقد وُجِدَ أن جميع الحيوانات متكيفة بأجهزتها التي خلقها الله سبحانه وتعالى لها مع البيئات التي تعيش فيها تكيفاً عجيباً دفع بعضاً من العلماء الذين لا يؤمنون بالله إلى افتراض أن هذه الحيوانات قد طورت بنفسها أعضاءً لها لملاءمة البيئة ، وعجباً أن يوجد مثل هذا الاعتقاد ، وبعضهم قد عزى ذلك إلى الطبيعة ، وهل الطبيعة تستطيع أن تخلق شيئاً ، إن هذا هو العناد والمكابرة في إنكار صفة الخلق لله رب العالمين " [1] .

٢- وقد جاءت آية النور تبين أصناف هذه المخلوقات ، قال تعالى : ﴿ **وَاللَّهُ خَلَقَ كُلَّ دَابَّةٍ مِنْ مَاءٍ فَمِنْهُمْ مَنْ يَمْشِي عَلَى بَطْنِهِ وَمِنْهُمْ مَنْ يَمْشِي عَلَى رِجْلَيْنِ وَمِنْهُمْ مَنْ يَمْشِي عَلَى أَرْبَعٍ يَخْلُقُ اللَّهُ مَا يَشَاءُ إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ** ﴾ [2].

يقول السيد علي فكري : " (فمنهم من يمشي على بطنه) : كالحيات والثعابين وما أشبهها من الزواحف التي تزحف على سطح الأرض ، (ومنهم من يمشي على رجلين) كالطيور وأمثالها ، (ومنهم من يمشي على أربع) كالقردة والبهائم " [3] .

إنّ الذي صنف الدواب هذا التصنيف هو الذي أنزل القرآن بعلمه .

وفي آيه التصنيف هذه حقيقة علمية أخرى ، وهي خلق كلّ الدواب من ماءٍ ، وقد أشرت إلى هذه الحقيقة في عالم الكون [4] .

---

(١) مقابلة مع الدكتور محمد عاشور ، متخصص في العلوم / قسم الجيولوجيا بالجامعة الإسلامية بغزة .

(٢) سورة النور ، الآية (٤٥).

(٣) القرآن ينبوع العلوم والعرفان ، ج١/ص١٤٨ . وانظر (القرآن والعلوم العصرية) طنطاوي جوهري ، ص ٥٠ .

(٤) انظر هذا الفصل ص ١٦٩ .

وعامة الناس قد لا يتعجبون من هذه الغرائب بما فيها من حكمة الخلق ودقته ، ذلك لأنهم ألفوها ، أما العلماء فانفتحت أبصارهم وكُشفت بصائرهم ، فرأوا هذه العجائب فأعظموها ، وأدركوا قدرة الخالق فيها ، وأن واصفها هو الذي أبدع خلقها .

٣- قوله تعالى : ﴿ أَفَلا يَنْظُرُونَ إِلَى الإِبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ ﴾ [١] .

يقول عبد الرزاق نوفل : " هل رأيت الآيات البينات التي تظهر واضحةً في الجمل ؟ ذلك الحيوان الذي يعيش في الصحراء حيث لا يتوافر الماء والغذاء ؟ وكيف يكتنز ما يكفيه طول غيبة الطعام والشراب في سنامه ؟ فهل هي قدرته ؟ وهل يمكن للإنسان مثلاً وهو الذي يخضع الحيوانات جميعها لخدمته أن يأكل فيكتنز ، وهل رأيت تلك الأهداب الطويلة التي حول عينيه والتي هي أشبه بشبكة تحمي عينيه من ذرات الرمال إذا هبت عاصفة رملية أثناء سيره في الصحراء ، وفي الوقت نفسه يستطيع الإبصار من خلال هذه الشبكة ، وبذلك لا يضطر إلى إقفال عينيه كما نفعل لوقاية أعيننا من التراب .

وهل رأيت أنفه الذي أُعد لكي يساعده على الحياة في الصحراء ؟ فهو يتحكم في فتحه أثناء العواصف ليمنع دخول الرمل فيه . وهل رأيت شفة الجمل العليا ؟ وهل عرفت لماذا تكون مشقوقة ؟ يقول العلم : إنّ ذلك قد هيءَ ليساعده على أكل نباتات الصحراء التي غالباً ما تكون أشواكاً ، ذلك علاوة على أرجله ذات الخف الذي يناسب الرمل فلا تغوص فيه بخلاف لو كانت ذات ظلف أو حافر " [٢] .

ترى هل كان العرب في عصر نزول القرآن يدركون هذه الحكم الربانية لكل عضو من هذه الأعضاء إن هذه الآية تدفعهم و تدعوهم إلى النظر في خلق الجمل ، والحكمة في كل عضو منه ، فذلك أدعى إلى الإيمان بالخالق المبدع ، الذي أعطى كل شيء خلقه ، فتبارك الله أحسن الخالقين .

---

(١) سورة الغاشية ، الآية (١٧) .

(٢) الله والعلم الحديث / ص ٩٢ - ٩٣ .

٤- وانظر إلى وحي الله للنحل باتخاذ بيوتها في الجبال ، وأكلها من الثمرات ، وإخراج ما فيه شفاء للناس ، قال تعالى : ﴿ وَأَوْحَى رَبُّكَ إِلَى النَّحْلِ أَنْ اتَّخِذِي مِنْ الْجِبَالِ بُيُوتًا وَمِنْ الشَّجَرِ وَمِمَّا يَعْرِشُونَ . ثُمَّ كُلِي مِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ فَاسْلُكِي سُبُلَ رَبِّكِ ذُلُلا يَخْرُجُ مِنْ بُطُونِهَا شَرَابٌ مُخْتَلِفٌ أَلْوَانُهُ فِيهِ شِفَاءٌ لِلنَّاسِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَةً لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴾ (١) .

ومن عجيب ما خلق الله النحل حيث ألهمها باتخاذ بيوت لها في الجبال وفي الشجر وفي البيوت ، ونلاحظ أن النحل يتخذ هذه البيوت مسدسة الشكل دون غيرها من الأشكال ، فقد ثبت أن الأشكال من المثلث إلى المعشر إذا جمع كل واحد منها إلى أمثاله لم يتصل وحصل بينهما فرج إلا الشكل المسدس فإذا جُمِعَ إلى أمثاله اتصل وصار كأنه قطعة واحدة ، وقد اجمع الرياضيون على أنه لا يمكن أن يبنى بناء أقوى وأوفر اتساعا لفقس البيض وخزن العسل بكمية مماثلة من الشمع الذي يبنيه النحل(٢).

ثم ما الذي أدرى محمداً صلى الله عليه وسلم أن ما يخرج من بطون النحل فيه شفاء للناس ، واخذ يرشد الناس ليتخذوه دواء يتطببون به وهذا ما سنشير إليه بتفصيل في عالم الطب والصحة العامة إن شاء الله تعالى.

٥- ومما ضُرِبَ به المثلُ من الحشرات ذلك العنكبوت ، صاحب البيت الضعيف قال تعالى : ﴿ مَثَلُ الَّذِينَ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ أَوْلِيَاءَ كَمَثَلِ الْعَنكَبُوتِ اتَّخَذَتْ بَيْتاً وَإِنَّ أَوْهَنَ الْبُيُوتِ لَبَيْتُ الْعَنكَبُوتِ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ ﴾ (٣) .

إنَّ قوله (اتخذت) في الآية الكريمة إشارة إلى حقيقة كشفها العلم الحديث تؤكد أن الذي يبني البيت وينسج خيوطه هي الأنثى من العنكبوت وليس الذكر .

---

(١) سورة النحل ، الآيتان (٦٨-٦٩) .

(٢) القرآن وعالم الحيوان ، د. عبد الرحمن محمد حامد ، ص١٠٧ ، بتصرف .

(٣) سورة العنكبوت ، الآية (٤١) .

ولنَعُد للآيات الكريمات لنجد المثل باتخاذ أولياء من دون الله كمثل العنكبوت وضعت بيتها ،فهي تتناول علاقة اجتماعية ، وروابط تنشأ عنها باتخاذ غير الله أولياء فهذه العلاقة ،وتلك الروابط واهيةٌ جداً ،وهي في ضعفها ووهنها كوهن بيت العنكبوت بما فيه من روابط وعلاقات .

وسنجد أنّ الآية تذكر البيت ولم تذكر الخيط ، فالثابت علمياً أن خيط العنكبوت من أقوى الخيوط ، وهو أقوى من مثيله من الصلب أربع مرات ، فالوهن إذن في البيت لا في الخيط وهذه دقة في التعبير .

ثم إن العلم يؤكد أن بيت العنكبوت هو أسوأ ملجأ لمن يفكر بالاحتماء به ، فهو مصيدة يقع فيه من الزوار الغرباء ، وهو مقتل حي لأهله ، فالعنكبوت الأنثى تفترس زوجها بعد التلقيح ، كما أنها تأكل أولادها عند الفقس ، كما أن الأولاد يأكل بعضهم بعضاً ، فتأمل هذه الرابطة الأسرية الواهية ، لتجد أن العلاقة العائلية معدومةٌ ، وأنها إن وُجِدت فهي تتصف بالوحشية والافتراس والعدوان ، ومن هنا كانت عظمة التشبيه وحكمته في من يتخذ من دون الله أولياء كمن يحتمي في بيت العنكبوت ، فهو أسوأ ملجأ يؤدي به إلى أسوأ مصير وعاقبة ، ومن هنا كانت الآية مختومة بقوله عز وجل (لو كانوا يعلمون)[١] .

٦- وهناك مثل آخر بالحشرات لبيان ضعف من يُدعى من دون الله ، قال تعالى : ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ ضُرِبَ مَثَلٌ فَاسْتَمِعُوا لَهُ إِنَّ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ لَنْ يَخْلُقُوا ذُبَابًا وَلَوِ اجْتَمَعُوا لَهُ وَإِنْ يَسْلُبْهُمُ الذُّبَابُ شَيْئًا لا يَسْتَنْقِذُوهُ مِنْهُ ضَعُفَ الطَّالِبُ وَالْمَطْلُوبُ﴾[٢] .

إن القران يتحداهم تحدياً مادياً بأن يخلقوا ذبابة ، وهى حشرة ضئيلة وما زال هذا التحدي قائماً إلى عصرنا هذا، وقد تقدم العلم تقدماً هائلاً ، وبلغت التكنولوجيا

(١) وجوه من الإعجاز القرآني ، مصطفى الدباغ ، ص١٧٥ .
(٢) سورة الحج ، الآية (٧٣) .

ذروتها في التطور والاختراع ، إلا أن العجز قرينهم وسيبقى ، ثم لو سلبهم الذباب حياتهم بمرض فتاك ، بنقل الجراثيم إليهم ، هل يمكنهم استرداد حياتهم ؟ بالطبع هم عاجزون ، إنه كلام الله المعجز حقاً قديما وحديثا[1] .

٧- وانظر إلى اللبن الذي تنتجه بعض الحيوانات ، وكيف يستخلص من بين فَرْثٍ ودَمٍ لبناً خالصاً سائغاً للشاربين ، قال تعالى: ﴿ **وَإِنَّ لَكُمْ فِي الأَنْعَامِ لَعِبْرَةً نُسْقِيكُمْ مِمَّا فِي بُطُونِهِ مِنْ بَيْنِ فَرْثٍ وَدَمٍ لَبَنًا خَالِصًا سَائِغًا لِلشَّارِبِينَ** ﴾ [2] .

إن العلم الحديث يثبت أن الحليب قبل أن يصير إلى الثدي يتم تصفيته من الفضلات، وذلك بعد الهضم ، ونزول السائل الحليبي إلى الأمعاء ، إذ تقوم الزعيبات المعوية بامتصاص المواد الغذائية طارحةً إياها في الدم ، ومبقية الفضلات في الأمعاء حيث تطرح خارج الجسم ، وأما المواد الممتصة التي طرحت في الدم فإن قسماً يغذي الجسم ، وقسماً آخر تصفيه الغدد اللبنية من الدم وترسله إلى الضرع حليباً خالصاً سائغا للشاربين فالحليب (المادة اللبنية الناتجة عن الكيلوس وهو عبارة عن نواتج هضم الغذاء) يخرج من الفضلات والدم [3] .

وهكذا يثبت العلم ما أثبته القرآن منذ أربعة عشر قرنا مضت ، إنه الإعجاز العلمي لهذا الكتاب العظيم الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه.

٨- وانظر إلى عالم النمل وقد أثبت القرآن له لغة يتخاطب ويتفاهم بها فيما بينهم وقد علمها الله سليمان ، قال تعالى :﴿ **حَتَّى إِذَا أَتَوْا عَلَى وَادِي النَّمْلِ قَالَتْ نَمْلَةٌ يَا أَيُّهَا النَّمْلُ ادْخُلُوا مَسَاكِنَكُمْ لا يَحْطِمَنَّكُمْ سُلَيْمَانُ وَجُنُودُهُ وَهُمْ لا يَشْعُرُونَ** ﴾ [4] .

---

(١) القرآن وإعجازه العلمي ، محمد إسماعيل إبراهيم ، ص ١٢٨ ، بتصرف .

(٢) سورة النحل ، الآية (٦٦) .

(٣) وجوه من الإعجاز القرآني ، مصطفى الدباغ ، ص ١٧١ - ١٧٢ . وانظر (القرآن وعالم الحيوان) د. عبد الرحمن محمد حامد / ص ١٥٩-١٦١.

(٤) سورة النمل ، الآية (١٨) .

الآية دليلٌ على أن للنمل لغة يتخاطب بها ، وهذا ما ثبتته الأبحـــاث الحديثـــة بوسائلها العلمية الدقيقة عن حياة النمل الاجتماعية القائمة على التفاهم فيمـــا بينـــها ، وهذه اللغة تتجاذب بها أطراف الحديث بكلام خاص أو بإشارات مسموعةٍ أو غير ذلك مما علمه الله لنبيه سليمان عليه السلام ، ويقوم هذا النمل كما هو مشاهد بمشـــروعاتٍ جماعيةٍ مثل مد الطرق وإقامة الجسور وبناء المستعمرات ولا يمكن التعاون على كـل هذه الأشياء إلا بالتفاهم بلغة متداولة بينها ، والنمل هو الوحيـــد الـــذي يتلاقـــى فـــي مجتمعات للتعارف وتبادل المنافع ، كما انه الوحيد الذي يهتم بدفن موتاه مما يدل على حياة منظمة نشطة لها كيان ودستور يحكمها في كل سلوكها [1] .

ما الذي أدرى محمداً صلى الله عليه وسلم بذلك لو لم يكن من عند الله ؟ إنّـــه الإعجاز العلمي للقرآن .

---

(١) القرآن وإعجازه العلمي ، محمد إسماعيل إبراهيم ، ص ١٥٥ ـ ١٥٦ ، (بتصرف) .

المبحث الرابع

عالم النبات

إنّ النبات أنواعه كثيرة ومتعددة منها ما هو داء ومنها ما هو دواء ، ومنها مـ
هو مأكول الإنسان ، ومنها ما هو مأكول الحيوان ، فهو عالم قائم بذاتـــه ، ومـــا زال
العلماء يجتهدون في دراسته ، خاصة وأن النباتات تتلاءم مع بيئتها تلاؤماً لا يمكـــر
لغير الله أن يصنعه ، فلكل بيئة نباتات معروفة تختلف عن غيرها اختلافاً جوهرياً فـ
كافة أجهزتها مما يدهش المتأمل في ملك الله .

وإذا أردت أن تَطَّلع على بعض أنواع النبات ، فانظر قوله تعالى :

١- ﴿ فَلْيَنْظُرْ الإنسان إِلَى طَعَامِهِ . أَنَّا صَبَبْنَا الْمَاءَ صَبًّا . ثُمَّ شَقَقْنَا الأرض شَـــقًّا فَأَنْبَتْنَا فِيهَا حَبًّا . وَعِنَبًا وقَضْبًا . وَزَيْتُونًا ونَخْلاً . وَحَدَائِقَ غُلْبًا . وَفَاكِهَـــةً وَأَبًّـــا مَتَاعًا لَكُمْ وَلأَنْعَامِكُمْ ﴾ (١)

يقول طنطاوي جوهري : " إعلم أن أعداد النبات على الأرض على حسب مـ
قال (اللورد أفبري) في كتابه " محاسن الطبيعة " يبلغ خمسمائة ألف صنـــف ، وهـــذ
مجرد عدد ، ويقول : أما الخواص والمنافع فالمعلوم منها قليل ، وإن هنـــاك نباتـــات
محفوظة في المتاحف لم يسمها الناس باسم لأنها من النباتات المنقرضة ، وكـــل يـــو
يعثر الناس على أصناف جديدة من النبات ، فهناك نباتات مجهولة محفوظة ، وأخـــرى
لم يعثر عليها ، فإذا ضُم المجهول المحفوظ في المتاحف إلى ما يكشف كل يوم كـــار
العدد أكثر من ذلك .

---

(١) سورة عبس ، الآيات (٢٤ – ٣٢) .

فمن هذا النبات ما هو للتغذية ، ومنه ما هو للملبس ، ومنه ما هو للدواء ، ومنه ما هو فاكهة ، ومنه ما هو مطعوم البهائم " [1] .

وقد أشار الله إلى هذه الأنواع بقوله : ﴿ وَهُوَ الَّذِي أَنْشَأَ جَنَّاتٍ مَعْرُوشَاتٍ وَغَيْرَ مَعْرُوشَاتٍ وَالنَّخْلَ وَالزَّرْعَ مُخْتَلِفًا أُكُلُهُ وَالزَّيْتُونَ وَالرُّمَّانَ مُتَشَابِهًا وَغَيْرَ مُتَشَابِهٍ...﴾[2] .

فالنباتات فصائل كثيرة منه الشجر كالنخيل والزيتون والرمان ، ومنه الزرع كالقمح والشعير والذرة ، والفصائل تختلف عن بعضها باختلاف أعضاء التذكير والتأنيث فيها ، فلكل نبات ذكور وإناث ، وهكذا سائر الزروع والشجر والأزهار إمّا أنْ تكون جميلةً كالورد والرُّمان والبرتقال والمشمش وإمّا أن تكون غير جميلة كالصَّفْصَاف والأَثْل [3] .

٢- وقد تنتج الأرض أصنافاً متنوعة من ثمارها وطعومها ، ومفضل بعضها على بعض في الأُكل مع أن الجميع يسقى بماءٍ واحد ، قال تعالى : ﴿ وَفِي الأَرْضِ قِطَعٌ مُتَجَاوِرَاتٌ وَجَنَّاتٌ مِنْ أَعْنَابٍ وَزَرْعٌ وَنَخِيلٌ صِنْوَانٌ وَغَيْرُ صِنْوَانٍ يُسْقَى بِمَاءٍ وَاحِدٍ وَنُفَضِّلُ بَعْضَهَا عَلَى بَعْضٍ فِي الأُكُلِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴾ [4] .

" يُقرِّر علماءُ النبات أنَّ جذور النباتات تمتد في التّربة لتمتص الغذاء من عناصرها الملائمة لها وتحولها إلى ثمار يتميز بعضها عن بعض في الشكل والطعم والرائحة ، وهذا هو المعنى العلمي الذي تشير إليه الآية ، بأنَّ قطعة الأرض الواحدة تتكون من عدة أجزاء متجاورة ومتلاصقة ، ولكنها تشمل في تكوينها مواد معدنية أو عضوية أو بكتيرية مختلفة ، وعندما تسقى قطعة الأرض الواحدة نجد أنَّ ثمارها

---

(١) الجواهر في تفسير القرآن ، ج٢٥/ص٥١ ، (بتصرف) .

(٢) سورة الأنعام ، الآية (١٤١) .

(٣) انظر (القرآن والعلوم العصرية) الشيخ طنطاوي جوهري ، ص٣٨-٤٠ .

(٤) سورة الرعد ، الآية (٤) .

متنوعة ، لأنَّ بها أجزاء طينية وأخرى رملية إلى ثالثة كلسية ، وأنَّ كلاً منها يختلف عن الآخر اختلافاً تاماً ، وعندما تسقى قطعة الأرض نجد أن ثمارها متنوعة في أشكالها وألوانها وطعومها من عنب وخضر ونخل ورمان مع أنها كلها سُقيت بماء واحد " [1] .

تُرى هل كان محمدٌ صلى الله عليه وسلم يعرف هذه الأصناف المتنوعة والتفصيلات الدقيقة في هذا العالم الفسيح ، وقد أمضى كل حياته يسكن الصحراء الجرداء ؟ وهل كان متخصصاً في النبات فدرس علمه في المعاهد والجامعات مع كونه أمّيا لا يقرأ ولا يكتب ؟ وهل كان يعمل مزارعاً في الحدائق والحقول فيكتسب خبرةً ومعرفةً بهذه التفاصيل .

إذن لا بد أن يكون ذلك قولُ من أنزله بعلمهِ ، وهو يشهدُ على ذلك وملائكتُه يشهدون ، وكفى باللهِ شهيداً .

٣- وانظر إلى السنة الإلهية في النبات وغيره وهي الزوجية ، قال تعالى : ﴿ وَمِن كُلِّ شَيْءٍ خَلَقْنَا زَوْجَيْنِ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴾ [2].

" فمن الحقائق العلمية التي تضمنها القرآن الكريم انقسام أعضاء النبات إلى تذكير وتأنيث ، وهذه الحقيقة العلمية لم يهتد إليها الإنسان إلا بعد نزول القرآن بقرون طويلة ، وقد جاء ذكر هذه الحقيقة العلمية أيضاً في سورة (يس) قال تعالى : ﴿سُبْحَانَ الَّذِي خَلَقَ الأَزْوَاجَ كُلَّهَا مِمَّا تُنْبِتُ الأَرْضُ وَمِنْ أَنفُسِهِمْ وَمِمَّا لا يَعْلَمُونَ ﴾[3].

---

(١) القرآن وإعجازه العلمي ، محمد إسماعيل إبراهيم ، ص ١٤٥ .

(٢) سورة الذاريات ، الآية (٤٩) .

(٣) سورة يس ، الآية (٣٦) .

ومن الحقائق العلمية الثابتة التي كشف عنها القرآن وظيفة الرياح في نقل عناصر التلقيح بين النباتات المختلفة ، قال تعالى : ﴿ وَأَرْسَلْنَا الرِّيَاحَ لَوَاقِحَ فَأَنزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَسْقَيْنَاكُمُوهُ وَمَا أَنتُمْ لَهُ بِخَازِنِينَ ﴾[1] " [2].

وآية الرياح هذه سبقت الإشارة إليها في عالم الكون على أن الرياح تلقح السحاب فينزل بذلك الماء ، وهي أقرب إلى هذا المعنى ، خاصة وأنه لم يرد في الآية ذكر للنبات ، وعلى الرغم من ذلك فقد استشهد بها كثير من العلماء على تلقيح الرياح للنبات نظراً لمطابقتها للواقع ، فالمعروف أن الرياح تقوم بدور فعال في نقل مادة اللقاح من الذكر إلى الأنثى ، وهذا أمر ثابت علمياً بين كثير من النباتات ، فكثيراً ما يشاهد في جو الغابات غيم كأنه عاصفة رملية ، وما هذا الغيم إلا حبوب اللقاح يحملها الهواء إلى حيث يتم إخصاب النبات .

وقد جاء في تفسير المنار (عن مستر" أجنيري ") المستشرق الذي كان أستاذ اللغة العربية في مدرسة اكسفورد في القرن الماضي أنه قال : " إن أصحاب الإبل قد عرفوا أن الريح تلقح الأشجار والثمار قبل أن يعلمها أهل أوروبا بثلاثة عشر قرناً ، نعم إن أهل النخيل من العرب كانوا يعرفون التلقيح إذ كانوا ينقلون بأيديهم اللقاح من طلع ذكور النخيل إلى إناثها ، ولكنهم لم يكونوا يعلمون أن الرياح تفعل ذلك ، ولم يفهم المفسرون هذا من الآية بل حملوها على المجاز" [3].

٤- ومما يؤكد قضية الزوجين في أصل الثمار قوله تعالى : ﴿ وَمِن كُلِّ الثَّمَرَاتِ جَعَلَ فِيهَا زَوْجَيْنِ اثْنَيْنِ ﴾[4].

" قرر العلم الحديث أن أزهار النباتات على اختلاف أنواعها تنقسم ثلاثة أقسام: أزهار مذكرة وأزهار مؤنثة ، وأزهار خنثى تجمع الناحيتين من عضو التذكير وعضو

---

١) سورة الحجر ، الآية (٢٢) .

٢) القرآن والقصة الحديثة / محمد كامل حسين / ص٧٥/ بتصرف .

٣) تفسير القرآن الحكيم – الشهير بتفسير المنار / محمد رشيد رضا / ج١ /ص٢١٠.

٤) سورة الرعد ، الآية (٣).

التأنيث معاً ، ومن الأمثلة الموضحة لذلك النخيل فمنه نوع مذكر ، وآخـــر مؤنـــث ونبات الذرة يحمل في وقت واحد أزهاراً مذكرة وأخرى مؤنثة ، ونبات الفول له زهر تجمع بين عضوي التأنيث والتذكير معاً ، وبذلك تتوالد الأنواع وتتكاثر ، وهـــذا مـ أشارت إليه الآية " [١] .

٥- وانظر إلى قدرة الله العظيمة حيث يجعل من الشجر الأخضر ناراً ، قال تعـــالى ﴿ الَّذِي جَعَلَ لَكُمْ مِنَ الشَّجَرِ الأَخْضَرِ نَارًا فَإِذَا أَنْتُمْ مِنْهُ تُوقِدُونَ ﴾[٢].

يقول الدكتور محمد أحمد الغمـــراوي : " فمفتـــاح معناهـــا وصـــف الشـــج بالأخضر، وترتيب النار على خضرة الشجر ، ومن يعرف أثر الخضـــرة فـــي نمـ الشجر ، وفي بناء كيانه الخشبي على الأخص ، وفي اختزانه ما في ذلك الكيان مـ طاقة تبدو ناراً عند الاستيقاد ، لا يجد صعوبة في إدراك ســـر ترتيـــب النـــار علـ الخضرة ، أو في تبيّن عظمة الآية وبلاغتها وإعجازها ،ومن لم يعرف هذا تحير أمـ هذا الترتيب الغريب ، وراح يلتمس للآية توجيهاً يذهب بها في غير وجهها كما فعـ من تلمس تفسير الآية في سهولة اتقاد (المَرْخ والغفار) " [٣] .

" جاء العلم الحديث ليسأل : ما هي طبيعة النار التي جعلها الله فـــي الشـــج الأخضر ؟ وهنا تتجلى الدقة والإعجاز القرآني في تحديد الخضرة حيث أثبت العلم أن النبات الأخضر هو الذي يحتوي على البلاستيدات الخضراء التي هي بمثابة بطاريـــلد حية تحول الطاقة الشمسية إلى طاقة كهروكيميائية ، فهي بضوء الشمس تقـــوم بشـــ

---

(١) القرآن وإعجازه العلمي / محمد إسماعيل إبراهيم / ص١٢٩.وانظر (الإســـلام ديـــن الفطـ والحرية) الشيخ عبد العزيز جاويش / ص١٥٨. و (الإيمان والعلم الحديث) محمد حسين الأديب ص٥٢.

(٢) سورة يس ، الآية (٨٠) .

(٣) الإسلام في عصر العلم / ص٣٦٢.

ماء أو بفلقه إلى نصفين هي الأيدروجين والأكسجين ، ثم تقوم بربط شق منه مع غاز
ني أكسيد الكربون فتحوله إلى سكر، ومنه يتكون النشا والزيوت "[1].

فمن أدرى محمداً صلى الله عليه وسلم بهذه الحقيقة العلميــة ذات التفــاعلات
كيميائية الدقيقة ، لو لم يكن ذلك تنزيلاً من عليمٍ خبيرٍ .

– سبحان من امتن على عباده بشجرة الزيتون المباركة ، قال تعالى : ﴿ وَشَــجَرَةً
خْرُجُ مِنْ طُورِ سَيْنَاءَ تَنْبُتُ بِالدُّهْنِ وَصِبْغٍ لِلآكِلِينَ ﴾ [2].

وقد ضرب الله المثل بزيتها في إشعال نور المصباح ، وكأنه يضيء ، ولو لـم
سسه نار ، قال تعالى : ﴿ اللَّهُ نُورُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ مَثَلُ نُورِهِ كَمِشْكَاةٍ فِيــهَا
صْبَاحٌ الْمِصْبَاحُ فِي زُجَاجَةٍ الزُّجَاجَةُ كَأَنَّهَا كَوْكَبٌ دُرِّيٌّ يُوقَدُ مِــنْ شَـجَرَةٍ مُبَارَكَـةٍ
يْتُونَةٍ لا شَرْقِيَّةٍ وَلا غَرْبِيَّةٍ يَكَادُ زَيْتُهَا يُضِيءُ وَلَوْ لَمْ تَمْسَسْهُ نَارٌ ﴾[3].

" يقرر العلم أن شجرة الزيتون من الأشجار الخشبية التي تعمر طويلاً لمــــدد
يد على مئات السنين ، وتثمر ثماراً مستمرة بغير جهد من الإنسان كما تتميز بأنــها
ئمة الخضرة جميلة المنظر ، وتفيد الأبحاث العلمية أن الزيتون يعتبر مادة غذائيـــة
يدة ، ففيه نسبة كبيرة من البروتين كما يتميز بوجود الأمــلاح الكلسـية والحديديـة
لفسفاتية ، وهي مواد هامة وأساسية في غذاء الإنسان ، وعلاوة علـــى ذلـك فـإن
زيتون يحتوي على فيتامين(أ ، ب) ، يستخرج من ثماره زيت الزيتون الذي يحتوي
ى نسبة عالية من الدهون السائلة التي تفيد الجهاز الهضمي عامة والكبد خاصــة ،
فضل زيت الزيتون كافة أنواع الدهون الأخرى النباتية أو الحيوانية ، لأنه لا يسـبب
راضاً للدورة الدموية أو الشرايين كغيره من الدهون ، كما أنه ملطـــف للجلـد ، إذ
جعله ناعماً مرناً ، بالإضافة لما له من استعمالات كثيرة في الصناعات ، وقـد أقسم

---

(1) وجوه من الإعجاز القرآني / مصطفى الدباغ / ص١٧٩-١٨٠.
(2) سورة المؤمنون ، الآية (٢٠) .
(3) سورة النور ، الآية (٣٥) .

الله به للتنويه بشأنه ،وعظيم منفعته ، قال تعالى : ﴿ وَالتِّينِ وَالزَّيْتُونِ . وَطُورِ سِينِينَ .وَهَذَا الْبَلَدِ الأَمِينِ﴾(١) "(٢) .

٧- وانظر إلى شجر النخيل ، وما ينتجه من ثمرة مفيدة في الغذاء والدواء ، ولذلك جعله الله من شجر الجنة ، وقد أمر الله مريم لما جاءها المخاض أن تهز إليها بجذع النخلة ليتساقط عليها رطباً جنياً ، وسيأتي الكلام على ذلك في عالم الطب ، أما هنا فنذكره مجملاً بسبب الحديث عن النخل في عالم النبات .

قال تعالى : ﴿ وَمِنْ دُونِهِمَا جَنَّتَانِ . فَبِأَيِّ آلاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ . مُدْهَامَّتَانِ . فَبِأَيِّ آلاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ . فِيهِمَا عَيْنَانِ نَضَّاخَتَانِ . فَبِأَيِّ آلاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ . فِيهِمَا فَاكِهَةٌ وَنَخْلٌ وَرُمَّانٌ ﴾ (٣).

" يثبت العلم أن أكثر الطعام للإنسان الفاكهة بأنواعها المختلفة ، فقد جمع فيها سبحانه من الغذاء والدواء ما جعلها مكتملة العناصر اللازمة لصحة الأبدان ، وقد خص الله العليم الخبير بعض أنواع الفواكه بأنها ذات فائدة غذائية أكثر من غيرها ، وهذه هي النخل والرمان التي جاء ذكرها في الآية ، أما النخل فقد دلت التحاليل الكيميائية على أن التمر يحتوي على نسبة مرتفعة من السكريات (٧٦% تقريباً) ويستفيد الجسم من التمر في إنتاج طاقة عالية وسعر حراري كبير علاوة على ما يحتوي عليه من عناصر الكالسيوم والحديد والفسفور ، كميات من الفيتامينات الواقية من مرض البلاجرا مما يجعل التمر غذاء كاملاً وأما الرمان فيحتوي لُبُّهُ (عصيره) على نسبة مرتفعة من حمض الليمونيك الذي يساعد بتأثيره على تقليل أثر الحموضة في البول والدم مما يكون سبباً في تجنب مرض النقرس ، وتكوين حصوة الكلى ، كما

---

(١) سورة التين ، الآيات (١-٣) .

(٢) القرآن وإعجازه العلمي ، محمد إسماعيل إبراهيم / ص ١٦٣-١٦٤ .

(٣) سورة الرحمن ،الآيات (٦٢-٦٨).

أن عصير الرمان به نسبة لا بأس بها من السكريات السهلة الاحتراق المولدة للطاقة ، كما أن قشور سيقان أشجار الرمان تستخدم في القضاء على الدودة الشريطية " [1] .

وهكذا ندرك دقة التعبير القرآني ، وأن كل شيء بقدر موزون ، وأن الله قد أنزل القرآن بعلمه ، وأن محمداً صلى الله عليه وسلم أمين على الوحي ، ما كان له أن يزيد عليه ولا أن ينقص منه ، قال تعالى : ﴿ **وَلَوْ تَقَوَّلَ عَلَيْنَا بَعْضَ الأَقَاوِيلِ . لأَخَذْنَا مِنْهُ بِالْيَمِينِ . ثُمَّ لَقَطَعْنَا مِنْهُ الْوَتِينَ .فَمَا مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ عَنْهُ حَاجِزِينَ . وَإِنَّهُ لَتَذْكِرَةٌ لِلْمُتَّقِينَ** ﴾[2].

ولذلك نجد أن العلم يؤكد صدق القرآن ، ولو كان القرآن من عند محمدٍ صلى الله عليه وسلم لوقع التعارض والتناقض ﴿.. **وَلَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلافًا كَثِيرًا** ﴾ [3].

وبهذا ينكشف وجهٌ من وجوه الإعجاز القرآني ، وهو الإعجاز العلمي مؤكداً دليل الوحي وصدق النبوة .

---

(١) القرآن وإعجازه العلمي / محمد إسماعيل إبراهيم / ص١٦٢.

(٢) سورة الحاقة ، الآيات (٤٤-٤٨) .

(٣) سورة النساء ، الآية (٨٢) .

المبحث الخامس

عالم البحار والمحيطات

مما هو معروف أن البحار والمحيطات تشغل حيِّزاً كبيراً من سطح الأرض يبلغ نحو ثلاثة أرباعها [١] ،" وقد دلت الأبحاث العلمية أن أقصى أعماق البحار تعادل أقصى علو الجبال وقد وصل العلماء إلى أعماق بلغت تسعة وثلاثين ألف قدم ، وما زالوا مجتهدين " [٢] في البحث .

١- وهناك ظاهرة من ظواهر الفطرة تتعلق بتسخير الله سبحانه وتعالى لعباده الفلك والبحر ، وهي ظاهرة نحتاج في فهمها إلى الإلمام بواحدة من سنن الله ، وهي السنة المتعلقة بطفو الأجسام في الماء وفي غيره من السوائل ، وقد منّ الله على عباده بهذا التسخير ، قال تعالى : ﴿ وَسَخَّرَ لَكُمْ الْفُلْكَ لِتَجْرِيَ فِي الْبَحْرِ بِأَمْرِهِ وَسَخَّرَ لَكُمْ الأَنهَارَ ﴾[٣].وقال تعالى : ﴿ وَآيَةٌ لَهُمْ أَنَّا حَمَلْنَا ذُرِّيَّتَهُمْ فِي الْفُلْكِ الْمَشْحُونِ . وَخَلَقْنَا لَهُمْ مِنْ مِثْلِهِ مَا يَرْكَبُونَ ﴾[٤].

" ففي وصف الفلك (بالمشحون) إشارة واضحة إلى أن الفلك المثقل بحمولته كان من شأنه أن يغوص في الماء ويغرق لولا أن سنة الله تقتضي ألا يغوص من السفينة إلا ما يكفي لإزاحة قدر من الماء وزنه مثل وزن السفينة وحمولتها ، فإذا زيدت الحمولة غاص من السفينة جزء جديد ، وإذا انتقصت نقص الغاطس منها .

ولذلك تقوم هندسة السفن بوضع أبعاد للسفينة لتحقق الغرض منها ، ولولا حكمة الله في طفو الأجسام ما كان هناك للسفن هندسة ولا صناعة .

---

(١) انظر (القرآن وعالم الحيوان) / الدكتور عبد الرحمن محمد حامد / ص١٣٢.

(٢) الله والعلم الحديث / عبد الرزاق نوفل / ص١٠٨-١٠٩.

(٣) سورة إبراهيم ، الآية (٣٢).

(٤) سورة يس ، الآيتان (٤١-٤٢) .

وفي كون المحمول ذريتهم إشارة إلى ما سيتطور إليه الفلك في مستقبل الذرية سواء أكان ذلك في عهد الشراع كما في قوله تعالى : ﴿ وَمِنْ آيَاتِهِ الْجَوَارِ فِي الْبَحْرِ كَالأَعْلامِ . إِنْ يَشَأْ يُسْكِنِ الرِّيحَ فَيَظْلَلْنَ رَوَاكِدَ عَلَى ظَهْرِهِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَاتٍ لِكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ . أَوْ يُوبِقْهُنَّ بِمَا كَسَبُوا وَيَعْفُ عَنْ كَثِيرٍ ﴾(1).

أم كان ذلك فيما أعقبه من عهد البخار والكهربائية ، ذرية أو غير ذرية كما في قوله تعالى : ﴿ وَلَهُ الْجَوَارِ الْمُنْشَآتُ فِي الْبَحْرِ كَالأَعْلامِ . فَبِأَيِّ آلاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴾(2).

وتشبيه السفن شراعية وغير شراعية بالجبال إشارة واضحة ليس فقط إلى ما سيكون في هندسة السفن وصناعتها ولكن إلى ما سيكون من تقدم في علوم القوى التي لابد منها لدفع تلك السفن التي كالجبال فضلاً عن وسائل التحكم فيها وتوجيهها أثناء جريانها في البحر " (3) .

٢- كما وسخر الله لعباده الفلك فقد سخر لهم البحر لتجري الفلك فيه وليأكلوا منه لحماً طرياً ، وليستخرجوا منه حلية يلبسونها ، قال تعالى: ﴿ اللَّهُ الَّذِي سَخَّرَ لَكُمُ الْبَحْرَ لِتَجْرِيَ الْفُلْكُ فِيهِ بِأَمْرِهِ وَلِتَبْتَغُوا مِنْ فَضْلِهِ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴾(4). وقال تعالى : ﴿وَهُوَ الَّذِي سَخَّرَ الْبَحْرَ لِتَأْكُلُوا مِنْهُ لَحْمًا طَرِيًّا وَتَسْتَخْرِجُوا مِنْهُ حِلْيَةً تَلْبَسُونَهَا وَتَرَى الْفُلْكَ مَوَاخِرَ فِيهِ وَلِتَبْتَغُوا مِنْ فَضْلِهِ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴾ (5).

فمن دواعي هذه النعم وهذا التسخير أن لا يتجمد من الأنهار والبحار في الشتاء القارس إلا سطحها مما يلي الشواطئ ، ولا يمتد إلى قاعها ، ولو كان ذلك

---

(١) سورة الشورى ، الآيات (٣٢-٣٤).

(٢) سورة الرحمن ،الآيتان (٢٤-٢٥).

(٣) انظر (نماذج من الإعجاز العلمي للقرآن) الدكتور أحمد عبد السلام الكرداني / ص٤٦-٤٨.

(٤) سورة الجاثية ، الآية (١٢).

(٥) سورة النحل ، الآية (١٤).

لهلكت الحيوانات المائية فيها ،فلا يجد الإنسان ما يأكله منها ، ولاستحال أن يعود ماء البحر سائلاً مرةً أخرى بسبب عدم توصيل الماء للحرارة ، وقد توصل العلم إلى أن الماء يتبع السنة العامة في الانقباض بالبرودة حتى درجة ٦ مئوية ، فإذا برد وراء ذلك تمدد فخفَّ ، فعَلا إلى السطح ، ولذا كان التجمد الذي يتكون عند درجة الصفر المئوي أخفَّ من الماء كما هو معروف ومشاهد ، يظل سائره سائلاً ، درجة حرارته بين الصفر والأربعة المئوية ليحفظ على حيوان البحر حياته مهما اشتدت البرودة وليبقى البحر صالحا لجريان الفلك فيه تحقيقاً لذلك التسخير الذي مَنَّ الله به على عباده في أكثر من آية " (١) .

تُرى من الذي أخبر محمداً صلى الله عليه وسلم بهذه السنن الإلهية التي كانت خفية ودقيقة بما يضمن تسخير الفلك وتسخير البحار والأنهار والمحيطات ذلك التسخير الذي يضمن حياة الكائنات البحرية ، إن العلم هو الذي كشف عن هذه الآيات مبينة ومظهراً إعجازها العلمي الدقيق.

١- أما عن اختلاط البحار ، فهناك آيات تطلق لفظ البحر دون وصف له بالعذوبة أو الملوحة ، وهنا إذا أطلق لفظ البحر دلَّ على المالح دون سواه ، وهناك آيات تقيد البحرين بأن أحدهما عذب فرات والآخر ملح أجاج ، وهنا يقصد بالعذب الفرات الأنهار ، ويقصد بالملح الأجاج البحار والمحيطات (٢) .

فمن الآيات التي أطلقت لفظ البحر قوله تعالى : ﴿ مَرَجَ الْبَحْرَيْنِ يَلْتَقِيَانِ . بَيْنَهُمَا بَرْزَخٌ لا يَبْغِيَانِ . فَبِأَيِّ آلاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ . يَخْرُجُ مِنْهُمَا اللُّؤْلُؤُ وَالْمَرْجَانُ ﴾(٣).

---

(١) انظر (نماذج من الإعجاز العلمي للقرآن) الدكتور أحمد عبد السلام الكرداني / ص٤٩-٥٠.

(٢) أشار لهذا الفرق بين الآيات المطلقة والمقيدة عبد المجيد الزنداني ، في شريط مسجل لمحاضرة ألقاها في الموسم الثقافي الخامس للهيئة الإدارية الخامسة للإتحاد الوطني لطلبة الإمارات .

(٣) سورة الرحمن ، الآيات (١٩-٢٢).

يقول عبد المجيد الزنداني [(١)] :

في سنة ١٨٧٣م ، أدركت (الأكاديمية العلمية البحرية) في بريطانيا أن معلوماتها عن البحار قليلة ، فبعثوا سفينة للكشوف العلمية البحرية مزودة بالأجهزة الدقيقة ، ومعها الخبراء ، وقضت هذه السفينة واسمها (تشالنجر) ثلاث سنوات في البحار والمحيطات ، فجاءت بوفرة كبيرة من المعلومات ، وجدوا أن البحار الملحة (المحيطات) ، المحيط الواحد نفسه ، تختلف فيه المياه عن بعضها في الحرارة والكثافة والملوحة والأحياء المائية وقابلية الذوبان للأكسجين ،وإنها تلتقي في مكان واحد ، ولكنها تختلف في الخصائص والصفات .

فمثلاً البحر الأحمر يختلف في خصائصه عن المحيط الهندي ، وكانت هذه من أعجب الحقائق التي عرفت .

ثم تجدد البحث عام ١٩٦٢م حيث جاءت بعثة أوربية إلى باب المندب لتدرس السر الذي يجعل البحار رغم التقائها متمايزة ، على الرغم من وجود ظاهرة المد والجزر ، وهذا من شأنه أن يمزج بين البحار ، ويجعلها متجانسة ، متحدة في الحرارة والكثافة ،والملوحة ..الخ . واستعملت هذه البعثة الأوربية سفينة كالتي سبقت ، قالوا : هذا بحرٌ أزرق ، ومن الجهة الأخرى نفس البحر ، فكانوا إذا أنزلوا أجهزتهم من هذه الجهة دلتهم على أن هذا البحر الأحمر ، وإذا أنزلوا أجهزتهم من الجهة الأخرى دلتهم على أن هذا هو المحيط الهندي ، تحركوا من الشاطئ إلى الشاطئ ، وجدوا نفس النتيجة ، أنزلوا الأجهزة إلى أعماق معينة فوجدوا نفس النتيجة ، تحركت السفينة وزحزحت من مكانها لتدرس هذا الحد ، ما طبيعته ، فوجدوه ماءً ثالثاً ، يختلف في حرارته وكثافته وملوحته عن كل من الماءين في البحرين .

قلِّبوا كتب علم البحار ستجدونهم يتحدثون عن هذا الماء الثالث باسم (فرنت) جبهة ، لقاء بين كتلتين مائيتين يمثلونه باللقاء بين جيشين بينهما منطقة فاصلة وحد

(١) عضو المجلس الأعلى العالمي للمساجد ، والمشرف العام على الهيئة العلمية للإعجاز العلمي للقرآن والسنة وباحث في جامعة الملك عبد العزيز بالسعودية .

فاصل ، وكم كانت دهشة الكابتن (جاكستو) وهو من أشهر علماء البحار الفرنسيين وهو يتكلم عن هذه الحقيقة التي أسفر عنها البحث ، فقال له أحد سامعيه لستم أول من عرف هذا ، لقد ذُكِرَ هذا في القرآن قبل ألف وأربعمائة عام ، فقال إن كان هذا قد ذُكر في القرآن فأشهد أن محمداً رسول الله .

وهو مذكور في القرآن ، قال تعالى : ﴿ **مَرَجَ الْبَحْرَيْنِ يَلْتَقِيَانِ . بَيْنَهُمَا بَرْزَخٌ لا يَبْغِيَانِ**﴾[1].

و " **مرج** " في لغة العرب تعني : الذهاب والإياب والاختلاط الاضطراب .

أي جعل كلاً من البحرين في حالة ذهاب وإياب واختلاط واضطراب ، وكان المتوقع مع لقاء البحرين وهما في هذه الحالة أن يكون امتزاج ، ولكن بينهما برزخ أي حاجز لا يبغيان أي لا يطغي أحدهما على الآخر .

من أخبر محمداً صلى الله عليه وسلم أن البحار في حالة ذهاب وإياب واختلاط واضطراب ومن قال له : إن بينهما جداراً حاجزاً فلا يطغي أحدهما على الآخر ، وهل كان في الذهن أن هناك بحاراً مختلفة ، وهي البحار الملحة ، حتى يقال طغى هذا على هذا .

ومما يؤكد أن الآية تتحدث عن بحرين مالحين قوله تعالى : ﴿ **يَخْرُجُ مِنْهُمَا اللُّؤْلُؤُ وَالْمَرْجَانُ**﴾[2]، والمرجان إفراز لحيوان لا يعيش إلا في المياه المالحة .

ومما وقع فيه كثير من المفسرين بين آية الرحمن هذه ، وآية الفرقان التي تتحدث عن اللقاء بين البحر المالح والعذب ،لأنه لم يكن متصوراً عندهم أن يطغي البحر المالح على المالح ، كيف ذلك ؟ كله بحر واحد . هذا وإن كان الجميع من علماء الإسلام وهم يتعاملون مع الآية يفهمون ماذا يعني مَرَجَ ،وماذا يعني بحر ، وبرزخ ، ولؤلؤ ومرجان .. الخ .

---

(١) سورة الرحمن ، الآية (١٩-٢٠).

(٢) سورة الرحمن الآية (٢٢) .

ولكن كيفية وقوعه وحدوثه في الكون كان أمراً مجهولاً .

ويقول : التقينا برئيس معهد علوم البحار في كاليفورنيا ، وهذا أشهر معهد في العالم لعلوم البحار ، فوجه سؤال للرئيس ونائبه ، وقد جاءا زائرين لجامعة الملك عبد العزيز ، هل رأيتم البرزخ الذي يفصل بين البحار الملحة ؟ فقالا : لقد تمكنا من تصويره بسفن الفضاء وإليكم الصورة من القمر الصناعي .

وهذه قاعدة مطردة بين أي كتلتين مائيتين وإن كانتا بحرين من جنس واحد(١).

٤- أما الآيات العقيدة للبخرين ، أحدهما بالعذوبة والآخر بالملوحة فمنها قوله تعالى :﴿ **وَهُوَ الَّذِي مَرَجَ الْبَحْرَيْنِ هَذَا عَذْبٌ فُرَاتٌ وَهَذَا مِلْحٌ أُجَاجٌ وَجَعَلَ بَيْنَهُمَا بَرْزَخًا وَحِجْرًا مَحْجُورًا** ﴾ (٢).

يقول عبد المجيد الزنداني : " فصلت الآية وبينت أن البحرين المقصودين هنا، أحدهما نهر عذب صاف ، والآخر بحر ملح أجاج ، ويترتب على اللقاء بينهما منطقة مصب وهي خليط بين العذوبة والملوحة ، وتمتاز منطقة العصب بكائنات حية لا تستطيع الخروج من هذه المنطقة لا إلى النهر ولا إلى البحر نظراً لتكيفها مع الضغط الأسموزي في منطقة المصب ، وفي المقابل فإن الكائنات الحية الموجودة في البحر أو النهر لا تستطيع المجيء إلى منطقة المصب لنفس السبب السابق .

إذن فمنطقة المصب حجر على ما بداخلها من الكائنات ، وهي محجورة عن الكائنات التي خارجها ، ولذلك سماها القرآن (**حجراً محجوراً**) .

ونتيجة للمدِّ والجزر والفيضان والجفاف في النهر فإن المنطقة في ذهاب وإياب واختلاط.

وهنا فصَّلت الآية فذكرت القيد الذي يبين أن المقصود هو النهر الصافي (هذا عذب فرات) (وهذا ملح أجاج) وذلك حتى لا يقع في الذهن أن منطقة المصب

---

(١) نفس المرجع السابق (شريط مُسَجَّل) / بتصرف .

(٢) سورة الفرقان ، الآية (٥٣) .

مقصودة ولأن فيها شيئاً من الملوحة ، فجاء هذان القيدان ليتبين أن المقصود النهر الصافي والملح الصافي .

ولهذا وصفت الآية منطقة المصب بشيئين : برزخ وحجر محجور ، وهذه قاعدة مطردة في لقاء كل بحر ونهر ، ولو كان النهر يصب من شلال من قمة جبل إلى البحر ، فلا بد وأن تتكون منطقة المصب بين الماءين وفيها البرزخ وفيها الحجر المحجور " (١).

٥- أما عن الظلمات التي في عمق البحر ، وسبب حدوثها فيقول تعالى : ﴿ أَوْ كَظُلُمَاتٍ فِي بَحْرٍ لُجِّيٍّ يَغْشَاهُ مَوْجٌ مِنْ فَوْقِهِ مَوْجٌ مِنْ فَوْقِهِ سَحَابٌ ظُلُمَاتٌ بَعْضُهَا فَوْقَ بَعْضٍ إِذَا أَخْرَجَ يَدَهُ لَمْ يَكَدْ يَرَاهَا وَمَنْ لَمْ يَجْعَلِ اللَّهُ لَهُ نُورًا فَمَا لَهُ مِنْ نُورٍ﴾(٢).

عندما ينزل الشعاع الضوئي من الشمس تعترضه السحب حيث توجد بكثرة فوق المحيطات نظراً لكثرة التبخير ، فيتشتت جزء من الضوء بسبب هذه السحب وتمتص السحب جزءاً آخر ، فينشأ عند ذلك ظلمة تحت السحاب ، ثم إذا سقط باقي الشعاع على سطح البحر قابله الموج المتعرج المائل ، فينعكس جزء من الأشعة ثم يدخل الجزء المتبقي من الأشعة إلى داخل البحر ، فيمتصه البحر في طبقات متعددة ، والشعاع الضوئي له سبعة ألوان هي ألوان الطيف ، وكل لون منها له طاقة خاصة ، وطول موجة خاص ، فلذلك لا يتمكن من اختراق الماء بقوة متساوية ، فأول شعاع يمتص نهائياً هو الشعاع الأحمر ، وهذا يمتص في العشرة أمتار الأولى العليا السطحية، فيحدث بعد ذلك ، منطقة ظلام من اللون الأحمر ، وتعقب ظلمة اللون الأحمر ظلمة اللون البرتقالي ، فظلمة اللون الأصفر ، فالأخضر ، فالأزرق ، فالنيلية ، فالبنفسجية ، وهكذا طبقة بعد طبقة ، ظلمة فوق ظلمة ، أو ظلمة تحت ظلمة ، حتى

---

(١) نفس المرجع السابق (شريط مسجل) / بتصرف .

(٢) سورة النور ،الآية (٤٠) .

نصل إلى ظلام دامس ، يبدأ الظلام الشديد على عمق مائتي متر ، ويشتد عند مسافة خمسمائة متر أسفل ، وينعدم الضوء نهائياً على عمق ألف متر .

إذن فالشعاع عندما ينزل تتكون منه ظلمات بعضها فوق بعض ، الظلمة الأولى بسبب السحاب ، والثانية بسبب الموج السطحي ، والظلمات الأخرى هي ظلمات الألوان التي تحدث طبقةً بعد طبقةٍ .

والبحر ينقسم رأسياً إلى قسمين : بحر سطحي ، وبحر لجي ، أي (عميق) ، ودائماً يوجد بينهما موج داخلي ، وقد تاه علماء البحار (الاسكندنافيون عجباً باكتشافهم لهذا المتر عام ١٩٠٠م " [١] .

مَنْ قال لمحمدٍ صلى الله عليه وسلم هذا ؟ من أخبره؟ من كشف له ؟ هل كان غواصاً ؟ هل كان له أقمار صناعية ؟ هل كان أستاذا في علم البحار والمحيطات ؟ هذه المعلومات لم يصل إليها أهل الحضارة إلا في القرن العشرين .

وقد نزل هذا بعلم الله ، قال تعالى : ﴿لَكِنْ اللَّهُ يَشْهَدُ بِمَا أَنزَلَ إِلَيْكَ أَنزَلَهُ بِعِلْمِهِ﴾[٢]

---

١) الشيخ عبد المجيد الزنداني (نفس المرجع) الشريط المسجل / بتصرف . وانظر (الإنسان بين العلم والدين) شوقي أبو خليل / ص١٠٧.

٢) سورة النساء ،الآية (١٦٦).

المبحث السادس

عالم الطب والصحة العامة

إنّ القرآن رحمة وشفاء ، إنه نور وهدى ، إنه روح وحياة ، قال تعالى : ﴿وَنُنَزِّلُ مِنَ الْقُرْآنِ مَا هُوَ شِفَاءٌ وَرَحْمَةٌ لِلْمُؤْمِنِينَ . . . ﴾[1] ، وقال تعالى : ﴿وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحًا مِنْ أَمْرِنَا مَا كُنْتَ تَدْرِي مَا الْكِتَابُ وَلَا الْإِيمَانُ وَلَكِنْ جَعَلْنَاهُ نُورًا نَهْدِي بِهِ مَنْ نَشَاءُ مِنْ عِبَادِنَا وَإِنَّكَ لَتَهْدِي إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴾[2] .

ونستطيع أن نقسم الطب إلى ثلاثة أقسام :

١- الطب الوقائي .

٢- الطب العلاجي .

٣- الطب النفسي والاجتماعي .

أولاً : الطب الوقائي :

والمقصود بهذا القسم أن يحتاط الإنسان فيتجنب مزالق الداء ، وأن يحصّن نفسه بما يحولُ بينه وبين الوقوع في المرض ، لأنّ ذلك أفضل من الطب العلاجي الذي يعاني فيه المريض من آلام دائه بالإضافة إلى آلام دوائه ، ولذلك كان المثل المشهور (درهمُ وقايةٍ خيرٌ من قنطارِ علاجٍ) .

وانطلاقاً من ذلك نجد أن القرآن الكريم قد أرسى لهم قواعد الطب الوقائي وبين لهم الطرق التي تؤدي بهم إلى الهلاك ، وحذرهم أشد التحذير منها ، وتوعد مَنْ يسلكها بالوعيد ، كما بَيَّنَ لهم السبيلَ التي تسمو بهم جسداً وروحاً نحو الصحة والسلامة ، وكلُّ ذلك في إطارِ علميٍ لم يشهد له التاريخُ مثيلاً .

---

(١) سورة الإسراء ، الآية (٨٢) .

(٢) سورة الشورى ، الآية (٥٢) .

إذن فالطب الوقائي ما بين أمر ونهي ، ذلك أن هناك أموراً فعلها وتعاطيها ينفع الجسم ويقيه من الأمراض والآفات ، فأمر الشرع بتناولها تحصيناً لهذا الجسم من الغزو والانهيار .

وهناك أمورٌ فعلها وتعاطيها يُسبب ضرراً لهذا الجسم ، ويجعله عرضةً للمرض ، فنهى الشارع عنها وعن الاقتراب منها خشية الوقوع فيها وفيما تسببه من آفات وأمراض .

وبالنظر في مجموعة من النماذج لهذه الأوامر والنواهي ندرك إعجاز القرآن العلمي ، ذلك أن محمداً صلى الله عليه وسلم لم يكن طبيباً يمارس مهنةَ الطب حتى يَضع هذه القواعد والأسس لحماية الإنسان وتحصينه ، فدلَّ ذلك على أن هذا القرآن من لَدُنْ حكيم عليمٍ ، قال تعالى : ﴿ وَإِنَّكَ لَتُلَقَّى الْقُرْآنَ مِنْ لَدُنْ حَكِيمٍ عَلِيمٍ ﴾(1) .

أنزله الله ليصلحَ البشرية ويأخذ بيدها لما يضمنُ عزّها ورفاهيتَها ويديمُ عليها صحتَها وسلامةَ بدنِها .

والآن إلى بعض هذه النماذج لندرك عظمة ذلك الإعجاز ، وعظمة ذلك التشريع الرباني الذي وضع كلَّ شيءٍ في نصابه اللائق به .

١- ولنبدأ بالأمور التي يتعلق بها أمر من الشارع بفعلها ، فمن ذلك دعوة القرآن إلى النظافة بما فيها الوضوء والطهارة ونظافة الثوب والمكان ، قال تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا قُمْتُمْ إِلَى الصَّلَاةِ فَاغْسِلُوا وُجُوهَكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ إِلَى الْمَرَافِقِ وَامْسَحُوا بِرُءُوسِكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ إِلَى الْكَعْبَيْنِ وَإِنْ كُنْتُمْ جُنُبًا فَاطَّهَّرُوا ... ﴾(2) .

وقال : ﴿ ... فَإِذَا تَطَهَّرْنَ فَأْتُوهُنَّ مِنْ حَيْثُ أَمَرَكُمُ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ التَّوَّابِينَ وَيُحِبُّ الْمُتَطَهِّرِينَ ﴾(3) .

---

(١) سورة ، ل ، الآية (٦) .

(٢) سورة المائدة ، الآية (٦) .

(٣) سورة البقرة ، الآية (٢٢٢) .

وقال : ﴿ وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ ﴾[1] .

وقال : ﴿ ... وَطَهِّرْ بَيْتِيَ لِلطَّائِفِينَ وَالْقَائِمِينَ وَالرُّكَّعِ السُّجُودِ ﴾[2] .

" أما فائدة الوضوء من الوجهة الطبية الصحية فهي كثيرة ، ذلك أن نظافة الفم خمس مرات في اليوم مع المضمضة من أهم أسباب الوقاية من مرض الأسنان واللثة، كذلك غسل الأنف بماءٍ باردٍ من أهم أسباب الوقاية من الزكام المتكرر ، ويُعَدُّ غسل الوجهِ والأذنين والأيدي والأرجل عدة مرات كل يوم من أهم أسباب الوقاية لها من الأمراض الجلدية والالتهابات " [3] .

أما الفوائد الصحية للطهارة لا سيما بعد الجماع فهي :

١- تنشيط الجسم وبث الحيوية فيه بعد خموله .

٢- تخفيف الاحتقان الدموي في الجلد والأعضاء التناسلية .

٣- عملية الاغتسال جهد عضلي تنشط القلب والدورة الدموية كما تنشط العضلات الإرادية بشكل عام .

٤- تخليص الجسم من الأدران العالقة به .

٥- الاغتسال يُؤمِّن وظائف الجلد العديدة ، والتي أهمُّها نقلُ الاحساساتِ وتنظيمُ الحرارة وحماية الجسم [4] .

وهكذا ندرك السبق العلمي والعملي للقرآن الكريم في الوضوء والطهارة .

---

(١) سورة المدثر ، الآية (٤) .

(٢) سورة الحج ، الآية (٢٦) .

(٣) (القرآن ينبوع العلوم والعرفان) السيد علي فكري ، ج١/ص١٠٠ ، (بتصرف) ، انظر (روح الدين الإسلامي) عفيف عبد الفتاح طباره ، ص٤٣٢ .

(٤) مع الطب في القرآن الكريم ، للدكتورين عبد الحميد ذياب ، وأحمد قرقوز ، ص١٢١ – ١٢٣ ، بتصرف . وانظر (روح الدين الإسلامي) عفيف عبد الفتاح طبارة ، ص٤٣٢ .

- ومن آيات الأمر ما أرشد الله إليه مريم عندما جاءها المخاض إلى جذع النخلة ، قال تعالى : ﴿ وَهُزِّي إِلَيْكِ بِجِذْعِ النَّخْلَةِ تُسَاقِطْ عَلَيْكِ رُطَبًا جَنِيًّا . فَكُلِي وَاشْرَبِي وَقَرِّي عَيْنًا ... ﴾[1] .

" في هذه الآيات حكمٌ طبيةٌ معجزةٌ تتعلق باختيار ثمار النخيل دونَ سواه من ناحيةٍ ثم توقيته مع مخاض الولادة من ناحية أخرى ، من هذه الحكم :

١) تَبَيَّن من الأبحاث المجراة على الرطب وهو ثمر النخيل الناضج أنه يحتوي على مادة مقبضة للرحم تقوي عمل عضلات الرحم في الأشهر الأخيرة للحمل ، وتساعد على الولادة من جهة ، كما تقلل عملية النزيف الحاصل بعد الولادة من جهة أخرى .

٢) يحتوي الرطب على نسب عالية من السكاكر البسيطة السهلة الهضم والامتصاص، ومن المعروف أن هذه السكاكر هي مصدر الطاقة الأساسي ، وهي الغذاء المفضل للعضلات وعضلة الرحم من أضخم عضلات الجسم وتقوم بعمل جبار أثناء الولادة التي تتطلب سكاكر بسيطة بكميات جيدة ، ونوعية خاصة سهلة الهضم والامتصاص ، كتلك التي في الرطب ، ونذكر هنا بأن علماء التوليد يقدمون للحامل وهي بحالة المخاض الماء والسكر بشكل سوائل سكرية ، وقد نصحت الآية الكريمة بإعطاء السوائل أيضاً مع السكاكر بقوله تعالى: ﴿ فَكُلِي وَاشْرَبِي ﴾ وهذا إعجاز آخر .

٣) إن من آثار الرطب أيضاً أنه يخفض ضغط الدم عند الحوامل فترة ليست طويلة ، ثم يعود لطبيعته ، وهذه خاصة مفيدة لأنه بانخفاض ضغط الدم تقل كمية الدم النازفة .

---

(1) سورة مريم ، الآيتان (٢٥ ، ٢٦)

٤) والرطب يعتبر من المواد الملينة التي تنظف الكولون ، وذلك يساعد في تسهيل وتأمين عملية الولادة بتنظيفها للأمعاء الغليظة خاصةً [١] .

٣- ومن الآيات التي جمعت بين الأمر والنهي قوله تعالي : ﴿ ... وكُلُوا واشْرَبُوا وَلا تُسْرِفُوا إنَّهُ لا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ ﴾[٢] .

فهي أمرٌ بالأكلِ والشربِ ليحصلَ الإنسانُ على ما يلزمه من العناصر اللازمة لبناء جسمه ، وقد نهت في نفس الوقت عن الإفراط في ذلك ، ولعل هذه الآية أحق أن تعتبر أساسا لحياة الإنسان ودستوراً صحياً لمعيشته ،فقد حوت ما يحفظ على الإنسان حياته وصحته وشبابه في ألفاظٍ قليلةٍ جمعت علماً وطباً يربو على ما كتب في عشرات الكتب .

" فكثرة الأكل والشرب تفسد المعدة وتطفئ حرارتها ، وتضعف الجسم ، وتكثر الأرياح (الغازات) في البطن ،وتصفر اللون ، وتضيق النفس ، وبذلك يضعف الفكر ويخمد الذهن ، وينحط الإدراك) [٣] .

" والإسراف في الأكل يؤدي حتماً إلى السمنة ، وكل ما زاد على الوزن الطبيعي فهو حملٌ ثقيلٌ على الأعضاء الرئيسية ، وإن من أخطار السمنة الإعداد للأمراض المعدية والحادة والإنذار السيئ للعمليات الجراحية كما تُعِدُّ لالتهابات حوصلة المرارة وحصواتها والتهاب المفاصل ودوالي الأطراف وارتشاح عضلات القلب والنزلة الشعبية المزمنة والذبحة الصدرية " [٤] .

---

(١) (مع الطب في القرآن الكريم) للدكتورين عبد الحميد ذياب ، وأحمد قرقوز ، ص ٢٨ – ٢٩ ، بتصرف . وانظر (الإعجاز الطبي في القرآن) للدكتور السيد الجميلي ، ص ١٩١ – ١٩٤ .

(٢) سورة الأعراف ، الآية (٣١) .

(٣) (القرآن ينبوع العلوم والعرفان) للسيد علي فكري ، ج١/ص١٠١ .

(٤) (الله والعلم الحديث) ، عبد الرزاق نوفل ، ص ٢٠٤ – ٢٠٥ . وانظر (الوجيز في الطب الإسلامي) للدكتور هشام إبراهيم الخطيب ، ص ٨٤-٨٧ .

أليس ما يقوله الطب في عصر العلم هو ما أوحى الله به منذ ألفٍ وأربعمائة عامٍ ؟ ألا يُعَدُّ ذلك إعجازاً علمياً يمتاز به كتاب الله ؟

٤- وممَّا يُعَدُّ من الإسراف تجاوز الأغذية المباحة إلى الأغذية المحرمة ، قال تعالى : ﴿ ... وَيُحِلُّ لَهُمُ الطَّيِّبَاتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ الْخَبَائِثَ ... ﴾[١] .

وقد بين الله لنا هذه المحرمات في قوله تعالى : ﴿ حُرِّمَتْ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةُ وَالدَّمُ وَلَحْمُ الْخِنْزِيرِ وَمَا أُهِلَّ لِغَيْرِ اللَّهِ بِهِ وَالْمُنْخَنِقَةُ وَالْمَوْقُوذَةُ وَالْمُتَرَدِّيَةُ وَالنَّطِيحَةُ وَمَا أَكَلَ السَّبُعُ إِلا مَا ذَكَّيْتُمْ وَمَا ذُبِحَ عَلَى النُّصُبِ ... ﴾[٢] .

والحديث عن حكمة تحريم هذه المحرمات يطول ، ولكن لا بأس أن نُبيِّنَ الإعجاز العلمي الطبي في نموذجين من هذه الآية وهما الميتة ولحم الخنزير .

" فالكائن الحي إذا مات فإنه يموت بواسطة ميكروبات وجدت فيه فتغلبت عليه، كما أنه بموته تبدأ بكتيريا التعفن تنشط ، حتى يصبح كلُّ جزءٍ منه يحتوي مئات الألوف من البكتيريا الرومية والتعفنية ، وهذا ما أثبته علم البكترولوجيا في العصر الحديث ، وقد سبقه القرآن بمئات من السنين "[٣] ، " كما ويترتب على أكل الميتة أمراضٌ متعددةٌ منها :

١) مرض السل ، وهو مرضٌ معروفٌ .

٢) مرض الجمرة الخبيثة : وهي من أمراض الحيوانات كالغنم والإبل والخيول وغيرها .

٣) التسممات الغذائية : وقد تظهر أعراض التسمم الغذائي عند تناول لحم حيوان ميت ومن هذه الأعراض القيء ، والإسهال ، مع مغصٍ شديدٍ .

---

(١) سورة الأعراف ، الآية (١٥٧) .

(٢) سورة المائدة ، الآية (٣) .

(٣) (الله والعلم الحديث) عبد الرزاق نوفل ، ص ٢١٣ ، بتصرف .

٤) عسر الهضم : وذلك لأن لحم الميتة الفاسد متصلب الألياف والعضلات مما يجعـ
هضمه عسيراً .

٥) التهاب الكبد ~~الوبائي~~ الوبائي .

٦) الأكياس المائية الكلبية : وتظهر هذه الأكياس غالباً في الكبد والرئتين والدماغ .

٧) الإصابة بالديدان والأمراض الطفيلية "(١) .

أما لحم الخنزير الذي لم يعرف القدماء الحكمة في تحريمه ، فيحدثنا الدكتـو السيد الجميلي عن الحكمة في ذلك بقوله : " لقد أثبت الطب الحديث الحكمة في تحريـ لحم الخنزير وذلك باكتشاف أن عضلة لحم الخنزير تحتوي علي الطور المعدي مـ أطوار الدودة الشريطية (تينيا سوليوم) التي يتراوح طولها من ستة إلى ثمانية أمتـا بها قرابة ثمانمائة أسلة أو قطعة وهذه الدودة لها رأس به أربع ممصات وصفان مـ الأشواك الكلابية يبلغ عددها من(٢٢ - ٣٢) شوكة ،وتقبع اليرقة فـي عضـلا الخنزير وتنتقل للإنسان خلال الغذاء به ، وحين يبلع الإنسان البيضة تتحرر اليرقة في الأمعاء، والتي تذيب صدفية البويضة العصارة المعدية ثم تخترق مخاطيـة الأمعـا وتسري في الدم وقد تصل إلى المخ وتتحوصل هناك ومن ثم قد يصيب الشخص مـ جرائها تشنجٌ عصبيٌ ونوباتُ صرعٍ .

وكل قطعةٍ تحتوي على جهازٍ تناسلي وجهازٍ حركيٍ وجهازٍ عصبيٍ وجـها إخراجي وجهازٍ دوريٍ وجهازٍ تنفسيٍ وقد يصل عدد البويضات التي تضعها الـدود الواحدة إلى خمسين ألف بويضة في المرة الواحدة . ونتيجة هذه الدودة الخطيرة يتولـ في الإنسان المريض الإحساس المستمر بالجوع الذي يصل به أحيانـاً إلـى درجـ الصرع من شدة الشره على الأكل ومع اطراد التلهف على الأكل والتغذية السـويعة إ أن المريض يشكو من نقصٍ مُطَّردٍ فى الوزن أيضا ، وتصيبه الأنيميا والقوبـاء بـا ويتوقف جسمه عن النمو تماماً إن كان في سن الشباب .

---

(١) (الوجيز في الطب الإسلامي) للدكتور هشام إبراهيم الخطيب ، ص ٢٢٥ - ٢٢٧ ، بتصـرف وانظر (بين الطب والإسلام) للدكتور حامد الغوابي ، ص ٨٧-٨٨ .

وينتاب المريض بين الحين والحين حالاتٌ من الإسهال المتبادلة مع حالاتٍ من الإمساك كما قد يصاب المريض بانسدادٍ معويٍ من جرَّاءِ الكتل الهائلة من الديدان المتراصة في القناة الهضمية والتي تتآكل من التصاق أشواكها وممصاتها ، وتصيب جدار المعدة بالتهتك والالتهاب ، كما أن الديدان حين تصل للدم سمومها فإنها تهيج الخلايا العصبية للمخ ، ويشكو المريض من صداعٍ حادٍ واضطرابٍ في التفكيرِ وتبلدٍ في الذهنِ "[١] .

" أضف إلى ذلك أنه يحتوي على أكبر كمية من (حمض البوليك) بين سائر الحيوانات على ظهر الأرض ، أما الحيوانات الأخرى غير الخنزير فهي تفرز هذه المادة بصفة مستمرة عن طريق البول ، وجسم الإنسان يفرز تسعين في المائة من هذه المادة بمساعدة الكليتين ، ولكن الخنزير لا يتمكن من إخراج (حمض البوليك) إلا بنسبة ٢% والكمية الباقية تصبح جزءاً من لحمه ولذلك يشكو الخنزير من آلام المفاصل ، والذين يأكلون لحمَه هم الآخرون يشكون من آلام المفاصل ، والروماتيزم ، وما إلى ذلك من الأمراض المماثلة " [٢] .

ترى مَنْ أخبرَ محمداً صلى الله عليه وسلم بهذه المضار جميعها حتى يُحرِّم لحمَ الخنزيرِ لو لم يكن قد نَزَلَ ذلك بعلمِ اللهِ ؟ إنَّه الإعجاز العلميُ الطبيُ الذي يَكْمُنُ في آيات اللهِ فيكشف عنها العلمُ عصراً بعد عصرٍ وجيلاً بعد جيلٍ .

٥- ومما يُعَدُّ من الإسراف أيضا تجاوز الأشربة المباحة إلى الأشربة المحرمة ، قال تعالى :﴿ **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّمَا الْخَمْرُ وَالْمَيْسِرُ وَالأَنْصَابُ وَالأَزْلامُ رِجْسٌ مِنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ فَاجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ . إِنَّمَا يُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَنْ يُوقِعَ بَيْنَكُمْ الْعَدَاوَةَ**

---

(١) الإعجاز العلمي في القرآن ، ص ١١٥ . وانظر (الله والعلم الحديث) عبد الرزاق نوفل ، ص٢١٤-٢١٥ . وانظر (القرآن ينبوع العلوم والعرفان) للسيد علي فكري ، ج١/ص١٠٦ ، وانظر (بين الطب والإسلام) للدكتور حامد الغوابي ، ص٩١-٩٣ . و (الوجيز في الطب الإسلامي) للدكتور هشام إبراهيم الخطيب ، ص ٢١٨-٢٢٠ .

(٢) الإسلام يتحدى ، وحيد الدين خان ، ص٢٢٣ - ٢٢٤ .

وَالْبَغْضَاءَ فِي الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ وَيَصُدَّكُمْ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَعَنْ الصَّلاةِ فَهَلْ أَنْتُمْ مُنْتَهُونَ﴾(١) .

معلومٌ أنَّ الخمرَ من الخبائث ، بل هي أُمُّ الخبائث ، ذلك أنَّها الدافعُ الأساسيُ لجميع الموبقات المعروفة في العالم كالدعارة والقِوادة والفحش والفجور وضعف الخلق وفساد النفس والخبث والغدر والنفاق والخديعة والرياء إلى غير ذلك من الصفات الخلقية الدنيئة ، وأنها كذلك تقتل العواطف السامية في الإنسان كالحنان والعطف وتضعف الإرادة وتعطلها وتسلب قوة السيطرة على النفس ، وهذا يسبب الاعتداء على الفتيات والعربدة والاتصال بنساء الطبقة الدنيا من العاهرات والمومسات والزانيات .

كما إن شارب الخمر يجني على ذريته حيث يتعرض أطفاله لتشويهات خَلْقِيَّة وخُلُقِيَّة قبيحة ، وذلك لأن الخمر تتغلغل في جميع خلايا الجسم خاصة العصبية منها ولا تخلو منها الحيوانات المنوية ، وتنتقل الإصابة بواسطة التلقيح فتصبح العلقة مريضة (٢) .

" ولقد أثبت العلم الحديث أن للخمر أضراراً من الوجهة الطبية ، وهذه الأضرار متمثلة في تأثير الخمر على الجهاز الهضمي ، وتأثيره على الجهاز الدموي، وتأثيره على الجهاز العصبي ، وتأثيره في حرارة الجسم ، وتأثيره في الكبد وإضعافه لمقاومة الجسم للمرض ، وتسببه لكثير من الحوادث وما يترتب عليه من الفقر وسوء الأخلاق وتشويهات النسل إلى غير ذلك من الأضرار الكثيرة " (٣) .

---

(١) سورة المائدة ، الآيتان (٩٠ – ٩١) .

(٢) (الإسلام والطب) للدكتور محمد وصفي ، ص ١٩٩-٢٠٩ ، بتصرف . وانظر (نشرة الطب الإسلامي الصادرة عن المؤتمر العالمي الأول عن الطب الإسلامي) كلمة الدكتور أحمد القاضي ، ص ٤٣٣ . وانظر (من دروس سنن الكائنات) للدكتور محمد توفيق صدقي ، ص١٣-١٤ . و(القرآن والطب) أحمد محمود سليمان ، ص ١٣٨-١٤٦ .

(٣) انظر (بين الطب والإسلام) للدكتور حامد الغوابي ، ص ١٢١ – ١٢٦ . و(الإعجاز الطبي في القرآن) للدكتور السيد الجميلي / ص ١١٩ – ١٢٢ .

٦ — ومن الطب الوقائي الذي أراده الله لعبادة وكشف عنه العلم الحديث عدم اقتراب الحائض وقت حيضها ، قال تعالي : ﴿ وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْمَحِيضِ قُلْ هُوَ أَذًى فَاعْتَزِلُوا النِّسَاءَ فِي الْمَحِيضِ وَلا تَقْرَبُوهُنَّ حَتَّى يَطْهُرْنَ فَإِذَا تَطَهَّرْنَ فَأْتُوهُنَّ مِنْ حَيْثُ أَمَرَكُمُ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ التَّوَّابِينَ وَيُحِبُّ الْمُتَطَهِّرِينَ ﴾(١) .

" إنَّ المواقعة أثناء فترة الحيض يمقتها الطب الحديث وينفر منها علم النساء والتوليد لأن هذه الفترة يحتقن فيها الجهاز التناسلي للأنثى ويصبح أكثر عرضةً الالتهابات ، وفيه تصل المقاومة للعدوى إلى مرتبتها الدنيا في المرأة إذ تصبح أكثر عرضة للأمراض المختلفة ، ولذلك نرى في أثر الأحايين أن ما يصيب الأنثى من أضرارٍ بالغةٍ وخسائر جسيمةٍ بسبب اللقاء الجنسي أثناء فترة الحيض ، وتظهر في صورة التهاباتٍ مهبليةٍ ورحميةٍ وقد تصل الالتهابات إلى قنوات فالوب أو إلى المبيضين ، كما قد تصل هذه الميكروبات إلى الذكر فتحدث التهابات بمجرى البول ، وقد يترتب على ذلك صديد في بعض الأحيان ، ويشبه هذا الالتهاب السيلان ، وقد يمتد الالتهاب إلى الخصيتين فيؤذيهما ، وربما نشأ عن ذلك عقم الرجل ،وقد يمتد الالتهاب إلى المثانة فالحالبين فالكليتين ولعل انبعاث رائحة كريهة من المرأة قد ينفر زوجها منها مما يصيبه بالملل واليأس والسآمة وقد يجعله مصاباً بعقدةٍ نفسيةٍ من زوجته مما يصرفه عنها إلى غيرها " (٢) .

---

(١) سورة البقرة ، الآية (٢٢٢) .

(٢) انظر (الإعجاز الطبي في القرآن) للدكتور السيد الجميلي ، ص ٢٣٤ .

- و (الإسلام والطب) الدكتور محمد وصفي ، ص ١٠٦ – ١١٥ .
- و (من دروس سنن الكائنات) الدكتور محمد توفيق صدقي ، ص ٥٦ – ٥٧ .
- و (النظريات العلمية في القرآن) الدكتور حسين الهراوي ، ص ٢٤ – ٢٥ .
- و (الوجيز في الطب الإسلامي) الدكتور هشام إبراهيم الخطيب ، ص ١٣٢ – ١٣٤ .
- و (روح الدين الإسلامي) عفيف عبد الفتاح طباره ، ص ٤٤٤ .
- و (مجلة الأزهر – لشهر ربيع الأول سنة ١٣٧٨ هـ ، مجلد رقم (٣٠) ، مقال للأستاذ عبد الوهاب حمودة ، ص ٢٨٣ – ٢٨٤ .

وبهذا العرض يدرك كل لبيب ذلك الأذى الذي حذرت منه الآية قبل أربعة عشر قرناً ، واليوم يتولى العلم الحديث رفع اللثام عما تحتويه هذه الآية من طب وقائي يحول بين المرء والوقوع في مزالق الردى ، إنه الإعجاز العلمي المنبثق من بين آياته وكلماته .

٧- ومن اللقاء المحرم بين الرجل والمرأة (الزنا) ، قال تعالى : ﴿ وَلا تَقْرَبُوا الزِّنَى إِنَّهُ كَانَ فَاحِشَةً وَسَاءَ سَبِيلاً ﴾(١) .

" لقد أثبت العلم أن الزنا فوق هدمه لكيان الأسرة يتسبب فيما نسميه بالأمراض السّرية — الزهري والسيلان والقرحة الأكّالة والقرحة الرخوة وقد ظهر الزهري بشكلٍ وبائيٍ في نابولي سنة ١٤٩٤م ، أما السيلان فكان معروفاً أيام موسى عليه السلام وكذلك القرحة الرخوة والقرحة الأكّالة وقد يكون من مضاعفات السيلان عند الذكور التهاب البروستاتا والحويصلة المنوية والتهاب المثانة والحالب والكلى ، وضيق مجرى البول ، والتسمم الدموي ، والصديد في الدم ، والالتهاب الملتحمَي ، و العمى ، ورماتزم الشبان .

أما مضاعفاته عند النساء فهي التهابات المثانة والحالب والمبيض والقناة المبيضية والتهاب الكلى ، والتسمم الدموي الصديدي والرمد الصديدي والعمى وروماتزم الشبان ، وخراجات في أعضاء التناسل أو بجوارها وفي بعض الأحيان يسبب العقم .

أما مرض الزهري فإنه يسبب عند الذكور والإناث مضاعفات كثيرة منها شلل الأطراف السفلى والشلل الجنوبي العام ، والعمى وتصلب الشرايين والذبحة الصدرية والتشوهات الجسمية والقرحة وسقوط الشعر ، وفي بعض الأحيان يكون سبباً مؤهلاً لسل وسرطان اللسان ، ويسبب عند السيدات الإجهاض وموت المولود والولادة قبل الأوان .

---

(١) سورة الإسراء ، الآية (٣٢) .

ويسبب الزهري عند الأطفال البَلَه و العبط الوراثي والضعف والهزال والضمور الوراثي .

أما القرحة الأكالة : فتسبب تشويه الأعضاء التناسلية الخارجية ، وتآكل أجزاء منها أو أكثرها أو جميعها .

أما القرحة الرخوة : فتسبب تقرحات خارجية كثيرة وتشوهات بأعضاء التناسل الخارجية ربما نتج عنها قرحة أكالة "[١] .

وقد ذكر الدكتور (عبد الحميد القضاة)[٢] عدة أمراض ناتجة بسبب اللقاء الجنسي غير المشروع ، واليك قائمة بأسماء بعض هذه الأمراض دون الحديث عنها فذلك أمر يطول ، وهي : مرض الزهري (السفلس) — مرض السيلان ، مرض القرحة الرخوة ، المرض الحبيبي اللمفاوي الجنسي ، الورم الحبيبي الإربي ، التهابات الإحليل المختلفة ، الجرب ، مرض تقمّل العانة ، تآليل الأعضاء الجنسية المعدية ، مرض الإيدز (الحديث) .

حالات مرضية مختلفة ناتجة عن الجنس منها : التهاب الشرج والمستقيم ، التهاب الفرج ، وهناك أمراضٌ غير جنسيةٍ ولكنَّ الجنس يساعد في نشرها منها : الأمراض المعوية ، التهاب الكبد الفيروسي ، المرض الفيروسي المُسمى (CMV)- مرض رايتر ، أمراض الفطريات الجلدية [٣] .

---

(١) (القرآن والطب) أحمد محمود سليمان ، ص ١٣٦ – ١٣٧ ، بتصرف .
- وانظر (الإسلام والطب) الدكتور محمد وصفي ، ص ١١٧ – ١٦٥ .
- و(مع الطب في القرآن الكريم) للدكتورين عبد الحميد دياب وأحمد قرقوز ، ص١٦٧-١٧٦ .
- و (الوجيز في الطب الإسلامي) الدكتور هشام إبراهيم الخطيب ، ص ١٣٥ – ١٣٨ .
- و (من دروس سنن الكائنات) الدكتور محمد توفيق صدقي ، ص ١٤٣ – ١٤٩ .
- و (روح الدين الإسلامي) عفيف عبد الفتاح طباره ، ص ٤٤٥ .

(٢) أخصائي تشخيص الأمراض الجرثومية والأمصال بالأردن .

(٣) انظر هذه الأمراض مفصلة في كتابه ، (الأمراض الجنسية عقوبة عاجلة) .

وقد خص الدكتور القضاة مرض الإيدز بكتاب مستقل وهو بعنوان " الإيدز حصاد الشذوذ " ومرض الإيدز مرض عصري خطير انتشر في أيامنا هذه ، وقد خصه الدكتور القضاة بعشر خصائص هي :-

١) إتلاف جهاز المناعة .

٢) تغير وظيفة السائل المنوي .

٣) عدم القدرة على صناعة طُعم واقٍ منه .

٤) عدم فعالية الأجسام المضادة له .

٥) ضنك العيش .

٦) الإيدز يتحدى الطب إذ لا علاج له .

٧) الآثار الاقتصادية المدمرة .

٨) طريقة الانتقال .

٩) الازدواجية والتعددية .

١٠) القتل البطيء .(١)

٨- ومن اللقاء المحرم ذلك الشذوذ الجنسي الذي وقع فيه قوم لوط ، قال تعالى : ﴿أَتَأْتُونَ الذُّكْرَانَ مِنَ الْعَالَمِينَ . وَتَذَرُونَ مَا خَلَقَ لَكُمْ رَبُّكُمْ مِنْ أَزْوَاجِكُمْ بَلْ أَنْتُمْ قَوْمٌ عَادُونَ﴾(٢).

لقد كشف العلم الحديث عن خطورة هذه الفاحشة وأضرارها الصحية المتعددة مما يزيل اللثام عن حكمة التحريم ، وأن هذا القران من عليم خبير . فمن أهم الأسباب التي حُرِّمَ اللواط من أجلها هو الحفاظ على الجهاز التناسلي عند الرجل والمرأة سليماً ، فمن المعروف خلوهما أصلاً من الجراثيم ، بعكس نهاية الأمعاء الغليظة ، فإن الفضلات التي تخرج منها يتكون معظمها من جراثيم ضارةٍ ، وهي التي تسبب القيح ،

---

(١) انظر تفصيل هذه الخصائص في كتابه (الإيدز حصاد الشذوذ) ص ١٠١ - ١٠٨ .

(٢) سورة الشعراء ، الآيتان (١٦٥ - ١٦٦)

فتسربها إلى الجهاز التناسلي للرجل أو المرأة أو لكليهما يكون عن طريق اللواط ، فيفقد هذا الجهاز صفة طهارته من الجراثيم ، بل يصبح مرتعا لها مما يترتب عليه التهابا وتقيحا تزداد خطورته كلما ازداد عدد هذه الجراثيم ، ويترتب على هذا ضعف الحيوانات التناسلية وربما أدى ذلك إلى القضاء عليها " [1].

أضف إلى ذلك أن هذه الفاحشة تضعف القوى النفسية الطبيعية في الشخص وتجعله عرضة للإصابة بأمراض عصبية شاذة وعلل نفسية شائنة تفقده لذة الحياة ، وتسلبه صفة الإنسانية والرجولة ، ويؤثر اللواط على المخ حيث يصاب اللائط بالبله والعبط وشرود الفكر وضياع العقل والرشاد ، ومن ناحية أخرى فإنه يكون سببا في تمزق المستقيم وهتك أنسجته ، وارتخاء عضلاته ، وسقوط بعض أجزائه ، وفقد السيطرة على المواد البرازية ،وعدم استطاعة القبض ، ولذلك نجد الفاسقين دائمي التلوث بهذه المواد المتعفنة بحيث يخرج منهم بغير إرادة أو شعور .

وقد يصاب اللائط بالحمى التيفودية الدسنطاريا وغيرهما من الأمراض الخبيثة التي تنتقل بطريق التلوث بالمواد البرازية المزودة بمختلف الجراثيم المملوءة بشتى أسباب العلل والأمراض " [2] .

٩- ونختم هذا القسم من الطب الوقائي بما شرعه الله من تحريم الربا، قال تعالى : ﴿يا أَيُّها الذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وذَرُوا ما بَقِيَ مِنَ الرِّبَا إنْ كُنتُمْ مُؤْمِنِينَ . فَإنْ لَمْ تَفْعَلُوا فَأْذَنُوا بِحَربٍ مِنَ اللَّهِ ورَسُولِهِ﴾[3].

يقول الدكتور عبد العزيز إسماعيل : " سأتكلم عن نقطة طبية واحدة وهي تأثير الانفعالات العصبية التي تحدث عند عدم تمكن المدين من الدفع ، وكم شاهدنا حالات أدت إلى ظهور البول السكري ،وزيادة ضغط الدم والشلل ، وأرق قد يؤدي إلى

---

(١) (القرآن والطب) أحمد محمود سليمان / ص١١٧/بتصرف .

(٢) (الإسلام والطب) الدكتور محمد وصفي / ص١٧٥-١٧٨/ بتصرف . وانظر (مع الطب في القرآن الكريم) للدكتورين عبد الحميد ذياب ،وأحمد قرقوز /ص١٧٧-١٧٨.

(٣) سورة البقرة ، الآيتان (٢٧٨ ، ٢٧٩).

الجنون ، لأن الاضطراب العصبي في هذه الظروف يزيد مادة الأدرينالين في الجسم ، وهذه تؤثر في الضغط الدموي وإفرازات البنكرياس ، وهذه الانفعالات لا تتفق مع النفس المطمئنة التي يريدها الحق تعالى .

وكذلك فإن الدائن لا يقل ضررا عن المدين ، فقد أفلس أناس كثيرون لأن مدينيهم لم يؤدوا ديونهم ، وأما الدائنون من الأفراد الذين يتعاملون بالربا أضعافا مضاعفة ويرتهنون أشياء ثابتة لا تنزل قيمتها مثل الذهب فضررهم من الوجهة الصحية شديد ، لأن الإثراء السريع يؤثر في الأعصاب أكثر من المصائب ، وذلك لأن الانفعالات الناشئة من العلو دفعة واحدة فالإنسان غير قادر عادة على اتقائها ، لأنه لا يتصور زوالها ، إذ لو تصور ذلك لذهبت سعادته ، وذهب سروره بها ، وكثير من الأمراض العصبية غير العضوية ينشأ من مثل هذه الحالات " [1] .

وهكذا يكشف علم الطب الحديث عن الأضرار الصحية المترتبة على تعاطي الربا ، مما يكشف إعجازا علميا طبيا لهذه الآيات التي نزلت على النبي الأمي منذ أربعة عشر قرنا مضت .

وبكل ما سبق ندرك عظمة الطب الوقائي الذي جاء في كتاب الله ليحفظ على الناس صحتهم ،ويديم عليهم عافيتهم ،ويصون لهم كرامتهم ، وكل ذلك قد كشف عنه العلم الحديث بما يثبت صدق الوحي ودليل النبوة .

ثانيا : الطب العلاجي :

إن الإسلام لم يترك دستوره الصحي مبتورا ، لعلمه أن الإنسان مهما بلغ من الاحتياط ، فإن هناك أمورا لا يسيطر عليها ،ولا يمكن أن يحتاط لها ، بل إن هناك عوامل ليست في حسبانه ، قد تسبب له أمراضا وهو لا يدري ولذلك فقد شرع لهم التداوي ، وأشار إلى بعض ما يعد دواء.

---

(١) (الإسلام والطب الحديث) ص٣٥-٣٧/بتصرف . وانظر (بين الطب والإسلام) الدكتور حامد الذوابي /ص١١٣.

١-فمن أهم هذه العلاجات التي ذكرها القرآن وأثبتها العلم الحديث في تجاربه وممارساته هو عسل النحل ، قال تعالى : ﴿ ثُمَّ كُلِي مِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ فَاسْلُكِي سُبُلَ رَبِّكِ ذُلُلا يَخْرُجُ مِنْ بُطُونِهَا شَرَابٌ مُخْتَلِفٌ أَلْوَانُهُ فِيهِ شِفَاءٌ لِلنَّاسِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَةً لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴾(١).

٢-لقد قام العلماء الباحثون قديماً وحديثاً بتجارب كثيرة على العسل وخرجوا بنتائج عظيمةٍ ومفيدةٍ تكشف عن إعجازٍ علميٍ طبيٍ لهذه الآية الكريمة .

" فتركيبه الكيميائي هو : (٢٥-٤٠%) جلوكوز ، و(٣٠-٤٥%) ليفيلوز ، (١٥-٢٥%) ماء ، والجلوكوز الموجود فيه نسبته أكثر من أيِّ غذاءٍ آخرٍ ، وهو سلاح الطبيب في أغلب الأمراض ،واستعماله في ازدياد مستمر بتقدم الطب ، فيعطي بالفم وبالحقن الشرجية ، وتحت الجلد وفي الوريد ويُعطى بصفته مقوياً ومغذياً ، وضد التسمم الناشئ من أمراض أعضاء في الجسم مثل التسمم البولي والناشئ من أمراض الكبد والاضطرابات المعدية والمعوية ،وضد التسمم في الحميات مثل التوفوئيد والالتهاب الرئوي والسحائي المخي والحصبة ، وفي حالات ضعف القلب ، وفي حالات الذبحة الصدرية وبطريقة خاصة في الارتشاحات العمومية الناشئة من التهابات الكلى الحادة ، وفي احتقان المخ وفي الأورام المخية"(٢) .

وقد أجرى الدكتور أحمد شوقي خليل بحثاً عملياً على عسل النحل بعنوان "العسل كمضاد حيويّ" وقدمه في المؤتمر العالمي الأول عن الطب الإسلامي بالكويت سنة ١٤٠١هـ ، يقول فيه :

" لقد ذكر القرآن الكريم العسل ، وبين أن فيه شفاءً للناس ، ولقد بُحِثَ مفعول العسل كعلاجٍ في دراساتٍ كثيرةٍ في الماضي .. وقد لاقي اهتماماً كبيراً في الدراسات

---

(١) سورة النحل ،الآية (٦٩).

(٢) (الإسلام والطب الحديث) الدكتور عبد العزيز إسماعيل / ص١٠٥-١٠٦.وانظر (معجزة القرآن) نعمت صدقي /ص٧٦ . و(الوجيز في الطب الإسلامي) الدكتور هشام إبراهيم الخطيب / ص١٥٩-١٦٣. و(الإعجاز الطبي في القرآن) الدكتور السيد الجميلي /ص١٩٩-٢٠٠.

الحديثة ، ووجد أنه يعمل كمضاد حيـــوي إذا اسُــتعمل موضعيــاً فــوق الجــروح والحروق"(١) .

ونجده يستعرض في بحثه عدة تجارب قام بها مجموعة من العلماء على مدار عدة سنوات وكانت النتائج تقرر استخدام العسل كمضاد حيوي .

وبذلك يقرر نتيجة بحثه العملي التجريبي بقوله : " وقد وافقت النتــــائج التــي حصلت عليها ما توصل إليه جافانا سنة ١٩٧٠م وبعض الأبحاث الأخرى التي أكــدت أن في العسل شفاء لبعض الأمراض ، وقتل كثير من الميكروبات مما يُحَبِّذُ اســـتعمال العسل كعلاجٍ في الجروح والحروق المتقيحة ويبشر بنتائج طيبة . وقد أفاد الدكتـــور معتز المرزوقي بأنه يستعمل عسل النحل في علاج قرحة القرنية حيث أعطته نتــائج ممتازة ، وأيضاً يستعمل العسل كقاعدة في المراهم التي يستعملها للعين ، وهو يرحــب بالتعاون في هذا المجال . وأفاد الدكتور أحمد القاضي بأنه يستعمل عسل النحــل فــي جروح البطن،وكذلك الجروح تحت الجلد لحمايتها من التلوث وكذلك ليساعدها علــى الالتئام ، وذكر بأنه يوجد تقارير كثيرة في هذا المجال " (٢) .

إذا علمنا هذا أدركنا أن القرآن لم يذكر هذه الحقيقة العلمية الثابتـــة بطريــق المصادفة ، ولكنه تنزيل ممن خلق الإنسان والنحل .

٣-ومما يُعَدُّ من الإجراءات العلاجية لكثيرٍ من الحالات المرضية تلك العبــادة التــي فرضها الله على عباده ،وهي الصوم ، قال تعالى : ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُــوا كُتِــبَ عَلَيْكُمْ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾(٣).

---

(١) انظر (نشرة الطب الإسلامي) الصادرة عن المؤتمر العالمي الأول عن الطــب الإســلامي ص٤٢٤.

(٢) انظر (نفس المرجع السابق) ص٤٣٣ - ٤٢٠ / لترى بحثاً بعنوان "عسل النحــل وأمــراض الجهاز الهضمي" الدكتور سالم نجم .

(٣) سورة البقرة ، الآية (١٨٣).

إن مما أثبته العلم أن الجهاز الهضمي من أكثر الأجهزة عملا وتحملا لأعباء الهضم الكبيرة بالإضافة إلى أجهزة البدن كافة ، فإذا أمكن إراحة أعضاء الجسم كافة ، والجهاز الهضمي خاصة بنظام ثابت ، طيلة شهر كامل لحصلنا بذلك على فوائد عديدة لا يمكن إنكارها منها :

١) تخليص الجسم من شحومه المتراكمة والتي تشكل عبئا ثقيلا عليه ، وهو ما يعرف بداء السمنة ، فالصوم هو أحسن الوسائل المجدية في معالجة هذا الداء .

٢) طرح الفضلات والسموم المتراكمة .

٣) إتاحة الفرصة لخلايا الجسم وغدده لأن تقوم بوظائفها على الوجه الأكمل .

٤) إراحة الكليتين والجهاز البولي بعض الوقت من طرح الفضلات المستمر .

٥) تخفيف وارد الدسم على الشرايين ، والوقاية من إصابتها بالتصلب .

٦) الجوع يولد في الجسم رد فعل بعد الصيام ، يتجلى برغبة في الطعام ، وبشعور بالنشاط والحيوية ، يقول الطبيب السويسري بارسيلوس : إن فائدة الجوع في العلاج قد تفوق بمرات استخدام الأدوية .

ومن ناحية أخرى فإن للصوم انعكاسات نفسية حميدة على الصائم تتمثل في رقة المشاعر ، ونبيل العواطف وحب الخير ،والابتعاد عن الجدل والمشاكسة " (١).

وهكذا يظهر الطب العلاجي كما رأينا في الآيات الكريمة وقد أثبت ذلك الطب الحديث بما يؤكد إعجاز القرآن العلمي الطبي .

ثالثا : الطب النفسي والاجتماعي :

وهذا نوع آخر من العلاجات الطبية في القرآن حيث يعني بالبيئة والحالة الاجتماعية للفرد والأسرة ، ليتكون مجتمع خال من الجهل والمرض والفقر والخوف

---

(١) (مع الطب في القرآن الكريم) للدكتورين عبد الحميد ذياب وأحمد قرقوز / ص٢٠١،٢٠٢/بتصرف . وانظر (الوجيز في الطب الإسلامي) للدكتور هشام إبراهيم الخطيب / ص١٧٦-١٧٨. و(الإعجاز الطبي في القرآن) الدكتور السيد الجميلي / ص٢١٣-٢١٥.

والقلق ، فكل هذه أمراض اجتماعية يجب القضاء عليها ، وكذلك يُعنى القرآن بـالنفس فيطمئنها ويخلصها من صراعها وضياعها .

فمن أبرز دواعي السكن والأنس والمودة ما شرعه الله في كتابه وجعله آيةً من آياته ، ألا وهو الزواج ، قال تعالى : ﴿ وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُمْ مَوَدَّةً وَرَحْمَةً إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴾[1].

هذا بالنسبة لتكوين وبناء أسرةٍ سعيدةٍ هنيئةٍ إطارها المودة والرحمة ، فهي أساس المجتمع ، وبها يكون التكاثر والتناسل ،ولذلك فقد أكد الله العلاقة التي يجب أن تكون بين الأبناء ووالديهم ، قال تعالى : ﴿ وَقَضَى رَبُّكَ أَلا تَعْبُدُوا إِلا إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِنْدَكَ الْكِبَرَ أَحَدُهُمَا أَوْ كِلاهُمَا فَلا تَقُلْ لَهُمَا أُفٍّ وَلا تَنْهَرْهُمَا وَقُلْ لَهُمَا قَوْلاً كَرِيماً ﴾[2].

وقد اهتم الطب الاجتماعي بسلوك الفرد مع غيره ،والأسر مع غيرها ، فشرع لهم التحية فيما بينهم ، ودعاهم إلى التعاون على البر والتقوى ، قال تعالى : ﴿وَإِذَا حُيِّيتُمْ بِتَحِيَّةٍ فَحَيُّوا بِأَحْسَنَ مِنْهَا أَوْ رُدُّوهَا إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ حَسِيبًا ﴾[3]، وقال تعالى ﴿ وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَى وَلا تَعَاوَنُوا عَلَى الإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ﴾[4]. والآيات التي تُعَدُّ أصولاً للسلوك بين أفراد المجتمع كثيرةٌ جداً ، ولعل جماعَ ذلك قوله تعالى : ﴿ إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالإِحْسَانِ وَإِيتَاءِ ذِي الْقُرْبَى وَيَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَالْبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴾[5].

---

(١) سورة الروم ، الآية (٢١).

(٢) سورة الإسراء ، الآية (٢٣).

(٣) سورة النساء ، الآية (٨٦).

(٤) سورة المائدة ، الآية (٢).

(٥) سورة النحل ، الآية (٩٠)

أما الطب النفسي فقد احتـل مكانةً مرموقةً في هذا العصر ، حيث يُعَدُّ أصـلاً لكافة فروع الطب البشري ، وقد كثرت عيادات الطب النفسي كثرةً هائلةً ، لذلك نجـد أن القرآن الكريم رَكَّزَ على هذا النوع من الطب النفسي وذلك بفتح آفاق أمـام هـذه النفس ، من ذلك شمول رحمته للتائبين ،قال تعالى : ﴿ قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِيـنَ أَسْـرَفُوا عَلَى أَنفُسِهِمْ لا تَقْنَطُوا مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعاً إِنَّهُ هُـوَ الْغَفُـورُ الرَّحِيمُ﴾(١) ، وقال : ﴿وَمَنْ يَعْمَلْ سُوءاً أَوْ يَظْلِمْ نَفْسَهُ ثُمَّ يَسْتَغْفِرِ اللَّهَ يَجِدِ اللَّهَ غَفُوراً رَحِيمًا﴾(٢) ، ونجد أن القرآن يقضي على مصدر القلق والاهتمام بأمور الغيب ، قـال تعالى : ﴿ وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ مَاذَا تَكْسِبُ غَدًا وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ بِأَيِّ أَرْضٍ تَمُوتُ ﴾(٣).

ومعلومٌ أن للحزن أثراً على الأعصاب أسوأ من أثر الأمراض فاضطرابـات الأعصاب وعدم الترويح عن النفس عند الصدمات يسبب ضغط الدم ويجلب مـرض السكري ويتـلف الأعصاب ، فكم من شخصٍ ساوره اليـأس فقـاده إلـى الحـزن ، وأصيب بمرض السكر وارتفع ضغط دمه إلى درجة الخطر ، وقد عالج الإسلام هـذه الانفعالات النفسية بدعوة الإنسان إلى الاطمئنان بربه وعدم الحزن ونبذ القلق ، قـال تعالى : ﴿الَّذِينَ آمَنُوا وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُمْ بِذِكْرِ اللَّهِ ألا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ ﴾(٤).

وقد أمر الله بعدم الوهن والحزن قال تعالى : ﴿ وَلا تَهِنُوا وَلا تَحْزَنُوا ... ﴾(٥) .

وجاء الطب النفسي الحديث مؤيداً ذلك ومبشراً بمبادئ الديـن ، إذ يـرى أن الاستمساك بالدين ينزع من النفس قلقها ، ويزيل عنها توترها ، فمـا أسـهل انـهزام

---

(١) سورة الزمر ، الآية (٥٣).

(٢) سورة النساء ، الآية (١١٠).

(٣) سورة لقمان ، الآية (٣٤).

(٤) سورة الرعد ، الآية (٢٨).

(٥) سورة آل عمران ، الآية (١٣٩) .

الرجل إذا ضَعُفَ إيمانه ،وما أعظم انتصاره إذا كان بالله اطمئنانه ، فالمرء المتدين لا يعاني مرضاً نفسياً "[١] .

كيف ذلك وكل ما يوصي به الأطباء في هذا الشأن من الاعتماد على الله والصبر لا يطاول إحدى الآيات البينات ، التي يزخر بها القرآن الكريم ، منها قوله تعالى : ﴿وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ ﴾[٢].وقوله : ﴿ ألا إِلَى اللَّهِ تَصِيرُ الأمُورُ ﴾[٣]. وقوله تعالى : ﴿اللَّهُ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ ﴾[٤]. وقوله تعالى : ﴿وَاصْبِرْ وَمَا صَبْرُكَ إِلا بِاللَّهِ﴾[٥]. وقوله : ﴿ مَا يَفْتَحِ اللَّهُ لِلنَّاسِ مِنْ رَحْمَةٍ فَلا مُمْسِكَ لَهَا ﴾[٦]. وقوله ﴿ قُلْ لَنْ يُصِيبَنَا إِلا مَا كَتَبَ اللَّهُ لَنَا﴾[٧]. وقوله : ﴿ وَمَا مِنْ دَابَّةٍ فِي الأَرْضِ إِلا عَلَى اللَّهِ رِزْقُهَا ﴾[٨]. وقوله : ﴿سَيَجْعَلُ اللَّهُ بَعْدَ عُسْرٍ يُسْرًا ﴾[٩].

وإليك شهادة عالمٍ أمريكيٍ عن دور الإيمان في الطب النفسي ، يقول الدكتور بول ارنست ادولف تحت عنوان (الله والعلاج الطبي) : " ولقد أيقنت أن العلاج الحقيقي لا بد أن يشمل الروح والجسم معاً في وقتٍ واحدٍ ، وأدركت أن من واجبي أن أطبق معلوماتي الطبية والجراحية إلى جانب إيماني بالله وعلمي به ، ولقد أقمت كلتا الناحيتين على أساس قويم ، ،بهذه الطريقة وحدها استطعت أن أقدم لمرضاي العلاج

---

(١) بين الطب والإسلام للدكتور حامد الغوابي / ص١٠٥/ بتصرف ، وانظر (الطب الإسلامي للدكتور عز الدين فراج / ص٤.

(٢) سورة الأحزاب ، الآية (٣

(٣) سورة الشورى ،الآية (

(٤) سورة العنكبوت ،الآية (٦٢) .

(٥) سورة النحل ، الآية (١٢٧) .

(٦)سورة فاطر ،الآية (٢).

(٧) سورة التوبة ، الآية (٥١).

(٨) سورة هود ، الآية (٦).

(٩) سورة الطلاق ، الآية (٧).

الكامل الذي يحتاجون إليه ،ولقد وجدت بعد تدبر عميق أن معلوماتي الطبية وعقيدتي في الله هما الأساس الذي ينبغي أن تقوم عليها لفلسفة الطبية الحديثة " [١] .

إلى أن يقول : " وهناك كثيرٌ من الحالات النفسية التي يلعب الخوف والقلق دوراً هاماً فيها ، فإذا عولج الخوف والقلق على أساس تدعيم إيمان الإنسان بالله فإن الصحة والشفاء يعودان للإنسان بصورة كأنها السحر في كثيرٍ من الحالات ، ولا يتسع المقام لذكر الحالات التي تم فيها الشفاء فوراً بسبب الالتجاء إلى الله والثقة به ، وقد وصفت كثيراً هذه الحالات في أحد الكتب التي الفتها وهو (الصحة تتدفق) وبينت في هذا الكتاب كيف كان الإيمان بالله جزءاً هاماً في العلاج النفسي والطبي ،وكيف أدى إلى نتائج تدعو إلى العجب " [٢].

وبنظرة إلى الدول الغربية وأمريكا نجد مستشفيات الأمراض العصبية تتنافس في عددها مستشفيات الأمراض العضوية ، وأن نسبة الانتحارات في هذه البلدان في ازديادٍ مطردٍ على الرغم من الترف المادي الذي يعيشونه ، مما يدل على حاجة هذه الشعوب إلى الجانب الروحي الذي يفقدونه .

وفي المقابل نجد أن هذه النسبة لا تكاد تُذكر في الشعوب التي تدين بالإسلام .
وهكذا فإن العلاج الوحيد لكثير من الأمراض النفسية والعصبية هو الفرار والالتجاء إلى الله تعالى ، قال تعالى : ﴿ فَفِرُّوا إِلَى اللَّهِ إِنِّي لَكُمْ مِنْهُ نَذِيرٌ مُبِينٌ ﴾[٣] .

وقد لاحظنا أن القرآن الكريم ثريٌ جداً في هذا النوع من الطب النفسي وهو من أنجع العلاجات الطبية المستخدمة في العصر الحديث وهكذا ندرك أن القرآن الكريم قد أدى دوراً هاماً في مجال الطب سواء كان ذلك طباً وقائياً أو علاجياً أو نفسياً واجتماعيا بما يثبت للقرآن إعجازاً علمياً في هذا المجال .

---

(١) (الله يتجلى في عصر العلم) لنخبة من العلماء الأمريكيين / ص١٣٦.
(٢) نفس المرجع/ ص١٣٨.
(٣) سورة الذاريات ، الآية (٥٠) .

الخاتمة

موجز الرسالة وأهم نتائجها :

تناول الفصل التمهيدي تعريف المعجزة والإعجاز لغة واصطلاحا ، وتاريخ استعمال لفظ الإعجاز والمعجزة ، مع استعراض المواضع التي ورد فيها لفظ (عجز) ومشتقاتها في القرآن الكريم ،مع بيان شروط المعجزة ، وبيان طريق العلم وحكم الإيمان بها ، مع بيان أقسامها ،ومدى حاجة النبي صلى الله عليه وسلم إليها، ومقارنة معجزة النبي صلى الله عليه وسلم بمعجزات الأنبياء السابقين ، وهل للنبي صلى الله عليه وسلم معجزة غير معجزة القرآن الخالدة ؟ مع استعراض لتاريخ الإعجاز ، وذكر نماذج من آراء العلماء فيه ، وبيان تدرج الإعجاز مع مراحل التحدي ، وختامها الفرق بين المعجزة والاختراع العلمي.

نتائج هذا الفصل :

١- التعرف على معنى المعجزة لغة واصطلاحا مع الخروج بتعريف جامع مانع للمعجزة .

٢- ظهر تحقق شروط الإعجاز في القرآن الكريم .

٣- التعرف على شروط المعجزة ، وقد بلغت عشرة .

٤- ظهرت أقسام المعجزة ،وأنها تنقسم بعدة اعتبارات .

٥- بان مدى حاجة النبي إلى المعجزة باعتبارها الشاهد له بأنه رسول الله .

٦- ظهرت وجوه الاتفاق والافتراق بين معجزة النبي صلى الله عليه وسلم ومعجزات الأنبياء السابقين.

٧- ثبت أن للنبي صلى الله عليه وسلم معجزات أخرى سوى القرآن ، وإن لم يكن متحدى بها .

٨- بأن التسلسل التاريخي لعلم الإعجاز عبر العصور والأجيال .

٩- ظهرت لنا جهود العلماء وآراؤهم المتباينة في إعجاز القرآن .
١٠- إن الإعجاز القرآني غير محصور في البيان فقط ، بل يشمل البيان وغيره .
١١- ظهر الفرق واضحا بين المعجزة والاختراع العلمي .

أما الفصل الأول : فقد تناول دور القرآن في مجال العلم والعقل ، حيث دعا إلى العلم والتعلم ، واهتم بالعقل الإنساني والتفكير العلمي ، وحرص على إيجاد الشخصية العلمية النموذجية ،مع كشف سبل المعرفة في التصور الإسلامي ،وتحدث عن موقف القرآن ، من البيئة الجاهلية بما في ذلك جاهلية العرب وجاهلية اليونان ، وجاهلية أوربا ، وعقد مقارنة بين القرآن والكتب السماوية السابقة ، وذلك من حيث أصالة النص القرآني وعدم أصالته في الكتب السماوية السابقة التوراة والإنجيل ومن حيث توافق العلم الحديث مع القرآن ،وعدم توافقه مع التوراة والإنجيل .

نتائج هذا الفصل :

١) إن القرآن قد حارب الجاهلية بكافة أشكالها وألوانها وأزمانها وأمكنتها .
٢) إن الإسلام قد دعا إلى العلم والتعلم ودفع الجهل بكل الوسائل والطرق .
٣) إن كل علم يدفع الجهل ويورث المعرفة هو من العلم المطلوب شرعا .
٤) اهتم القرآن ببناء عقل مستنير لينتج تفكيرا علميا بعيدا عن الانحراف والتيه .
٥) اهتم القرآن ببناء شخصية علمية لا تنخدع بالأوهام أو قبول الظن ولا تقول بغير حجة وبرهان ، ولا تتحجر بتقليد الآباء ، لتبدع وتجدد .
٦) إن الإسلام هو مصدر المعرفة سواء كان ذلك عن طريق الوحي أو عن طريق المنهج العلمي التجريبي .
٧) إن النص القرآني أصيل ، لا تنال منه الأيدي العابثة مهما كانت من الخبث والدهاء .
٨) هذه الأصالة القرآنية اقتضت المطابقة والموافقة بين النص القرآني وقواعد العلم الحديث ، مما يدفع عجلة العلم إلى التقدم والرقي .

٩) لقد ابتليت التوراة والإنجيل ببعض الأحبار والرهبان فغيروا كلام الله فيها حسب أهوائهم ورغباتهم .

١٠) إن وجود هذا التحريف في التوراة والإنجيل اقتضى التناقض والتعارض بين نصوصهما وقواعد العلم الحديث ، مما وقف عقبة كؤودا في سبيل تقدم العلوم وازدهارها.

أما الفصل الثاني : فهو صلب الرسالة ، وقد صدرته بمجموعة تعريفات تناولت : النظرية العلمية ، والحقيقة العلمية ، والتفسير العلمي ، والإعجاز العلمي ، ثم استعرضت رأي المعارضين للإعجاز العلمي وجعلتهم قسمين : مفرطين في المعارضة ، ومعتدلين فيها ، وقد وقفت على أدلة كل قسم من هذين القسمين مع مناقشتها والرد عليها ، مع التنبيه على مغالطة وقع فيها البعض بجعل بعض العلماء من المنكرين للإعجاز العلمي وهم ليسوا كذلك ، ثم استعرضت رأي المؤيدين للإعجاز العلمي ، وجعلتهم في قسمين : متوسعين في التأييد ، ومعتدلين ، وقد وقفت على أدلة المتوسعين مع مناقشتها ، واستعرضت أدلة المعتدلين ، وأمثلة على اعتدالهم حيث اتخذوا موقفا وسطا لا إفراط فيه ولا تفريط ، وذلك بوضع قواعد وأسس بنوا عليها القول بالإعجاز العلمي ، ثم وقفت على بعض النماذج من الكتب التي جمعت بين الآيات القرآنية والعلم الحديث ، وختمت الفصل بخلاصة جعلتها قواعد وأسسا وضوابط للقول بالإعجاز العلمي .

نتائج هذا الفصل :

١) لا مجال للنظرية العلمية التي ثبت بطلانها في تفسير آيات القرآن ، فإن لم يثبت بطلانها فلا بأس من الاستئناس بها ، دون الجزم بأن مراد الله هو هذه النظرية دون سواها .

٢) إن ثبت لدينا حقيقة علمية ، ووافقت ظاهر آية قرآنية ، فذلك إعجاز علمي يكشف عنه التقدم العلمي عصرا بعد عصر .

٣) إن الإعجاز العلمي : هو تلك الموافقة بين المكتشفات الحديثة للسنن الإلهية وبين ما أشار إليه القرآن مع تمام المطابقة بينهما .

٤) إن القول بالإعجاز العلمي مبني على أساس وقاعدة التفسير العلمي .

٥) إن القرآن معجزة خالدة يظهر في كل عصر ما يثبت إعجازه مما يؤكد صلاحية القرآن لكل العصور والأزمان .

٦) لا يجوز لي عنق الآية وإرغامها لتوافق حقيقة علمية وإلا فقد حملنا القرآن ما لا تحتمل آياته من المعاني .

٧) ليس شرطا أن يكون لكل حقيقة علمية ما يوافقها من آيات القرآن ، ومع ذلك فليس في القرآن ما يتناقض مع ما ثبت من العلوم ثبوتا قطعيا .

٨) إذا حدث تعارض في الظاهر بين القرآن والعلم ، فلا بد أننا قد أخطأنا في فهم مراد الله أو أخطأ العلم طريقه ، وهذا مدعاة لأن نعيد النظر في فهم مراد الله بكلامه ، أو نتحقق فيما ثبت لدينا من علم .

٩) إن القرآن نزل لكافة الخلق ، عربيهم وأعجميهم ، عالمهم وجاهلهم ، فلا بد أن يجد فيه كل ما يتناسب مع حاله ، وما يصلح دليلا على إعجازه ، لتلزمه الحجة ويقوم عليه الدليل .

١٠) إن القرآن كتاب هداية وإعجاز معا فلا يجوز قياسه على الكتب السماوية السابقة ، ولا يجوز قصره على هدف من أهدافه دون سواه .

١١) لا يجوز لنا أن نستطرد في علم التفسير ببحث مسائل العلوم وتفصيلاتها ، إذ ليس هذا هو مجال البحث فيها ، وإنما تؤخذ مسلمة في هذا العلم .

أما الفصل الثالث : فهو الناحية التطبيقية في الرسالة ، حيث عرضت فيه اذج متنوعة للإعجاز العلمي في القرآن ، وقد جعلته في ستة مباحث ، وكل مبحث توي على عدة نماذج ، فعالم الكون مثلا عرضت فيه نماذج من آيات الله في السماء لأرض والجبال والسحاب والماء والرياح إلى غير ذلك ، وكذلك عالم الإنسان

عرضت فيه آيات خلقه ، وكيفية تكونه جنينا في بطن أمه في ظلمات ثلاث ، وأنه في قرار مكين ، ودقة خلقه تعالى للإنسان وقدرته عليه في الحياة الدنيا ويوم القيامة ، وهكذا عالم الحيوان والحشرات وعالم النبات وعالم البحار والمحيطات ، أما عالم الطب ، فقد جعلته ثلاثة أقسام : طب وقائي ، وطب علاجي ، وطب نفسي ، وذكرت في كل منها عدة نماذج سبقت الإشارة إليها .

نتائج هذا الفصل :

١) إن الإعجاز العلمي ثابت قطعا ، وليس أدل على ذلك من كثرة النماذج التي تخللت هذا الفصل .

٢) ظهر من خلال النماذج أن القرآن وحي من عند الله وما كان لبشر أن يأتي بمثله .

٣) ثبت بهذه النماذج أن القرآن يشتمل على كثير من العلوم ، فما من علم إلا وله إشارة في القرآن الكريم ، سواء كانت هذه الإشارة إلى أصل هذا العلم أو إلى مسألة من مسائله .

٤) لا بد لدارس القرآن أن يكون على علم واطلاع بكل ما يثبت من حقائق علمية في أي علم من العلوم ، ليدرك مواكبة القرآن لكل العلوم وفي كل العصور .

٥) لا بد لكل من يدرس علما من العلوم الدنيوية أن يربط علمه بالقرآن الكريم ، ففي ذلك قوة لعلمه ، وخدمة لكتاب ربه .

٦) ظهر لنا من هذه النماذج عظم قدرة الله تعالى ، وعظم علمه ، وأنه خلق كل شيء بقدر معلوم .

٧) إن لله سننا ثابتة لا تتغير ما دامت الحياة مثل سنة الزوجية في كل شيء ، وسنة طفو الأجسام في عالم البحار والمحيطات ، وسنة البرزخ والحجر المحجور بين الأنهار والبحار .

٨) القرآن كفيل بأن يحفظ على الإنسان صحته سواء كان ذلك في الوقاية من الأمراض ، أو في علاج كثير من الأمراض ، أو في الراحة النفسية والعلاقات الاجتماعية ، وكل ذلك أكده العلم الحديث وكشف عنه .

٩) إن هذه النماذج كفيلة بأن يخضع لها كل متمرد جبار ، خرج عن أمر الله تعالى بما فيها من قوة إقناع للعقل المستنير .

١٠) ظهر من خلال هذه النماذج ضرورة وجود دراسات متعمقة ومتخصصة في مثل هذا المجال من العلم .

الفهارس

أولاً : فهرس الآيات القرآنية الكريمة .

ثانياً : فهرس الأحاديث النبوية الشريفة .

ثالثاً : فهرس المصادر والمراجع .

رابعاً : فهرس الموضوعات .

أولاً : فهرس الآيات القرآنية الكريمة

الآيـــة	اسم السورة	رقم الآية	رقم الصفحة التي وردت فيها من الرسالة
(ذلك الكتاب لا ريب فيه هدى للمتقين)	البقرة	٢	٩٢
(... يؤمنون بالغيب ...)	البقرة	٣	٦٤
(يا أيها الناس اعبدوا ربكم الذي خلقكم والذين من قبلكم ... إن كنتم صادقين)	البقرة	٢١-٢٣	٤٧
(وإن كنتم في ريب مما نزلنا على عبدنا فأتوا بسورة من مثله ...)	البقرة	٢٣	٤٦ ، ١١٤
(وإن كنتم في ريب مما نزلنا على عبدنا ... أعدت للكافرين)	البقرة	٢٣ ، ٢٤	٨
(... وإن من الحجارة لما يتفجر منه الأنهار ..)	البقرة	٧٤	١٨٢
(ومنهم أميون لا يعلمون الكتاب إلا أماني ... وويل لهم مما يكسبون)	البقرة	٧٨ ، ٧٩	٩٠
(ولما جاءهم رسول من عند الله مصدق...)	البقرة	١٠١	٩٤
(ما ننسخ من آية أو ننسها نأت بخير منها..)	البقرة	١٠٦	١٣١
(.. تلك أمانيهم قل هاتوا برهانكم إن كنتم صادقين ..)	البقرة	١١١	٦١
(وقالت اليهود ليست النصارى على شيء ...)	البقرة	١١٣	١٠١

الآيـــة	اسم السورة	رقم الآية	رقم الصفحة التي وردت فيها من الرسالة
وإذا قيل لهم اتبعوا ما أنزل الله .. عمي فهم لا يعقلون)	البقرة	١٧٠،١٧١	٦٢
(ومثل الذين كفروا كمثل الذي ينعق بما لا يسمع ...)	البقرة	١٧١	٦٠
(يا أيها الذين آمنوا كتب عليكم الصيام..)	البقرة	١٨٣	٢٣٣
(ويسألونك عن المحيض قل هو أذى فاعتزلوا النساء في المحيض ولا تقربوهن حتى يطهرن فإذا تطهرن فأتوهن من حيث أمركم الله ..)	البقرة	٢٢٢	٢١٨ ، ٢٢٦
(... ومن يؤت الحكمة فقد أوتي خيرا كثيرا ...)	البقرة	٢٦٩	٥٢
(يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وذروا ما بقي من الربا ... لا تظلمون ولا تظلمون)	البقرة	٢٧٨،٢٧٩	٢٣٠
(ألم . الله لا إله إلا هو الحي القيوم)	آل عمران	١ و ٢	١٥١
(إن الله لا يخفى عليه شيء في الأرض ولا في السماء)	آل عمران	٥	١٥٢
(هو الذي يصوركم في الأرحام كيف يشاء ...)	آل عمران	٦	١٥١
(شهد الله أنه لا إله إلا هو والملائكة وأولوا العلم ...)	آل عمران	١٨	٥٢ ، ١٥٢

الآيــة	اسم السورة	رقم الآية	رقم الصفحة التي وردت فيها من الرسالة
(ألم تر إلى الذين أوتوا نصيبـــاً مـــن الكتاب ..)	آل عمران	٢٣	٩٦
(ولا تهنوا ولا تحزنوا ..)	آل عمران	١٣٩	٢٣٦
(إن الذين كفـــروا ســوف نصليـهم ناراً...)	النساء	٥٦	١٩١
(... فإن تنازعتم في شيء فردوه إلـــى الله ...)	النساء	٥٩	٥٧
(... ولو كان من عند غير الله لوجـدوا فيه اختلافاً كثيراً)	النساء	٨٢	٤٠ ، ٨٢ ، ٩٣ ، ١٦٠ ، ٢٠٨.
(وإذا حييتم بتحية فحيوا بأحسن منـــها أو ردوها ...)	النساء	٨٦	٢٣٥
(ومن يعمل سوءاً أو يظلم نفســه ثـم يستغفر الله ...)	النساء	١١٠	٢٣٦
(.. ما لهم به من علم إلا اتباع الظن..)	النساء	١٥٧	٦١
(لكن الله يشهد بما أنزل إليـــك أنزلـه بعلمه ..)	النساء	١٦٦	١٩٤ ، ٢١٦
(... وتعاونوا على البر والتقـــوى ولا تعاونوا على الإثم والعدوان ..)	المائدة	٢	٢٣٥
(حرمت عليكم الميتـــة والـــدم ولحــم الخنزير ..)	المائدة	٣	٧٣ ، ٢٢٢
(يا أيها الذين آمنوا إذا قمتم إلى الصلاة فاغسلوا ...)	المائدة	٦	٢١٨

الآيــــة	اسم السورة	رقم الآية	رقم الصفحة التي ورد فيها من الرسالة
(يحرفون الكلم عن مواضعه ...)	المائدة	١٣	٩٦
(ومن الذين قالوا إنا نصــارى أخذنـــا ميثاقهم ..)	المائدة	١٤	٩٨
(يا أهل الكتاب قـــد جـاءكم رســول يبين...)	المائدة	١٥	٩٦
(لقد كفر الذين قالوا إن الله هو المسـيح ابن مريم ...)	المائدة	١٧	٩٩
(... قال يا ويلتى أعجــزت أن أكــون مثــل هذا الغراب ...)	المائدة	٣١	٢
(.. وقال المسيح يا بني إسرائيل اعبدوا الله ..)	المائدة	٧٢	١٠٠
(يا أيها الذيــن آمنــوا إنمــا الخمــر والميسر..)	المائدة	٩٠	٧٣ ، ١٢١
(يا أيها الذين آمنوا إنما الخمر والميسر ... فهل أنتم منتهون)	المائدة	٩٠ ، ٩١	٢٢٥
(وإذا قيل لهم تعالوا إلى ما أنزل الله...)	المائدة	١٠٤	٦٢
(وإذ قال الله يا عيسى بن مريم أأنـــت .. على كل شيء شهيد)	المائدة	١١٦،١١٧	١٠٠
(ما فرطنا في الكتاب من شيء ...)	الأنعام	٣٨	١٤٤ ، ١٤٧ ، ١٤
(وما قدروا الله حق قدره إذ قالوا ...)	الأنعام	٩١	٩

الآيـــة	اسم السورة	رقم الآية	رقم الصفحة التي وردت فيها من الرسالة
(وإن تطع أكـــثر مــن فــي الأرض يضلوك ...)	الأنعام	١١٦	٦١
(... وإن كثيرا منهم ليضلون بأهوائــهم بغير علم ...)	الأنعام	١١٩	٦١
(فمن يرد الله أن يهديه يشرح صـــدره للإسلام ...)	الأنعام	١٢٥	١٧٢
(إن ما توعدون لآت وما أنتم بمعجزين)	الأنعام	١٣٤	٣
(وهو الذي أنشأ جنـــات معروشـــات وغير معروشات ...)	الأنعام	١٤١	٢٠٢
(... وكلوا واشربوا ولا تسرفوا إنــه لا يحب المسرفين)	الأعراف	٣١	٢٢١
(... يغشي الليل النهار يطلبه حثيثا ...)	الأعراف	٥٤	١٧٦
(وهو الذي يرسل الرياح بشـــرا بيــن يدي رحمته ...)	الأعراف	٥٧	١٨٠
(الذين يتبعون الرسول النبي الأمي ... ويحل لكم الطيبـــات ويحـــرم عليكـــم الخبائث ...)	الأعراف	١٥٧	٩٤ ، ٢٢٢
(إن شـــر الـــدواب عنـــد الله الصـــم البكم...)	الأنفال	٢٢	٥٦ ، ٦٠

الآيـــة	اسم السورة	رقم الآية	رقم الصفحة التي وردت فيها من الرسالة
(... قد سمعنا لو نشاء لقلنـــا مثـــل هذا...)	الأنفال	٣١	١٠
(واعدوا لهم ما استطعتم من قوة ...)	الأنفال	٦٠	١٢١
(ولا يحسبن الذين كفروا سبقوا إنهم لا يعجزون)	الأنفال	٥٩	٣
(... واعلموا أنكم غير معجزي الله ...)	التوبة	٢	٣
(... وإن توليتم فـــاعلموا أنكـــم غـــير معجزي الله ...)	التوبة	٣	٣
(هو الذي أرسل رسوله بالهدى وديـــن الحق ..)	التوبة	٣٣	٣٤
(قل لن يصيبنا إلا ما كتب الله لنا ...)	التوبة	٥١	٢٣٧
(... أفلا يعقلون)	يونس	١٦	٥٥
(وما يتبع أكثرهم إلا ظنا إن الظن ...)	يونس	٣٦	٦١
(أم يقولون افتراه قل فـــأتوا بســـورة مثـــله..)	يونس	٣٨	٧ ، ٤٦ ، ١١٤
(... قل إي وربي إنه لحق ومـــا أنتـــم بمعجزين)	يونس	٥٣	٣
(قل انظـــروا مـــاذا فـــي الســـموات والأرض ...)	يونس	١٠١	٥٨
(وما من دابة في الأرض إلا علـــى الله رزقها ..)	هود	٦	٢٣٧

الآيـــة	اسم السورة	رقم الآية	رقم الصفحة التي وردت فيها من الرسالة
(أم يقولون افتراه قـــل فـــأتوا بعشـــر سور...)	هود	١٣	٧ ، ٤٦ ، ١١٤
(فإن لم يستجيبوا لكم فاعلموا ...)	هود	١٤	١٠
(أولئك لـــم يكونـــوا معجزيـــن فـــي الأرض...)	هود	٢٠	٣
(قل إنما يأتيكم به الله إن شاء وما أنتـم معجزين)	هود	٣٣	٣
(... أفلا تعقلون)	هود	٥١	٥٥
(... والله غالب على أمره ولكن أكـــثر الناس لا يعلمون)	يوسف	٢١	١١٠
(... أفلا تعقلون)	يوسف	١٠٩	٥٥
(الله الذي رفع السموات بغـــير عمـــد ترونها ..)	الرعد	٢	١٦٩
(... ومن كل الثمرات جعل فيها زوجين اثنين ... وهو الذي مد الأرض وجعـــل فيها ..)	الرعد	٣	١٧٨ ، ٢٠٤
(وفي الأرض قطع متجاورات وجنـات ... إن في ذلك لآيات لقوم يعقلون)	الرعد	٤	٥٥ ، ٢٠٢
(الذين آمنوا وتطمئن قلوبـــهم بذكـــر الله...)	الرعد	٢٨	٢٣٦
(... وسخر لكم الفلك لتجري في البحر بأمره ...)	إبراهيم	٣٢	٢٠٩

الآيــة	اسم السورة	رقم الآية	رقم الصفحة التي ورد فيها من الرسالة
(إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون)	الحجر	٩	٤٠ ، ٩٣
(والأرض مددناها ...)	الحجر	١٩	١٤٣
(وأرسلنا الرياح لواقح فأنزلنا من السماء ..)	الحجر	٢٢	٧٧ ، ١٧٩ ، ٠٤
(... إن في ذلك لآيات لقوم يعقلون)	النحل	١٢	٥٥
(وهو الذي سخر لكم البحر لتأكلوا منه لحماً ..)	النحل	١٤	٢١٠
(أو يأخذهم في تقلبهم فما هم بمعجزين)	النحل	٤٦	٣
(وإذا بُشِّر أحدهم بالأنثى ظل وجهه ..)	النحل	٥٨	١٩٢
(والله أنزل من السماء ماء فأحيا به الأرض ..)	النحل	٦٥	٧٧
(... بين فرث ودم لبنا خالصا ...)	النحل	٦٦	١٩٩
(وأوحى ربك إلى النحل ... إن في ذلك لآية لقوم يتفكرون)	النحل	٦٨ ، ٦٩	١٤٧ ، ١٩٧
(ثم كلي من كل الثمرات فاسلكي سبل ربك ..)	النحل	٦٩	١٤٧ ، ٢٣٢
(والله أخرجكم من بطون أمهاتكم لا تعلمون شيئاً ..)	النحل	٧٨	٦٥
(... ونزلنا عليك الكتاب تبياناً لكل شيء..)	النحل	٨٩	١٤٤ ، ١٤٧
(إن الله يأمر بالعدل والإحسان وإيتاء ذي القربى ...)	النحل	٩٠	٢٣٥

الآيــة	اسم السورة	رقم الآية	رقم الصفحة التي وردت فيها من الرسالة
ولقد نعلم إنهم يقولون إنمــا يعلمــه ـر..)	النحل	١٠٣	٨
واصبر وما صبرك إلا بالله ...)	النحل	١٢٧	٢٣٧
وقضى ربــك ألا تعبـدوا إلا إيــاه بالوالدين إحسانا ...)	الإسراء	٢٣	٢٣٥
لا تقربوا الزنا إنه كان فاحشة وســاء بيلا)	الإسراء	٣٢	٢٢٧
لا تقف ما ليس لــك بــع علــم إن سمع..)	الإسراء	٣٦	٦٢
وننــزل من القرآن مــا هــو شــفاء رحمة للمؤمنين)	الإسراء	٨٢	٢١٧
قل لئن اجتمعت الإنس والجن على أن توا ..)	الإسراء	٨٨	٨
وهزي إليك بجذع النخلة ... فكلــي شربي ...)	مريم	٢٥ ، ٢٦	٢٢٠
قال ربنا الذي أعطى كل شيء خلقــه هدى)	طه	٥٠	١٩٤
... إن في ذلك لآيات لأولي النهى)	طه	١٢٨،٥٤	٥٥
... وقل رب زدني علما)	طه	١١٤	٥٢
ل قالوا أضغاث أحلام ...)	الأنبياء	٥	٨
... أفلا تعقلون)	الأنبياء	١٠	٥٥

الآيـــة	اسم السورة	رقم الآية	رقم الصفحة التي وردت فيها من الرسالة
(أولم ير الذين كفـــروا أن الســـموات والأرض ...)	الأنبياء	٣٠	١٦٧
(... وطهر بيتي للطـــائفين والقـــائمين والركع السجود)	الحج	٢٦	٢١٩
(أفلم يسيروا في الأرض فتكـــون لـــهم قلوب ..)	الحج	٤٦	٥٥ ، ٦٦
(والذين سعوا في آياتنا معاجزين ...)	الحج	٥١	١ ، ٣
(ألم تر أن الله أنزل من السماء مـــاء فتصبح ..)	الحج	٦٣	٧٧
(يا أيها الناس ضرب مثـــل فاســـتمعوا له إن الذين تدعون من دون الله ...)	الحج	٧٣	١٩٨
(ولقد خلقنا الإنسان ... أحسن الخالقين)	المؤمنون	١٢-١٤	١٨٥
(... فتبارك الله أحسن الخالقين)	المؤمنون	١٤	١٨٩
(وشجرة تخرج من طور سيناء تنبـــت بالدهن ..)	المؤمنون	٢٠	٢٠٦
(... مثـــل نـــوره كمشـــكاة فيـــها مصباح...)	النور	٣٥	٢٠٦
(أو كظلمات في بحـــر لجـــي يغشـــاه موج...)	النور	٤٠	٢١٥
(ألم تر أن الله يزجي سحاباً ثم يؤلـــف بينه ..)	النور	٤٣	١٨١
(والله خلق كل دابة من ماء ...)	النور	٤٥	١٩٥

الآيـــة	اسم السورة	رقم الآية	رقم الصفحة التي وردت فيها من الرسالة
ولا تحسبن الذين كفروا معجزين فـــي الأرض ..)	النور	٥٧	٣
وقال الذين كفروا إن هذا إلا إفك ...)	الفرقان	٤	٨
... وقالوا أساطير الأولين اكتتبها ...)	الفرقان	٥	٨
أم تحسب أن أكـــثرهم يســمعون أو يعقلون ..)	الفرقان	٤٤	٦٠
وهو الذي أرسل الرياح بشـــرا بيــن يدي رحمته ...)	الفرقان	٤٨	١٨٠
وهو الذي مرج البحرين ... وحجــرا محجورا)	الفرقان	٥٣	٢١٤
أتأتون الذكران من العالمين ... بـــل أنتم قوم عادون)	الشعراء	١٦٥،١٦٦	٢٢٩
وإنك لتلقى القرآن من لـــدن حكيــم عليم..)	النمل	٦	٢١٨
وجحدوا بها واستيقنتها أنفسهم ...)	النمل	١٤	١٠
حتى إذا أتوا على واد النمـــل قـــالت نملة...)	النمل	١٨	١٩٩
وترى الجبال تحسبها جـــامدة وهـــي تمر...)	النمل	٨٨	١٧٥
قل ســـيروا فـــي الأرض فـــانظروا كيف...)	العنكبوت	٢٠	٥٨ ، ٦٦

الآيـــة	اسم السورة	رقم الآية	رقم الصفحة التي وردت فيها من الرسالة
(وما أنتم بمعجزين في الأرض ولا في السماء ...)	العنكبوت	٢٢	٣
(مثـل اللذين اتخـذوا مـن دون الله أولياء كمثـل العنكبوت اتخـذت بيتـاً ...)	العنكبوت	٤١	١٩٧
(وتلك الأمثال نضربها للناس ...)	العنكبوت	٤٣	٥٧
(وما كنت تتلو من قبله من كتاب ...)	العنكبوت	٤٨	٣٤ ، ١١١
(الله يبسط الرزق لمن يشاء ...)	العنكبوت	٦٢	٢٣٧
(غلبت الروم في أدنى الأرض ...)	الروم	٢ ـ ٥	٤٠
(ومن آياته أن خلق لكم مـن أنفسـكم أزواجا ...)	الروم	٢١	٢٣٥
(ومن آياته خلق السـموات والأرض واختلاف ...)	الروم	٢٢	٥٣
(بل اتبع الذين ظلموا أهواءهم بغـير علم ..)	الروم	٢٩	٦١
(ومـن آياتـه أن يرسـل الريـاح مبشرات...)	الروم	٤٦	١٨٠
(الله الذي يرسل الرياح فتثير سحابا...)	الروم	٤٨	٧٧ ، ١٨٠
(كذلك يطبع الله على قلوب الذيـن لا يعلمون)	الروم	٥٩	٥٢
(وما تدري نفس ماذا تكسب غداً ومـا تدري نفس ...)	لقمان	٣٤	٢٣٦

الآيـــة	اسم السورة	رقم الآية	رقم الصفحة التي وردت فيها من الرسالة
(وتوكل على الله ...)	الأحزاب	٣	٢٣٧
(والذين سعوا في آياتنا معاجزين ...)	سبأ	٥	٣
(والذين يسعون في آياتنا معاجزين...)	سبأ	٣٨	٣
(وإذا تتلى عليهم آياتنا بينات ...)	سبأ	٤٣	٩
(ما يفتح الله للناس من رحمة فلا ممسك لها ...)	فاطر	٢	٢٣٧
(والله الذي أرسل الرياح فتثير سحابا...)	فاطر	٩	١٨٠
(ألم تر أن الله أنزل من السماء ماء...)	فاطر	٢٧	٧٧
(ألم تر أن الله أنزل من السماء ماء ... ومن الناس والدواب ...)	فاطر	٢٧ ، ٢٨	٥٣
(... إنما يخشى الله من عباده العلماء...)	فاطر	٢٨	٥٢
(... وما كان الله ليعجزه من شيء ...)	فاطر	٤٤	٢
(سبحان الذي خلق الأزواج كلها ...)	يس	٣٦	٢٠٣
(وآية لهم الليل نسلخ منه النهار ...)	يس	٣٧	١٧٦
(والشمس تجري لمستقر لها ... وكل في فلك يسبحون)	يس	٣٨ ، ٤٠	١٧٠
(... ولا الليل سابق النهار وكل في فلك يسبحون)	يس	٤٠	١٧٧
(وآية لهم أنا حملنا ذريتهم في الفلك المشحون ... ما يركبون)	يس	٤١ ، ٤٢	٢٠٩

الآيـــة	اسم السورة	رقم الآية	رقم الصفحة التي وردت فيها من الرسالة
(الذي جعل لكم من الشجر الأخضـــر ناراً ...)	يس	٨٠	٢٠٥
(... والذين اتخذوا من دونه أولياء مـــا نعبدهم ...)	الزمر	٣	٧٩
(... يكور الليل على النـــهار ويـــكون النهار على الليل ...)	الزمر	٥	١٧٤
(يخلقكم في بطون أمهاتكم خلقاً من بعد خلق ...)	الزمر	٦	١٨٨
(... قل هل يســتوي الذيــن يعلمــون والذين لا يعلمون ...)	الزمر	٩	٥٢
(الذيــن يســتمعون القــول فيتبعــون أحسنه...)	الزمر	١٨	٦٢
(ألم تر أن الله أنزل من السماء ماء...)	الزمر	٢١	١٨١
(... سيصيبهم سيئات ما كسبوا وما هم بمعجزين)	الزمر	٥١	٣
(قل يا عبادي الذيــن أســرفوا علـــى أنفسهم لا تقنطوا ...)	الزمر	٥٣	٢٣٦
(ثم استوى إلى السماء وهـــي دخـــان فقال...)	فصلت	١١	١٦٧
(... لا تســجدوا للشـــمس ولا للقمـــر واسجدوا لله ...)	فصلت	٣٧	٨٠

الآيـــة	اسم السورة	رقم الآية	رقم الصفحة التي وردت فيها من الرسالة
... لا يأتيه الباطل من بين يديـــه ولا ن خلفه ...)	فصلت	٤٢	٩٢
سنريهم آياتنـــا فـــي الآفـــاق وفـــي فسهم...)	فصلت	٥٣	١٣٨ ، ١٥٦ ، ١٦٦
وما أنتم بمعجزين في الأرض ...)	الشورى	٣١	٣
ومن آياته الجوار المنشآت في البحـــر الأعلام ...)	الشورى	٣٢ ـ ٣٤	٢١٠
وكذلك أوحينـــا إليـــك روحـــا مـــن رنا...)	الشورى	٥٢	٢١٧
... ألا إلى الله تصير الأمور)	الشورى	٥٣	٢٣٧
ولما جاءهم الحق قالوا هذا سحر ...)	الزخرف	٣٠	٨
لا إله إلا هو يحيي ويميت ربكم ...)	الدخان	٨	٨٠
لله الذي سخر لكم البحر لتجري ...)	الأحقاف	١٢	٢١٠
ومـــن لا يجـــب داعـــي الله فليـــس عجز...)	الأحقاف	٣٢	٣
الأرض مددناهـــا وألقينـــا فيـــها اسي...)	ق	٧	١٧٨
السماء بنيناها بأيد وإنا لموسعون)	الذاريات	٤٧	١٦٨
ومن كل شيء خلقنا زوجيـــن لعلكـــم كرون)	الذاريات	٤٩	٢٠٣
روا إلى الله إني لكم منه نذير مبين)	الذاريات	٥٠	٢٣٨

الآيـــة	اسم السورة	رقم الآية	رقم الصفحة التي وردت فيها من الرسالة
(أم يقولون تقوله بل لا يؤمنـون ... إن كانوا صادقين)	الطور	٣٣ ، ٣٤	٧
(... فليأتوا بحديـث مثلـه إن كـانوا صادقين)	الطور	٣٤	٤٦ ، ١١٤
(.. عن يتبعون إلا الظن وإن الظن ..)	النجم	٢٨	٦١
(... ووضع الميزان)	الرحمن	٧	١٥٢
(خلق الإنسان من صلصال كالفخار)	الرحمن	١٤	١٥٩
(مرج البحرين يلتقيان بينهما بـرزخ لا يبغيان)	الرحمن	١٩ ، ٢٠	٢١٣
(مرج البحرين ... يخرج منهما اللؤلؤ والمرجان)	الرحمن	١٩ ، ٢٢	٢١١
(يخرج منهما اللؤلؤ والمرجان)	الرحمن	٢٢	٢١٣
(وله الجوار المنشـآت فـي البحـر كالأعلام ... تكذبان)	الرحمن	٢٤ ، ٢٥	٢١٠
(ومن دونهما جنتان ... فيهما فاكهـة ونخل ورمان)	الرحمن	٦٢ ، ٦٨	٢٠٧
(... قد بينا لكم الآيات لعلكم تعقلون)	الحديد	١٧	٥٥
(... ورهبانية ابتدعوها مـا كتبناهـا عليهم ...)	الحديد	٢٧	٩٩
(... يرفع الله الذين آمنوا منكم والذيـن أوتوا العلم درجات ...)	المجادلة	١١	٥٢
(... فاعتبروا يا أولي الأبصار)	الحشر	٢	٥٧

الآيــة	اسم السورة	رقم الآية	رقم الصفحة التي وردت فيها من الرسالة
(... هو الذي أرسل رسـوله بالـهدى ودين الحق ...)	الصف	٩	٣٤
(... هو الذي بعث في الأميين رسـولاً منهم ...)	الجمعة	٢	١١٧
(... سيجعل الله بعد عسر يسرا)	الطلاق	٧	٢٣٧
(وقالوا لو كنا نسمع أو نعقل ...)	الملك	١٠	٥٥ ، ٦٠
(ن والقلم وما يسطرون)	القلم	١	٥١
(وإن يكاد الذيـن كفـروا لـيزلقونك بأبصارهم ...)	القلم	٥١	٩
(ولو تقول علينا بعض الأقـاويل ... وإنه لتذكرة للمتقين)	الحاقة	٤٤ ، ٤٨	٢٠٨
(فلا أقسم برب المشارق والمغارب...)	المعارج	٤٠	١٧٦
(ألـم تـروا كيـف خلـق الله سـبع سموات... وجعل الشمس سراجا)	نوح	١٥ ، ١٦	١٢٢
(والله جعل لكم الأرض بساطا)	نوح	١٩	١٤٣
(وأنا ظننا أن لن نعجز الله في الأرض ولن نعجزه هربا)	الجن	١٢	٢
(وثيابك فطهر)	المدثر	٤	٢١٩
(أيحسب الإنسان أن لن نجمع عظامـه ... بنانه)	القيامة	٣ ، ٤	١٨٩
(إن خلقنا الإنسان من نطفـة أمشـاج نبتليه ...)	الإنسان	٢	١٨٣

الآيـــة	اسم السورة	رقم الآية	رقم الصفحة التي وردت فيها من الرسالة
(ألم نخلقكم من ماء مهين فجعلناه في قرار مكين)	المرسلات	٢٠ ، ٢١	١٨٦
(وجعلنا فيها رواسي شامخات ...)	المرسلات	٢٧	١٧٨ ، ١٧٩
(والجبال أوتادا)	النبأ	٧	١٧٧
(والأرض بعد ذلك دحاها)	النازعات	٣٠	١٧٣
(والجبال أرساها)	النازعات	٣٢	١٧٨
(فلينظر الإنسان إلى طعامه ...متاعا لكم ولأنعامكم)	عبس	٢٤ ، ٣٢	٢٠١
(فلينظر الإنسان مم خلق .. خلق من ماء دافق ...)	الطارق	٥ ، ٦	١٨٤
(فلينظر الإنسان مم خلق ... الصلب والترائب)	الطارق	٥ ، ٧	١٨٣
(أفلا ينظرون إلا الإبل)	الغاشية	١٧	١٩٦
(أفلا ينظرون إلى الإبل كيف خلقت ... إنما أنت مذكر)	الغاشية	١٧ ، ٢١	- ب -
(والشمس وضحاها ... والليل إذا يغشاها)	الشمس	١ ، ٤	١٧١
(والتين والزيتون وطور سينين وهذا البلد الأمين)	التين	١ ، ٣	٢٠٧
(خلق الإنسان من علق)	العلق	٢	١٨٤
(إقرأ باسم ربك الذي خلق ... ما لم يعلم)	العلق	١ ، ٥	٥١

ثانياً : فهرس الأحاديث النبوية الشريفة

ثالثاً : فهرس المصادر والمراجع

١- ابن أبي العز الحنفي : (علي بن علي بن محمد ، ت٧٩٢هـ) : شرح العقيدة الطحاوية . تحقيق ومراجعة : جماعة من العلماء ، خرج أحاديثها : محمد ناصر الدين الألباني . ط٤.المكتب الإسلامي-١٣٩١هـ.

٢- ابن الأثير : (أبو السعادات المبارك بن محمد الجزري ت٦٠٦هـ) :النهاية في غريب الحديث والأثر . تحقيق : محمود محمد الطناجي ، وطاهر أحمد الزاوي - منشورات المكتبة الإسلامية .

٣- ابن حنبل : (أبو عبد الله أحمد بن محمد ت٢٤١هـ) : مسند أحمد بن حنبل. ط : دار الدعوة - استانبول ١٤٠١هـ /١٩٨١م.

٤- ابن قتيبة : (أبو محمد عبد الله بن مسلم ت٢٧٦هـ) : تأويل مشكل القرآن . شرح ونشر : السيد أحمد صقر -ط٣-المكتبة العلمية - المدينة المنورة - ١٤٠١هـ /١٩٨١م .

٥- ابن كثير : (أبوالفداء إسماعيل عمرو بن كثير القرشي الدمشقي ت٧٧٤هـ): تفسير القرآن العظيم .دار المعرفة - بيروت - لبنان ١٤٠٣هـ / ١٩٨٣م.

٦- ابن منظور : (أبو الفضل محمد بن مكرم ت٧١١هـ) : لسان العرب . ط١-المطبعة الأميرية - بولاق مصر - ١٣٠١هـ ومطبعة دار الصادر - بيروت .

٧- أبو حيان : (محمد بن يوسف بن على بن يوسف بن حيان الأندلسي ت٧٥٤هـ) التفسير الكبير المسمى بالبحر المحيط -مطبعة السعادة - ط١- القاهرة ١٣٢٨هـ .

٨- **أبو داود** : (سليمان بن الأشعث السجستاني ت ٢٧٥هـ) : سنن أبي داود - طبعة : دار الدعوة - استانبول . ١٤٠١هـ /١٩٨١م .

٩- **أبو السعود** : (محمد بن مجمد العمادي ت٩٥١هـ) : إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم - دار إحياء التراث العربي - بيروت - لبنان .

١٠- **الأصبهاني** : (أبو نعيم أحمد بن عبد الله ت٤٣٠هـ) : دلائل النبوة . مطبعة دائرة المعارف العثمانية -حيدر أباد الدكن - الهند -١٣٦٩هـ - ١٩٥٠م.

١١- **الأصفهاني** : (أبو القاسم الحسين بن محمد المعروف بالراغب الأصفهاني ت٥٠٢هـ) : المفردات في غريب القرآن . تحقيق وضبط : محمد سيد كيلاني - دار المعرفة للطباعة والنشر والتوزيع - بيروت - لبنان .

١٢- **الباقلاني** : (أبو بكر محمد بن الطيب ت٤٠٣هـ) :

أ) إعجاز القرآن : تحقيق : السيد أحمد صقر - طبعة دار المعارف بمصر.

ب) الإنصاف فيما يجب اعتقاده ولا يجوز الجهل به - تحقيق الشيخ محمد زاهد الكوثري - مؤسسة الخانجي للطباعة والنشر -ط٢- القاهرة ١٣٨٢هـ / ١٩٦٣م .

ج) التمهيد في الرد على الملحدة والمعطلة والرافضة والخوارج والمعتزلة . تقديم وتعليق : محمود محمد الخضري ، ومحمد عبد الهادي أبو ريدة - مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر ، ١٣٦٦هـ/١٩٤٧م.

١٣- **البخاري**: (أبو عبد الله محمد بن إسماعيل ت٢٥٦هـ) : صحيح البخاري . طبعة دار الدعوة - إستانبول -١٤٠١هـ / ١٩٨١م .

١٤- **البغدادي** : (أبو منصور عبد القاهر بن طاهر التميمي البغدادي ت٤٢٩هـ): أصول الدين – التزم طبعه ونشره مدرسة الالهيات بدار الفنون التوركية بإستانبول – مطبعة الدولة –ط١–إستانبول١٣٤٦هـ / ١٩٢٨م .

١٥- **البيضاوي** : (أبو الخير عبد الله بن عمر بن محمد ت٦٩١هـ) : أنوار التنزيل وأسرار التأويل . دار الفكر ١٤٠٢هـ / ١٩٨٢م .

١٦- **البيهقي** : (أبو بكر أحمد بن الحسين ت٤٥٨هـ) : دلائل النبوة . تقديم وتحقيق : عبد الرحمن محمد عثمان – منشورات المكتبة السلفية بالمدينة المنورة – دار النصر للطباعة – ط١–١٣٨٩هـ ١٩٦٩م .

١٧- **الترمذي** : (أبو عيسى محمد بن عيسى بن سورة ت٢٧٩هـ) : سنن الترمذي – طبعة : دار الدعوة – إستانبول ١٤٠١هـ / ١٩٨١م .

١٨- **الجرجانى** : (أبو بكر عبد القادر بن عبد الرحمن ت٤٧١هـ): دلائل الإعجاز فى علم المعانى .صحح أصله الإمام الشيخ محمد عبده،والأستاذ الشيخ محمد محمود الشنقيطى – منشورات مكتبة القاهرة ١٣٨١ هـ/ ١٩٦١م .

١٩- **الدّارمى** : (أبو محمد عبد الله بن عبد الرحمن ت٢٥٥هـ) :سنن الدارمى– طبعة : دار الدعوة إستانبول ١٤٠١هـ / ١٩٨١م .

٢٠- **الرّازي** : (فخر الدين محمد بن عمر بن الحسين ت٦٠٦هـ) التفسير الكبير ، المعروف بمفاتيح الغيب – دار إحياء التراث العربي –بيروتط٣.

٢١- **الرّازي** : (أبو عبد الله محمد بن أبي بكر بن عبد القادر ت٦٦٦هـ) : مختار الصحاح – دار القلم – بيروت –لبنان .

٢٢- **الرماني والخطابي والجرجاني** : (أبو الحسن على بن عيسى ت ٣٨٦هـ ، وأبو سليمان حمد بن محمد ت٣٨٨هـ ،وأبو بكر عبد القاهر بن عبد الرحمن ت٤٧١هـ) : ثلاث رسائل في إعجاز القرآن -تحقيق وتعليق: محمد خلف الله ، ومحمد زغلول سلام - دار المعارف بمصر .

٢٣- **الزَّبيدي** : (أبو الفيض السيد محمد مرتضي ت١٢٠٥ هـ) : تاج العروس من جواهر القاموس - سلسلة تصدرها وزارة الإرشاد والأنباء في الكويت - مطبعة حكومة الكويت - ١٣٨٩هـ / ١٩٧٠م- مطبعة دار صادر - بيروت - منشورات دار ليبيا للنشر والتوزيع ببنغازي ١٣٨٦هـ /١٩٦٦م.

٢٤- **الزَّمخشري** : (أبو القاسم محمود بن عمر ت٥٣٨هـ) :

أ) أساس البلاغة . مطبعة دار الكتب المصرية القاهرة ١٣٦١هـ /١٩٢٣م . وطبعة دار المعرفة -بيروت لبنان -١٤٠٢هـ / ١٩٨٢م .

ب) الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل . دار المعرفة للطباعة والنشر -بيروت - لبنان .

٢٥- **السَّخاوي** : (أبو الخير محمد بن عند الرحمن ت٩٠٢هـ) : المقاصد الحسنة في بيان كثير من الأحاديث المشتهرة على الألسنة . صححه وعلق حواشيه عبد الرحمن محمد الصديق - منشورات مكتبة الخانجي بمصر ، ومكتبة المثنى بلبنان - ١٣٧٥هـ /١٩٥٦م .

٢٦- **السيوطي** : (جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر ت٩١١هـ) :

أ) الإتقان في علوم القرآن - بهامشه كتاب إعجاز القرآن للباقلاني - دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع - بيروت - لبنان .

ب) معترك الأقران في إعجاز القرآن . تحقيق على محمد البجاوي - دار الفكر العربي - القاهرة .

٢٧- الشَّاطبي : (أبو إسحاق إبراهيم بن موسى ت٧٩٠هـ) : الموافقات في أصول الشريعة . عني بضبطه وتفصيله ووضع تراجمه : الأستاذ محمد عبد الله دراز - مطبعة الشرق الادنى بالموسكي -منشورات المكتبة التجارية الكبرى بمصر .

٢٨- الشَّوْكاني : (محمد بن على بن محمد ت١٢٥٠هـ) : فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير . دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع .

٢٩- الطَّبري : (أبو جعفر محمد بن جرير ت٣١٠هـ) : جامع البيان في تفسير القرآن . دار المعرفة للطباعة والنشر -ط٤-بيروت١٤٠٠هـ / ١٩٨٠م.

٣٠- الطبرسي : (أبو علي الفضل بن الحسن ت٥٤٨هـ) : مجمع البيان في تفسير القرآن . طباعة ونشر دار مكتبة الحياة - بيروت ١٣٨٠هـ /١٩٦١م

٣١- عبد الجبار : (القاضي أبو الحسن عبد الجبار بن أحمد ت٤١٥هـ) : المغني في أبواب التوحيد والعدل . تحقيق : الدكتور محمود الخضري ، والدكتور محمود محمد قاسم - مطبعة عيسى البابي الحلبي وشركاه - ١٣٨٥هـ / ١٩٦٥م.

٣٢- العجلوني : (إسماعيل بن محمد ت١١٦٢هـ) : كشف الخفاء ومزيل الإلباس. دار إحياء التراث العربي -ط٣- بيروت -١٣٥١هـ .

٣٣- الغزالي : (أبو حامد محمد بن محمد ت٥٠٥هـ) :
أ) إحياء علوم الدين . دار القلم للطباعة والنشر- بيروت- لبنان ط١
ب) جواهر القرآن ، منشورات دار الآفاق الجديدة - بيروت- ط٤-١٩٧٩م.

٣٤- الفيروز أبادي : (محمد بن يعقوب ت ٨١٧هـ) : القاموس المحيط . منشورات دار الجيل - المؤسسة العربية للطباعة والنشر - بيروت -لبنان .

٣٥- **القرطبي** : (أبو عبد الله محمد بن أحمد الأنصاري الأندلسي ت٦٧١هـ) : الجامع لأحكام القرآن . مطبعة دار الكتب المصرية/ط٢-١٣٧٣هـ/١٩٥٤م.

٣٦- **الماوردي** : (أبو الحسن على بن محمد ت٤٥٠هـ) : أعلام النبوة - المطبعة المحمودية التجارية بالأزهر بمصر -ط١-١٣٥٣هـ / ١٩٣٥م .

٣٧- **مسلم** : (أبو الحسين مسلم بن الحجاج القشيري النيسابوري ت٢٦١هـ) : صحيح مسلم -طبعة دار الدعوة -استانبول -١٤٠١هـ /١٩٨١م .

٣٨- **النَّسائي** : (أبو عبد الرحمن أحمد بن شعيب ت٣٠٣هـ) : سنن النسائي . طبعة دار الدعوة -إستانبول ١٤٠١هـ /١٩٨١م .

٣٩- **النسفي** : (أبو حفص عمر بن محمد بن أحمد ت٥٣٧هـ) "العقائد النسفية" . متنا من (شرح رمضان أفندي على شرح العقائد) - درسعادت -المطبعة العثمانية -١٣١٤هـ .

٤٠- **كتاب العهد الجديد** : مترجم من اللغة اليونانية .

٤١- **كتب العهدالقديم** ، **والعهد الجديد** : مترجم من اللغات العبرانية والكلدانية واليونانية .

المراجـــــــع :

١- **إبراهيم حسن نصيرات** : ظواهر جغرافية في ضوء القرآن الكريم . جمعية عمال المطابع التعاونية -ط١-١٩٨٠م .

٢- **أبو بكر الجزائري** : عقيدة المؤمن . منشورات : مكتبة الكليات الأزهريــة -ط٢-١٣٩٨هـ / ١٩٧٨م.

٣- **أحمد خلف الله** : السير المحمدية الخالدة . مطابع شركة الاتحاد للتجارة والطباعة والنشر -ط١-١٩٦٠م.

٤- **أحمد رضا (الشيخ)** : معجم متن اللغة . منشورات : دار مكتبة الحياة -بــيروت ١٣٧٩هـ /١٩٦٠م .

٥- **أحمد شهاب الدين الخفاجي** : نسيم الرياض شفاء القاضي عياض . درســعادت - المطبعة العثمانية .١٣١٢هـ .

٦- **أحمد عبد السلام الكرداني(د)** : نماذج من الإعجاز العلمي للقرآن . عن كتابــات الدكتور محمد أحمد الغمراوي - مطبوعات الشعب -١٩٧٥م .

٧- **أحمد عطية الله** : القاموس الإسلامي . منشورات : مكتبة النهضة المصريـــــة - ط١ / القاهرة ١٣٩٩هـ / ١٩٧٩م .

٨- **أحمد محمود سليمان** : أ) القرآن والطب . دار العودة - بيروت .

ب) القرآن والعلم . مطبعة دار الشروق - ط١ /١٣٦٧هـ /١٩٤٨م .

٩- **أحمد مصطفى المراغي** : تفسير المراغي . دار إحياء التراث العربي -بيروت

١٠- **السيد الجميلي (د)** : الإعجاز الطبي في القرآن . دار ومكتبة الهلال - بــيروت -ط٣- ١٤٠٢هـ /١٩٨٢م .

١١- **أمين الخولي** : أ) معجم ألفاظ القرآن الكريم - الجزء الرابع منه فقط - إشراف مجمع اللغة العربية (دار الكاتب العربي للطباعة والنشر - القاهرة) ١٣٨٧ هـ /١٩٦٧م .
ب) مناهج تجديد في النحو والبلاغة والتفسير والأدب . دار المعرفة -ط١-١٩٦١م .

١٢- **أنور الجندي** : أ) الإسلام والتكنولوجيا . دار الاعتصام .
ب) الإسلام والفلسفات القديمة . دار الاعتصام .

١٣- **أنور محمود عبد الواحد (د)** : موسوعة الثقافة العلمية . مطابع الأهرام التجارية - دار الكتاب الجديد .

١٤- **بول كوديرك** : النسبية . ترجمة مصطفى الرقي - منشورات عويدات - بيروت - لبنان

١٥- **جمال الدين عياد** : بحوث في تفسير القرآن (سورة العلق) دار المحامي للطباعة -١٣٨٠هـ /١٩٦١م .

١٦- **جواد علي (د)** : المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام . مطبوعات : دار العلم للملايين -بيروت، ومكتبة النهضة -بغداد -ط١-١٩٧٦م .

١٧- **حامد الغوابي** : بين الطب والإسلام -دار الكتاب للطباعة والنشر - القاهرة ١٩٦٧م .

١٨- **حسن البنا (الشهيد)** : مقدمة في التفسير مع تفسير سورة الفاتحة وأوائل سورة البقرة. منشورات : دار القرآن الكريم - الكويت -١٣٩١هـ /١٩٧١م .

١٩- **حسن الشرقاوي (د)** : نحو منهج علمي إسلامي .دار المعارف بمصر - ١٩٧٨م .

٢٠- **حسن ضياء الدين عتر (د)** : بينات المعجزة الخالدة . دار النصر - سورية - حلب .

٢١- **حسين الهراوي (د)** : النظريات العلمية في القرآن . وهو الرسالة الأولى لمجلة الأنصار - مطبعة الرسالة - القاهرة ١٣٦١هـ /١٩٤٢م .

٢٢- **حنفي أحمد** : التفسير العلمي للآيات الكونية في القرآن . دار المعارف للطباعة والنشر - القاهرة ١٩٦٠م . وللكتاب اسم آخر مطبوع به وهو : " معجزة القرآن في وصف الكائنات " مطبعة لجنة البيان العربي -ط١-١٣٧٣هـ/ ١٩٥٤م

٢٣- **خير الدين الزركلي** : الأعلام " قاموس تراجم لأشهر الرجال والنساء من العرب والمتعربين والمستشرقين " - دار العلم للملايين - بيروت-ط٤-١٩٧٩م-ط٢.

٢٤- **خير الدين وائلي** : من معجزات المصطفى صلى الله عليه وسلم - منشورات : مؤسسة ومكتبة الخافقين -ط١.

٢٥- **رائف نجم (المهندس)** : الإعجاز العلمي في القرآن برهان النبوة . شركة المطابع النموذجية .

٢٦- **سعيد ناصر الدهان** : القرآن والعلوم - مطابع النعمان - النجف الأشرف - ط١-١٣٨٥هـ /١٩٦٥م.

٢٧- **سليمان دنيا (د)** : الدين والعقل . مطبعة دار الجهاد - المكتب الفني للنشر - ١٣٧٨هـ /١٩٥٩م .

٢٨- **سيد سابق** : العقائد الإسلامية . دار الكتاب العربي -بيروت .

٢٩- **سيد قطب (الشهيد)** : في ظلال القرآن / دار الشروق - بيروت والقاهرة ط٩-١٤٠٠هـ /١٩٨٠م .

٣٠- **شوقي أبو خليل** : الإنسان بين العلم والدين - دار الفكر - دمشق -ط٣-١٣٩٩هـ /١٩٧٩م.

٣١- **شوقي ضيف (د)** : سورة الرحمن وسور قصار - " عرض ودراسة " منشورات دار المعرف بمصر -١٣٩٠هـ .

٣٢- **صلاح الدين أبو العينين** : الله والكون . دار الفكر العربي للطباعة والنشر - ١٤٠٢هـ /١٩٨٢م.

٣٣- **صلاح الدين المنجد (د)** : الإسلام والعقل على ضوء القرآن الكريم والحديث النبوي - دار الكتاب الجديد - بيروت - لبنان - ط ٢ ١٩٧٦م.

٣٤- **الطاهر أحمد الزاوي** : ترتيب القاموس المحيط - دارالفكر -ط٣.

٣٥- **طنطاوي جوهري (الشيخ)** :

أ) التاج المرصع بجواهر القرآن والعلوم -منشورات :المكتبة التجارية الكبرى بمصر -ط٢ - ١٩٣٣م .

ب) جواهر العلوم - مطبعة هندسية بمصر - ط٢ - ١٣٣٢هـ - ١٩١٣م .

ج) الجواهر في تفسير القرآن الكريم - منشورات المكتبة الإسلامية - القاهرة - الجزء الأول - ط٢ -١٣٥٠هـ ، والجزء الخامس والعشرون - ١٣٩٤هـ/ ١٩٧٤م .

د) القرآن والعلوم العصرية . مطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر -ط٢ - ١٣٧١هـ / ١٩٥١م .

هـ) نظام العالم والأمم . منشورات : المكتبة التجارية الكبرى بمصر - ط٢ - ١٣٥٠هـ / ١٩٣١م .

٣٦- **عبد الله المشوخي (د)** : موقف الإسلام والكنيسة من العلم - مكتبة المنار الأردن ط١، ١٤٠٢هـ / ١٩٨٢م .

٣٧- **(عبد المجيد ذياب ، وأحمد قرقوز) (د)** : مع الطب في القرآن الكريم -مؤسسة علوم القرآن -دمشق -ط٢ ١٤٠٢هـ/١٩٨٢م .

٣٨- **عبد الحميد السائح (الشيخ)** : عقيدة المسلم وما يتصل بها . منشورات وزارة الأوقاف والشؤون والمقدسات الإسلامية -بدعم من الجامعة الأردنية - عمان ط١ ١٣٩٨هـ/١٩٧٨م.

٣٩- **عبد الحميد القضاة (د)** :

أ) الإيدز حصاد الشذوذ . شركة الأصدقاء للطباعة والتجارة -ط١- ١٤٠٦هـ/ ١٩٨٥م .

ب) الأمراض الجنسية عقوبة إلهية . شركة الشرق الأوسط للطباعة - ط١ - ١٤٠٥هـ/ ١٩٨٥م .

٤٠- **عبد الرحمن الكواكبي** :

أ) سجل مذكرات جمعية أم القرى / نشر هذا لكتاب في المجلد الخامس من مجلة المنار الإسلامية بمصر سنة ١٣٢٠هـ .

ب) طبائع الاستبداد ومصارع الاستعباد . المطبعة الرحمانية بمصر - ١٣٥٠هـ /١٩٣١م .

٤١- **عبد الرحمن محمد حامد (د)** : القرآن وعالم الحيوان . الدار السودانية للكتب - الخرطوم .

٤٢- **عبد الرحمن محمد عثمان** : مقدمة "دلائل النبوة للبيهقي "دار النصر للطباعة - ط١/١٣٨٩هـ /١٩٦٩م .

٤٣- **عبد الرازق نوفل :**

أ) الإسلام دين ودنيا . تصدرها مؤسسة المنشورات الحديثة .

ب) الإسلام والعلم الحديث . منشورات :مكتبة الوعى العربـــي - دار الجيل للطباعة -ط٢.

ج) الله والعلم الحديث . دار مصر للطباعة -ط٢. وطبعة دار الـ ـ بالقاهرة .

د) بين الدين والعلم . منشورات مكتبة وهبـــة - مطبعـــة الاســـتقلال الكبرى-ط١.

هـ) القرآن والعلم الحديث . دار المعارف بمصر - ط١-١٣٣٨هـــ /١٩٥٩م .

٤٤- **عبد العزيز إسماعيل :** الإسلام والطب الحديث . مطبعة الاعتماد - ١٣٥٧هـــ / ١٩٣٨م.

٤٥- **عبد العزيز جاويش (الشيخ) :** الإسلام دين الفطرة والحريـــة . مطبعـــة دار الهلال

٤٦- **عبد العزيز سيف النصر :** توضيح العقيدة في رؤية الله تعالى والقدر والنبـــوة . مكتبة الأزهر للطباعة والنشر والتوزيع .

٤٧- **عبد العزيز عزام (د) :** في الإسلام والعلـــم والحيـــاة . مطبعـــة دار الكتـــب - بيروت - لبنان- ١٣٩١هــ / ١٩٧١م .

٤٨- **عبد العزيز المحمد السلمان :** معجزات المصطفى صلى الله عليه وسلم . مطبعة المدينة -الرياض -ط٨-١٣٣٩هــ / ١٩٧٩م .

٤٩- **عبد العزيز المجدوب** : الإمام فخر الدين الرازي من خلال تفسيره. الدار العربية للكتاب - ليبيا ، وتونس -ط٢-١٤٠٠هـ / ١٩٨٠م .

٥٠- **عبد الغني عبود (د)** : الإسلام والكون . دار الفكر العربي للطباعة والنشر - ط٢-١٩٨٢م .

٥١- **عبد الكريم الخطيب** : الإعجاز في دارسات السابقين . دار المعرفة للطباعة والنشر - بيروت -ط٢-١٣٩٥هـ /١٩٧٥م.

٥٢- **عبد الكريم نجيب الخطيب (د)** : عسل النحل شفاء نزل به الوحي . الدار السعودية للنشر - جدة -ط١-١٣٩٤هـ /١٩٨٢م .

٥٣- **عبد المجيد المحتسب (د)** : إتجاهات التفسير في العصر الراهن . منشورات مكتبة النهضة الإسلامية -ط٢ -١٤٠٢هـ / ١٩٨٢م .

٥٤- **عبد الوهاب خلاف** : علم أصول الفقه . دار القلم للطباعة والنشر والتوزيع - الكويت - ط١٢-١٣٩٨هـ /١٩٧٨ن ,

٥٥- **عدنان على رضا النحوي (د)** : دور المنهاج الرباني في الدعوة الإسلامية . مطابع الفرزدق التجارية - الرياض -ط٤- ٤١٤٠٥هـ / ١٩٨٥م .

٥٦- **عز الدين فراج (د)** : الطب الإسلامي . دار الفكر العربي - القاهرة .

٥٧- **عفيف عبد الفتاح طبارة** :

أ) روح الدين الإسلامي . دار العلم للملايين - بيروت -لبنان- ط١٢- ١٣٩٤هـ / ١٩٧٤م ، وطبعة ١٥.

ب) روح القرآن " جزء عم " . دار العلم للملايين - بيروت -ط٢ - ١٣٧٠هـ/١٩٥١م .

٥٨- **علي فكري** : القرآن ينبوع العلوم والعرفان . دار إحياء الكتب العربية -ط٢- ١٣٧٠هـ /١٩٥١م .

٥٩- **عماد الدين خليل (د)** : مدخل إلى موقف القرآن الكريم من العلم . مؤسسة الرسالة - بيروت-ط١-١٤٠٠هـ /١٩٨٣م .

٦٠- **عمر رضا كحالة** : معجم المؤلفين (تراجم مصنفي الكتب العربية) . مطبعة الترقي ، دمشق - ١٣٧٩هـ / ١٩٦٠م .

٦١- **فتحي الدريني (د)** : المناهج الأصولية في الإجتهاد بالرأي في التشريع الاسلامي . الشركة المتحدة للتوزيع - سورية - دمشق - ط٢-١٤٠٥هـ / ١٩٨٥م

٦٢- **قحطان الدوري (د)** : أصول الدين الإسلامي . دار الحرية للطباعة -بغداد- ط١-١٣٩٧هـ ١٩٧٧م .

٦٣- **قدري حافظ طوقان** : مقام العقل عند العرب . دار المعارف للطباعة والنشر - مصر-١٩٦٠م .

٦٤- **لورافيشيا فاغليري (د)** : دفاع عن الإسلام . نقله إلى اللغة العربية : منير البعلبكي -دار العلم للملايين - بيروت ط١-١٩٦٠م

٦٥- **محمد أبو زهرة** : المعجزة الكبرى (القرآن) .دار الفكر العربي للطباعة والنشر -١٣٩٠هـ / ١٩٧٠م .

٦٦- **محمد أبو الغيظ ومحمد رواس قلعه) (د)** : العقيدة الإسلامية في مواجهة المذاهب الهدامة . دار البحوث العلمية للنشر والتوزيع - الكويت - ط١-١٤٠٣هـ/ ١٩٨٣م .

٦٧- **محمد بن أحمد الإسكندراني** : كشف الأسرار النورانية فيما يتعلق بالأجرام السماوية والأرضية والحيوانات والنباتات والجواهر المعدنية . طبع سنة ١٢٧٩هـ .

٦٨- **محمد أحمد الغمراوي (د)** : الإسلام في عصر العلم . مطبعة السعادة - ط١- ١٣٩هـ / ١٩٧٣م .

٦٩- **محمد إسماعيل ابراهيم** : القرآن وإعجازه العلمي . دار الفكر العربي للطباعة والنشر .

٧٠- **محمد تقي المدرسي** : الفكر الإسلامي مواجهة حضارية. دار التربية للطباعة والنشر والتوزيع - بيروت -لبنان - ١٣٨٩هـ .

٧١- **محمد توفيق صدقي (د)** : من دروس سنن الكائنات (محاضرات طبية علمية إسلامية) . أشرف على تصحيحها السيد : محمد رشيد رضا -مطبعة المنار بمصر- ط٣-١٣٥٤هـ .

٧٢- **محمد جمال الدين الفندي (د)** :

أ) الإسلام وقوانين الوجود . مطابع الهيئة المصرية العامة للكتاب - ١٩٨٢م .

ب) الله والكون . مطابع الهيئة المصرية العامة للكتاب- ١٩٧٦م

ج) قصة السموات والأرض . دار ومطابع الشعب .

د) الكون بين العلم والدين . مطابع الأهرام التجارية - مصر - ١٣٩١هـ / ١٩٧٢م .

٧٣- **محمد جمال الدين القاسمي** : محاسن التأويل . دار الفكر - بيروت - ط٢- ١٣٩٨هـ /١٩٧٨م .

٧٤- **محمد جواد مغنية** : التفسير الكاشف . دار العلم للملايين - بيروت -ط١- ١٩٦٨م .

٧٥- **محمد الحسين الأديب** : الإيمان والعلم الحديث . المطبعة الحيدرية بالنجف - ط٤-١٣٨٧هـ /١٩٦٧م .

٧٦- **محمد حسين الذهبي (د)** : التفسير والمفسرون . منشورات دار الكتب الحديثة - ط٢-١٣٩٦هـ /١٩٧٦م .

٧٧- **محمد رشيد رضا :**

أ) تفسير القرآن الحكيم الشهير (بتفسير المنار) . دار المعرفة للطباعة والنشر - بيروت - لبنان - ط٢.

ب) الوحي المحمدي . دار المنار بمصر -ط٥-١٣٦٧هـ /١٩٤٨م .

٧٨- **محمد سعيد رمضان البوطي (د) :**

أ) فقه السيرة . دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع -ط٨ -١٤٠٠هـ / ١٩٨٠م .

ب) كبرى اليقينيات الكونية . دار الفكر للطباعة والنشر -ط٢- ١٣٩٠هـ / ١٩٧٠م .

٧٩- **محمد الصادق عرجون (د)** : القرآن العظيم هدايته وإعجازه في أقوال المفسرين. دار الاتحاد العربي للطباعة - منشورات مكتبة الكليات الأزهرية - ١٣٨٦هـ /١٩٦٦م .

٨٠- **محمد الصادق عفيفي (د)** : الفكر الاسلامي : مبادؤه - مناهجه- قيمه - أخلاقه. دار نافع للطباعة - منشورات مكتبة الخانجي بالقاهرة .

٨١- **محمد الطاهر بن عاشور (الإمام الشيخ)** : تفسير التحرير والتنوير . الدار التونسية للنشر .

٨٢- **محمد ظفر الله خان (د)** : الإسلام والإنسان المعاصر . ترجمه وقدم له وعلق عليه :الدكتور محمد جلال شرف . دار النهضة العربية للطباعة والنشر - بيروت- ١٩٨١م .

٨٣- **محمد عبده (الإمام)** :
أ) الإسلام والنصرانية بين العلم والمدنية . دار الحداثة للطباعة والنشر والتوزيع - بيروت -ط٢-١٩٨٣م .
ب) تفسير جزء عم . راجعه على الرسم العثماني : الشيخ عامر السيد عثمان - مطابع الشعب .

٨٤- **محمد عبد الله دراز (د)** : النبأ العظيم . دار القلم - الكويت - ط٢-١٣٩٠هـ / ١٩٧٠م .

٨٥- **محمد عبد العظيم الزرقاني (الشيخ)** : مناهل العرفان في علوم القرآن . دار إحياء التراث العربي - بيروت -ط٣.

٨٦- **محمد عجاج الخطيب (د)** : لمحات في المكتبة والبحث والمصادر . مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع - بيروت -ط٧-١٤٠٢هـ /١٩٨٢م .

٨٧- **محمد عزت دروزة** : القرآن المجيد . المطبعة العصرية للطباعة والنشر - صيدا- لبنان .

٨٨- **محمد علي البار (د)** : خلقُ الإنسان بين الطب والقرآن . الدار السعودية للنشر والتوزيع -ط٢-١٤٠١هـ /١٩٨١م .

٨٩- **محمد علي الصابوني** : التبيان في علوم القرآن . دار الإرشاد للطباعة والنشر والتوزيع - بيروت -ط١-١٣٩٠هـ /١٩٧٠م .

٩٠- **محمد الغزالي (الشيخ)** : عقيدة المسلم . دار البيان - الكويت - ١٣٩٠هـ/ ١٩٧٠م

٩١- **محمد فؤاد عبد الباقي** : المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم . مطبعة دار الكتب المصرية -١٣٦٤هـ /١٩٤٥م .

٩٢- **محمد قطب** : جاهلية القرن العشرين . منشورات مكتبة وهبة بمصـــر - ط١- ١٣٨٤هـ /١٩٦٤م .

٩٣- **محمد كامل حسين** : القرآن والقصة الحديثة . مطابع دار الكتب -ط١-١٩٧٠م

٩٤- **محمد المبارك** : الإسلام والفكر العلمي ., دار الفكر -بيروت -ط١-١٣٩٨هـ/ ١٩٧٨م .

٩٥- **محمد متولي شعراوي** : المنتخب من تفسير القرآن الكريم . دار العودة للطباعة والنشر - بيروت -١٩٨٠م .

٩٦- **محمد محمود إبراهيم** : إعجاز القرآن في علم طبقات الأرض . طبعة ممفيـــس بمصر - ١٣٧٤هـ / ١٩٥٥م .

٩٧- **محمد وصفي (د-الحاج)** : الإسلام والطب . مطبعة أمين عبد الرحمـن - ط١- ١٣٥٩هـ /١٩٤٠م .

٩٨- **محمود الألوسي (أبو الفضل)** : روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسـبع المثاني . دار إحياء التراث العربي - بيروت .

٩٩- **محمود السيد حسن** : روائع الإعجاز في القصص القرآني . منشورات المكتـب الجامعي الحديث .

١٠٠- **محمود شكري الألوسي** : ما دل عليه القرآن مما يعضد الهيئة الجديدة القويمة البرهان . مطابع المكتب الإسلامي بيروت -ط٢-١٣٩١هـ / ١٩٧١م .

١٠١- **محمود شلتوت (الشيخ)** : تفسير القرآن الكريم (الأجزاء العشرة الأولى) . دار الشروق- بيروت ، القاهرة ، جدة -ط٦-١٣٩٤هـ /١٩٧٤م .

١٠٢- **محمود محمد شاكر** : مقدمة (كتاب الظاهرة القرآنية : لمالك بن نبي) بـدون توثيق .

١٠٣- **محي الدين رمضان (د)** : وجوه من الإعجاز الموسيقي في القرآن . دار الفرقان للنشر والتوزيع - الأردن -ط١-١٤٠٢هـ /١٩٨٢م .

١٠٤- **مصطفى الدباغ** : وجوه من الإعجاز القرآني . مكتبة المنار -الأردن-ط٢-١٤٠٥هـ /١٩٨٥م .

١٠٥- **مصطفى صادق الرافعي** : إعجاز القرآن والبلاغة النبوية . منشورات دار الكتاب العربي -بيروت لبنان- ط٩-١٣٩٣هـ /١٩٧٣م .

١٠٦- **منصور محمد حسب النبي (د)** : الكون والإعجاز العلمي للقرآن : دار الفكر العربي -١٤٠١هـ /١٩٨١م .

١٠٧- **نخبة من العلماء الأمريكيين** : الله يتجلى في عصر العلم . مراجعة وتعليق : الدكتور محمد جمال الدين الفندي - منشورات : مؤسسة الحلبي وشركاه للنشر والتوزيع - مؤسسة فرانكلين للطباعة والنشر ط٣-١٩٦٨م .

١٠٨- **نعمت صدقي** : معجزة القرآن . دار الاعتصام -ط٢-١٣٩٨هـ /١٩٧٨م .

١٠٩- **نعيم الحمصي** : فكرة إعجاز القرآن منذ البعثة النبوية حتى عصرنا الحاضر . مؤسسة الرسالة -ط٢-١٤٠٠هـ /١٩٨٠م.

١١٠- **هشام محمد سعيد** : معجزات قلب القرآن . دار الشروق للطباعة والنشر والتوزيع -جدة - السعودية -ط١-١٣٨٩هـ / ١٩٦٩م .

١١١- **هشام إبراهيم الخطيب (د)** : الوجيز في الطب الإسلامي. دار الأرقم - عمان -ط١-١٤٠٥هـ / ١٩٨٥م .

١١٢- **هند شلبي (د)** : التفسير العلمي للقرآن بين النظرية والتطبيق .

١١٣- **وحيد الدين خان** : الإسلام يتحدى " مدخل إلى الإيمان " . ترجمة : ظفـر الله خان - مراجعة وتحقيق الدكتور عبد الصبور شاهين . دار البحوث العلميـة -ط١- ١٣٩٠هـ / ١٩٧٠م ، والطبعة (٧)- المختار الإسلامي للطباعة والنشر - القاهرة - ١٣٩٧هـ /١٩٧٧م.

١١٤- **وليد الأعظمي** : المعجزات المحمدية . دار العربية للطباعة والنشر والتوزيـع - بيروت - ط١-١٣٩٠هـ /١٩٧٠م .

١١٥- **يوسف القرضاوي** (د) : ثقافة الداعية . مؤسسة الرسالة -ط٢-١٣٩٩هـ / ١٩٧٩م .

دوريـــات

أ) **جريدة الدستور : عمان الأردن .**

١- ليوم (١٣) ربيع الأول سنة ١٤٠٦هـ-الموافق ٢٦ تشرين ثـانى ١٩٨٥م -عدد (٦٥٦٢) -صحيفة رقم (٥) : محاضرة للدكتور إبراهيم زيد الكيلانى - بمناسبة "المولد النبوى الشريف" .

٢- ليوم الجمعة -الموافق ١٩٨٦/٤/١١ م -ص١٥ -خـبر تحـت عنـوان "الشرطة تجمع مليونى بصمة للأطفال خوفا من الاختطاف .. ".

ب) **جريدة المسلمون** : العدد (٢٢) - ليوم السبت الموافق ٣ شعبان سنة ١٤٠٦هـ - ص٢- ندوة علمية للدكتور محمد علي البار- في أبو ظبي .

ج) مجلة الأزهر :

١- لشهر صفر -١٣٦٨هـ - مجلد رقم (٢٠) - ص١٦٤- مقال للأستاذ أحمد الشرباصي .

٢- لشهر ربيع الأول -١٣٧٨هـ -مجلد رقم (٣٠) -ص٢٨٣-٢٨٤-مقال للأستاذ عبد الوهاب حمودة .

٣- لشهر المحرم -١٣٨٠هـ- مجلد رقم (٣٢) -ص٣١-مقال للأستاذ محمود الشرقاوي .

٤- لشهر جمادي الأولى - ١٣٨٠هـ - مجلد رقم (٣٢) -ص٤٦٣-٤٦٥- مقال للأستاذ محمد رجب البيومي .

د) مجلة الرسالة :

١- عدد (٤٠٨) -ص٥٨٠-٥٨١- مقال للشيخ محمود شلتوت .

٢- عدد (٧٠٥) -ص٣٦- مقال للدكتور محمد أحمد الغمراوي .

٣- عدد (٧٠٦) -ص٥٤-٥٥- مقال للدكتور محمد أحمد الغمراوي .

هـ) مجلة " دراسات (العلوم الإنسانية والتراث) - الجامعة الأردنية - المجلد

(١١)-١٤٠٥هـ /١٩٨٤م - العدد الرابع - بحث للدكتور فضل حسن عباس - "المفردات القرآنية مظهر من مظاهر الإعجاز" ص١٠٣-١٣٣.

متفـــــرقـــــات :

١- أشرطة :

الشيخ ~~عبد الحميد~~ عبد المجيد الزنداني : في شريط مسجل لمحاضرة ألقاها في الموســـم الثقــافي الخامس للهيئة الإدارية الخامسة للإتحاد الوطني لطلبة الإمارات وموضوع المحاضرة: " الإعجاز العلمي للقرآن في البحار والمحيطات ".

٢- محاضرات :

محاضرة في " إعجاز القرآن " للدكتور فضل حسن عباس - لطلبة الدارسات العليــا - قسم التفسير - الجامعة الأردنية .

٣- مقابلات :

مقابلة شخصية مع الدكتور محمد عاشور - متخصص في علم الجيولوجيا .

٤- نشرات :

نشرة الطب الإسلامي - الصادرة عن المؤتمر العالمي الأول عن الطب الإســلامي - الكويت - إشراف وتقديم وزير الصحة العامة : الدكتـــور عبـــد الرحمـــن عبـــد الله العوضي. العدد الأول -ط٢- ١٤٠١هـــ /١٩٨١م .

رابعاً : فهرس الموضوعات

contains many models of the tokens of God: the creation of the earth, heaven, mountains clouds....etc; the animal, vegetable and minal kingdoms contain countless tokens of the Almighty God .

As for medicine, it has been divided into three types: preventive, psychiatry, and therapeutic; each containing models proving that the Koran has got evidence on medical inimitability. This is sufficient to prove the truthfulness of prophecy and revelation.

The chapter further expounds the history and gradation of inimitability by citing models of scientists ' views. Its concludes by showing the difference between miracle and scientific invention.

The first chapter deals with the role of the Koran played in the field of science and reason; since the Koran has called for science and learning, and since it has shown deep concern with the human mind and scientific way of thinking. Further, the Koran has been keen of creating a model scientific character and highlighting the path to knowledge according to the Islamic perspective. It tackles the stand of the Koran of the ecology of Jahiliya ; inclusive of the Jahiliya of the Arabs , the Greeks and that of Europe . It also makes a comparison between the Koran and other preceeding heavenly books with respect to the originality of the first and non-originality of the others, namely the Bible and the Torat .

The second chapter which is the core of the thesis, is forwarded with definitions of scientific theory, scientific fact scientific commentery and scientific intimitability, and the definitions are followed by an exposition of the views of the opponents, extremists and moderates - alongside with the evidence, argument and counter argument of each group. I have also pointed out to some specific fallacy that certain scientist: rejected scientific intimitability. The supporters are treated ii like manner. Some books combining both Koranic verses an modern sciences have been cited. The chapter concludes with summary, which forms a basis and dictates principles fo scientific intimitability.

The third chapter with representes the emperical side of th thesis, includes various models of the Koranic scientifi intimitability. It falls into six sections; each containing severa models of scientific intimitability. This world, for example

ABSTRACT

. Since the Holy Koran has always been a book of guidance, it enjoyed a lot of scientists' efforts exerted to grasp its wondrous nature. Scientists sometimes were in agreement and sometimes at odds. Scientific inimitability was an area where they oplitted into two parties: opponents and supporters; both of which contained extremists and moderates. This is what drew my attention and incited me to write down my thesis entitled " Scientific Inimitability With Koran " aiming to clarify " inimitability "through the following points:

1. The creation of a climate suitable for the growth of science.
2. The removal of barriers blocking scientific research.
3. Clarifying that the Koranic text does not run counter to the truths of science of account of its originality, which is not the case with other heavenly religions which under went alteration.
4. The clarification of the views of scientists -opponents and supporters. -on scientific inimitability .
5. Drawing the attention to the scientific touches included in some Koranic verses and which were discovered many centuries after the revolution of the Koran; a sign indicating that it is God, Knowledgeable of every thing, who revealed the Koran .

My thesis falls into a preliminary chapter and three basic ones.

The preliminary Chapter deals with the definition of " The Miracle " linguistically and conventionally; manifesting the conditions of " a miracle " , the way to recognize it , its kinds, the extent the need of the prophet to a miracle was , as well as making a comparison between Mohammad's miracle and those of the prophets prior to him and whether or not the prophet was bestowed upon a miracle other that that of the Koran.